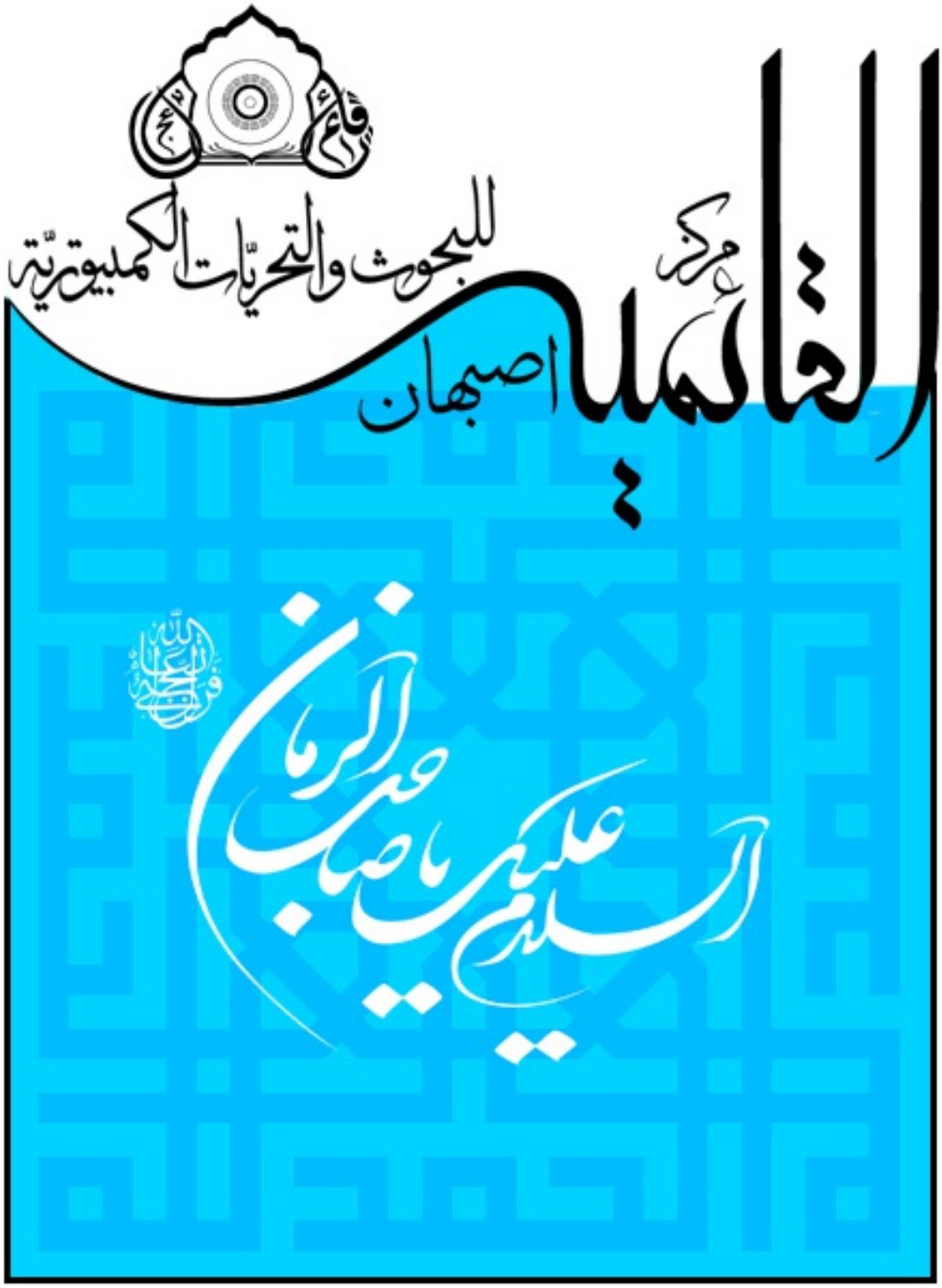

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الامام السجاد عليه السلام

جهاد و أمجاد

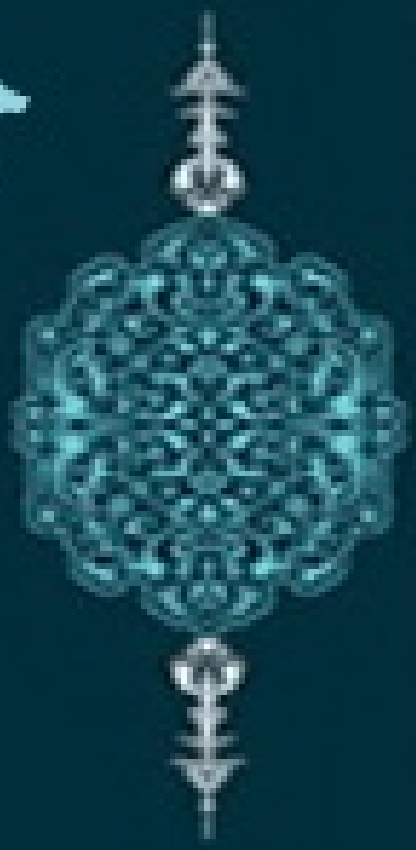

حسين الحاج حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام السجاد عليه السلام جهاد وامجاد

كاتب:

حسين الحاج حسن

نشرت فى الطباعة:

دارالمرتضى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام السجاد علیه السلام جهاد وامجاد ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
الاهداء ----- ۱۳
مقدمة ----- ۱۳
معالم الحیاة العامة فی عصر الإمام ----- ۱۳
عصر الإمام ----- ۱۳
ملوک عصره ----- ۱۴
الائمة الذین عاصرهم ----- ۱۴
الحیاة السیاسیة ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
الجور والاستبداد ----- ۱۴
الارهاب والتجویع ----- ۱۵
القضاء علی الحریات العامة ----- ۱۵
احیاء النزعة القبلیة ----- ۱۵
اقصاء الإسلام ----- ۱۶
القضاء علی الروح الثوریة ----- ۱۶
سیاسة التجهیل ----- ۱۷
الوضع النفسی للأمة ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
الوضع السیاسی والاجتماعی للأمة ----- ۱۸
عدم وجود قوة کافیة و مؤهلة للثورة ----- ۱۹
الاستفادة من التجارب السابقة ----- ۱۹

قسوة الملوک و انحرافهم عن الإسلام ----- ۲۰
الحیاة الاقتصادیة فی العصر الأموی ----- ۲۰
اشاره ----- ۲۰
ترف الملوک الأمویین ----- ۲۰
هباتهم السخیة للشعراء ----- ۲۱
هباتهم للمغنین والمطربین ----- ۲۲
شیوع الغناء ----- ۲۲
الغناء و الرقص ----- ۲۲
تأثر أهل المدینة بالغناء ----- ۲۳
تعلیم الغناء فی یثرب ----- ۲۳
مجون الأمویین ----- ۲۳
مواقف الإمام من هذه التیارات ----- ۲۴
اشاره ----- ۲۴
الامام مع ملوک عصره ----- ۲۴
اشاره ----- ۲۴
الترهیب ----- ۲۴
الترغیب ----- ۲۵
العجز ----- ۲۵
تعامل الإمام مع الحکام ----- ۲۵
تعامل الإمام مع الولاة ----- ۲۶
سیرة الإمام زین العابدین، صفحات من نور ----- ۲۷
النسب ----- ۲۷
امه ----- ۲۷
ولادته ----- ۲۷

کنیته ----- ۲۷
القابه ----- ۲۷
امامته ----- ۲۸
اولاده ----- ۲۸
اخوته ----- ۲۹
اخواته ----- ۳۰
الی جنة المأوی ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
اغتیاله بالسم ----- ۳۰
وصیته لولده الإمام الباقر ----- ۳۰
الی جوار جده ----- ۳۱
تجهیزه ----- ۳۱
تشییعه ----- ۳۱
فی المقر الأخیر ----- ۳۱
عبادة الإمام علی زین العابدین ----- ۳۲
اشاره ----- ۳۲
صومه ----- ۳۳
حجه ----- ۳۴
النصوص علی خصوص إمامته ----- ۳۴
قبسات من أخلاقه و مناقبیته ----- ۳۶
مهابته و کراماته ----- ۳۸
فضائله ----- ۳۹
ما قاله العظماء فی سید الحکماء ----- ۴۱
قبسات من مواعظه ----- ۴۲

انوار من تعالیمه ---- ۴۴
اشاره ---- ۴۴
ذم التکبر ---- ۴۵
الابتهاج بالذنب ---- ۴۵
العدالة ---- ۴۶
افضل الأعمال عند الله ---- ۴۸
حقیقة الموت ---- ۴۸
الزهد ---- ۴۸
الحب فی الله ---- ۴۸
من غرر أجوبته ---- ۴۹
اشاره ---- ۴۹
من روائع حکمه ---- ۵۲
افضل الکلمات ---- ۵۶
تحف من بعض علومه ---- ۵۷
اشاره ---- ۵۷
فی رحاب القرآن ---- ۵۸
فی رحاب الحدیث الشریف ---- ۶۰
جامعة أهل البیت ---- ۶۳
الولاء لأهل البیت ---- ۶۴
سیادة أهل البیت علی الناس ---- ۶۵
اثر مجزرة کربلاء علی الإمام السجاد ---- ۶۶
قبل المجزرة ---- ۶۶
اثناء المجزرة ---- ۶۶
بعد المجزرة ---- ۶۸

الإمام زين العابدين فى المدينة ۶۸
خطبته فى المدينة ۶۹
مواقف الإمام من الصحابة والعلماء ۷۰
اشاره ۷۰
موقف الإمام مع الحسن البصرى ۷۰
موقف الإمام مع الزهرى ۷۱
موقف الإمام من الأمة ۷۱
اشاره ۷۱
تفقد شؤون الأمة ۷۱
مواجهة المشبهة والملحدين ۷۱
التربية والتثقيف ۷۲
تحديد العلاقة مع أهل البيت ۷۲
شعره ۷۳
التكافل الاجتماعى ۷۵
مؤلفات الإمام زين العابدين ۷۷
اشاره ۷۷
الصحيفة السجادية ۷۸
اشاره ۷۸
فرادتها ۷۸
رسالة الحقوق ۷۹
اشاره ۷۹
الدوافع لكتابة رسالة الحقوق ۸۱
عرض الموجز لرسالة الحقوق ۸۲
حق الله ۸۲

اول هذه الحقوق التی بلغت خمسین حقا (حق الله) ----- ۸۲
حقوق الجوارح - من عرف نفسه فقد عرف ربه - حق النفس ----- ۸۲
حق اللسان ----- ۸۳
حق السمع ----- ۸۳
حق البصر ----- ۸۳
حق الرجلین ----- ۸۴
حق الیدین ----- ۸۴
حق البطن ----- ۸۵
حق الفرج ----- ۸۵
حقوق الأفعال ----- ۸۶
حق الصلاة ----- ۸۶
حق الصوم ----- ۸۶
حق الصدقة ----- ۸۷
حق الهدی ----- ۸۷
حقوق الأئمة ----- ۸۸
حق الأئمة ----- ۸۸
حق المعلم ----- ۸۸
حق المالک ----- ۸۹
حق الرعیة ----- ۸۹
حق المتعلمین ----- ۹۰
حق المملوکة أو حق رعیتک بملک النکاح ----- ۹۰
حق رعیتک بملک الیمین ----- ۹۱
حقوق الرحم ----- ۹۱
اشاره ----- ۹۱

حق الأم ----- ۹۱
حق الأب ----- ۹۲
حق الولد ----- ۹۲
حق الأخ ----- ۹۳
الحقوق العامة ----- ۹۳
حق المنعم علیک بالولاء ----- ۹۳
حق المولی ----- ۹۴
حق صاحب المعروف ----- ۹۴
حق المؤذن ----- ۹۴
حق إمام الجماعة ----- ۹۵
حق الجلیس ----- ۹۵
حق الجار ----- ۹۶
حق الصاحب ----- ۹۶
حق الشریک ----- ۹۷
حق المال ----- ۹۷
حق الغریم ----- ۹۸
حق الخلیط ----- ۹۸
حق الخصم ----- ۹۹
حق المدعی علیه ----- ۹۹
حق المستشیر ----- ۱۰۰
حق المشیر ----- ۱۰۰
حق المستنصح ----- ۱۰۰
حق الناصح ----- ۱۰۱
حق الکبیر ----- ۱۰۱

حق الصغیر ----- ۱۰۱
حق السائل ----- ۱۰۲
حق المسؤول ----- ۱۰۲
حق من سرک الله به ----- ۱۰۳
حق من أساء القضاء ----- ۱۰۳
حق أهل الملة ----- ۱۰۳
حق أهل الذمة ----- ۱۰۴
پاورقی ----- ۱۰۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۱۵

الامام السجاد علیه السلام جهاد وامجاد

اشارة

سرشناسه : حسن، حسین حاج
Hasan, Husayn al - Hajj
عنوان و نام پدیدآور : الامام السجاد جهاد وامجاد/ تالیف حسین الحاج حسن
مشخصات نشر : بیروت : دارالمرتضی ، ۱۴ق. = ۱۹م. = ۱۳.
مشخصات ظاهری : ص ۲۸۰
وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی
یادداشت : کتابنامه: ص. ۲۷۳ - ۲۷۱
موضوع : علی بن حسین (ع)، امام چهارم، ق۹۴ - ۳۸
رده بندی کنگره : BP۴۳/ح۴۳الف۸
شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۲۳۱۷۹

الاهداء

إلی الرسول الأعظم (صلّی الله علیه وآله وسلّم)... هذه ورقات متواضعة حبرتها بدم القلب وضوء العین عن حفیدک الإمام السجاد، بقیة السیف من أبناء الحسین، أبی الشهداء، الذی تسایرت الرکبان بذکره وفضله، أرفعها إلیک وأملی یا سیدی منک القبول. عبدک حسین الحاج حسن

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحیم (وقل رب زدنی علماً) [سورة طه: الآیة ۱۱۴] اللّهم ساعدنی علی قول الحق بما یسطره قلمی فی هذه الرسالة الخالدة، رائد الفکر الإنسانی ومهد المعرفة والتی تهدی للتی هی أقوم. (هذا زین العابدین، قدوة الزاهدین، وسید المتقین، وإمام المؤمنین، شیمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (صلّی الله علیه وآله وسلّم)، وسمته تثبت مقام قربه من الله زلفی، ونفثاته تسجل بکثرة صلاته وتهجده، وإعراضه عن متاع الدنیا ینطق بزهده فیها، درت له أخلاق التقوی فتفوقها، وأشرقت لدیه أنوار التأیید فاهتدی بها، وألفته أوراد العبادة فأنس بصحبتها وحالفته وظائف الطاعة فتحلی بحلیتها، طالما اتخذ اللیل مطیة رکبها لقطع طریق الآخرة، وظمأ الهواجر دلیلاً استرشد به فی مفازة المسافرة، وله الخوارق والکرامات ما شوهد بالأعین الباصرة، وثبت بالآثار المتواترة، وشهد له أنه من ملوک الآخرة). مطالب السّؤول

معالم الحیاة العامة فی عصر الإمام

عصر الإمام

منی عصر الإمام زین العابدین (علیه السلام) باضطراب سیاسی، واجتماعی، واقتصادی، لم یشهده عصر من قبل. فقد شحن بالفتن الفظیعة والأحداث الجسام مما جعله یفقد روح الاستقرار والطمأنینة ویعیش فی دوامة من القلق والقتل والتشرید والتجویع. لقد أمعن

الحكم الأموى فى نشر الظلم والاضطهاد، فأرغم الناس على ما يكرهون حتى بات كل فرد منهم يعيش على أعصابه لما يساوره من الهموم والآلام والمصائب التى ينتظرها فى كل حين. وسوف نوجز القول عن معالم الحياة العامة فى عصر الإمام (عليه السلام) والأحداث السياسية التى داهمت المسلمين والتى عانوا منها أمر الفتن وأخطر الخطوب. كما نتحدث عن معالم الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ذلك أن معرفة الظروف هذه التى كانت تحيط بالإمام (عليه السلام) تعطينا وضوحاً كاملاً عن مواقف وأهداف وأحداث تعامل معها الإمام فى زمنه، ومع أشخاص عاصرهم سواء كانوا ملوكاً أو ولاة أو علماء أو عامة الناس. إن المعرفة التفصيلية لهذه الأمور تساعدنا كثيراً على فهم شخصية الإمام (عليه السلام).

ملوك عصره

عاصر الإمام (عليه السلام) يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك. ومن الولاة: الحجاج بن يوسف الثقفى، وعبيد الله بن زياد، وهشام بن إسماعيل والى المدينة.

الائمة الذين عاصرهم

عاصر الإمام على (عليه السلام) وله من العمر سنتان، والإمام الحسن (عليه السلام) عشر سنين، ومع الإمام الحسين (عليه السلام) عشر سنين، وكان عمره يقارب السبع والخمسين سنة. وهكذا نرى كيف أن الإمام (عليه السلام) فتح عينيه على صراعات المحن والحروب ومكابدة الإمام على (عليه السلام) ضد معاوية الذى تمسك بكرسى الحكم غاصباً معانداً؛ وكيف تقاعس أهل العراق عن مناصرة الإمام الحسن (عليه السلام) حتى عقد الصلح مع معاوية مكرهاً. ثم شاهد الإمام بأم عينيه، وهو فى ريعان شبابه مأساة أبيه الحسين (عليه السلام) فى كربلاء، وأهل بيته، ورأى مقتلهم واحداً واحداً، ورأى سبى النساء إلى دمشق، وتحمل ثقل القيود ومجابهة يزيد وعبيد الله بن زياد، والأمة التى خذلتهم وتفرجت على قتلهم ثم عادت فبكت عليهم نادمة تائبة.

الحياة السياسية

اشاره

ساد الحياة السياسية فى عصر الإمام (عليه السلام) ألوان من القلق والاضطراب، فقد خيم الذعر والخوف على الناس وفقدوا جميع أشكال الأمن والاستقرار، مما سبب تفككك المجتمع وشيوع الأزمات السياسية الحادة، واندلاع الثورات المتلاحقة. والسبب الأول والأخير فى كل هذه الأحداث المؤلمة يعود إلى طبيعة الحكم الأموى والفساد الذى استشرى فى البلاد من قبل الملوك والولاة. وقد صور هذا الحكم الفاسد أحد الشعراء فقال: فدع عنك ادِّكاركَ آل سعدى فنحن الأكثرون حصىً ومالا ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلة والنكالا ـ ونوردهم حياض الخسف ذلاً وما نألوهم إلا خبالا لقد سبب الحكم الأموى الكثير من المصائب والخطوب للكثير من المسلمين وأحدث لهم الفتن والمصاعب التى ألقتهم فى أدهى الشرور. من هذه المظاهر البارزة لهذا الحكم الظالم:

الجور والاستبداد

لقد استبد الأمويون فى حكمهم الشعوب الإسلامية وجاروا كثيراً، فلم يكن هناك قانون تسير عليه الدولة، وإنما كان حكماً مزاجياً يخضع لمشيئة ملوكهم ورغباتهم، وأهواء وزرائهم وعواطف ولاتهم. وقد وصفه العلامة الشيخ عبد الله العلايلى فقال: (إن نظام الحكم فى عهد ملوك الأمويين لم يكن إلا ما نسميه فى لغة العصر بـ(نظام الأحكام العرفية)، هذا النظام الذى يهدر الدماء، ويرفع التعارف

على المنطق القانونى، ويهدد كل امرئ فى وجوده، وفى هذا العصر إذا كان يتخذ فى ظروف استثنائية، ولحالات خاصة يراد بها الإرهاب، وإقرار الأمن، فقد كان فى العهد الأموى هذا النظام السائد، وفى الحق أنه لا يمكننا أن نسمى هذا سلطة قضائية البتة، بل ننكر بكل قوة أن يكون فى العصر الأموى سلطة قضائية بالمعنى الصحيح إلا فى فترات لا تلبث حتى يكون التباين طاغياً، وأكبر الشواهد على هذا أن الخليفة أو حكومته تأتى ما تهوى بدون أن تتخذ لمآتيها شكليات قانونية على الأقل مما يشعر باحترام السلطة..) [۱] . لقد أصبح الاستبداد السياسى الظاهرة البارزة فى الحكم الأموى اتخذ فيه الملوك الأمويون منهجاً خاصاً، انهارت بسببه قواعد العدل السياسى ومبادئ الحرية الاجتماعية.

الارهاب والتجويع

استخدم معاوية أبشع أنواع القتل والإرهاب فدس السم فى العسل وغيره، كما سمّ الإمام الحسن (عليه السلام) وكان يقول: إن لله جنوداً من عسل.. ولا يتوانى عن الفتك والقتل فى أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم وأنصارهم. كتب معاوية إلى عماله كتاباً واحداً إلى جميع البلدان: (انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاؤه ورزقه) ثم أتبع ذلك بنسخة أخرى قال فيها: (من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره.. وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة على (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام على (عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدى والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق فيها معروف منهم) [۲] .

القضاء على الحريات العامة

لقد قضى على الحريات العامة فى العهود الأموية ولم يعد لها أى ظل على واقع الحياة، وبصورة خاصة حرية الرأى والقول، فبات أى فرد من المواطنين لا يستطيع أن يدلى برأيه، وبما يفكر به وبالأخص فى ما يتعلق بالولاء لأهل البيت (عليهم السّلام)، فكل من يتظاهر بحبهم والولاء لهم يتهم بالكفر والإلحاد والزندقة. وقد علقت فى الساحات العامة فى الكوفة مجموعة من جثث رجال الفكر والعلم فى الإسلام قد صلبوا أياماً على الأعمدة بسبب حبهم للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كميثم التمّار ورشيد الهجرى...

احياء النزعة القبلية

اتبع معاوية سياسة (فرق تسد) بين القبائل العربية حفاظاً على ملكه وهى السياسة الاستعمارية نفسها، والتى نفذها ولا يزال ينفذها الاستعمار الغربى فى بلادنا، وهدف معاوية من هذه السياسة إلهاء القبائل عن حكمه بالمشاكل الداخلية والخلافات القبلية، فكان يثير النزاعات بين مضر وربيعة والأزد... وكان الأنصار يعارضون حكمه على أساس دينى ويرفضون سياسة الظلم والإرهاب فكان من واجبهم وتكليفهم الشرعى معارضة الأمويين، فجاء معاوية بشاعر البلاط الأموى الأخطل، وهو نصرانى، يرد عليهم فهجاهم بقصيدة منها: ذهبت قريش بالمكارم والعلى واللؤم تحت عمائم الأنصار ثم بدأ معاوية بإثارة الضغائن بين الأوس والخزرج القبيلتين العربيتين، المعروفتين بعدائهما القديم. (وهكذا بث معاوية روح البغضاء والنفرة بين القبائل العربية فشغلت هذه القبائل بأحقادها الصغيرة عن مقارعة خصمها الحقيقى– الحكم الأموى– وشغل زعماء هذه القبائل بالسعى عند الملوك الأمويين للوقيعة بأعدائهم القبليين، وفاز معاوية وخلفاؤه من بعده، بكونه حكماً بين أعداء هو الذى أشعل النيران العدائية بينهم من حيث لا يشعرون، ووحدهم فى طاعته من حيث لا يدرون، وقد دفعهم هذا الوضع إلى أن يقفوا دائماً مع الحاكمين ضد الثائرين ليحافظوا على الامتيازات الممنوحة لهم، فكانوا يقفون فى وجه كل محاولة تهدف إلى الثورة على النظام القائم وينخذلون عنها بل ويتسابقون فى استخدام أقصى ما يملكون من نفوذ

ودهاء فى هـذا السبيل للتأكيد على ولائهم التام للسـلطة القائمة) [۳] . وبديهى أن الإسـلام حارب العنصـرية بلا هوادة وجعلها نوعاً من أنـواع الجاهليـة فقـد قـال الله تعـالى: (إن أكرمكم عنـد الله أتقـاكم) وقـال رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم): (لا ـ فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب). فكان بلال الحبشـى وسـلمان الفارسـى وصهيب الرومى من الصحابة المقربين جداً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لإخلاصهم فى الدين وقربهم من الله تعالى. لكننا نرى أن معاوية أثار الجاهلية من جديد بعد أن خبت، وأحياهـا بعـدما ماتت فى نفوس المؤمنين. فعمل على تعميقها وركز على التفرقـة بين العرب والعجم. (اسـتدعى معاويـة بن أبى سفيان الأحنف بن قيس وسـمرة بن جنـدب وقال لهما: إنى رأيت هذه الحمراء قد كثرت وأراها قد قطعت على السـلف. وكأنهم أنظر إلى وثبـة منهم على العرب والسـلطان فقد رأيت أن أقتل شـطراً وأدع شـطراً لإقامة السوق، وعمارة الطريق. وكان هذا الموقف العدائى من الموالى سـبباً فى امتهانهم وإرهاقهم بالضـرائب وفرض الجزيـة والخراج عليهم وإسـقاطهم من العطاء فكان الجنود الموالى يقاتلون من غير عطاء) [۴] .

اقصاء الإسلام

أهمل الملوك الأمويون الشـريعة الإسـلامية وتنكروا للإسـلام فأقصوا جميع نظمه ومبادئه عن المسـلمين، ولم يعـد لأحكام القرآن أى وجود فى أجهزتهم وإداراتهم. يقول نيكلسون: (كـان الأمـويون طغـاة، مسـتبدين، لانتهاكهم قوانين الإسـلام وشـرائعه، وامتهانهم لمثله العليا، ووطئها بأقـدامهم..) [۵] . لقـد جـاهر أكثر ملوكهم بـالكفر والإلحاد ودفنوا المبادئ الإسـلامية ونظمها، فشـربوا الخمر وعاثوا فى الأرض فساداً وانتقصوا النبى الأعظم (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) وخصوصاً يزيد بن معاوية المعروف بفسـقه وإلحاده وتنكره للمبادئ الإسلامية النبيلة وهو القائل: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل [۶] .

القضاء على الروح الثورية

لم يكتف معاويـة بأسـاليب التفرقـة والقتـل والترغيب والترهيب فى القضـاء على مناوئيه، فلإحكام سـيطرته على الناس ولإضـفاء الطابع الدينى على حكمه.. اسـتغل الجانب الدينى استغلالاً مشوهاً ومنحرفاً عن هدفه الأصيل ومن هذه الأساليب اختلاق الأحاديث والأساطير والبـدع الغريبـة عن روح الإسـلام. (ذكر شـيخنا أبو جعفر الإسـكافى: إن معاوية وضع قوماً من الصـحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار كاذبـة وقبيحـة فى على بن أبى طالب (عليه السـلام)، تقضـى الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب فى مثله فاختلقوا ما أرضاه ومنهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير. روى أبو هريرة، شيخ المضيرة، عن رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم): إن الله ائتمن على وحيه ثلاثاً: أنا وجبرائيل ومعاوية، وإن النبى (صـلّى الله عليه وآله وسلّم) ناول معاويـة سـهماً وقال له: خـذ هـذا حتى تلقانى فى الجنة؛ وحديث آخر زاد فى آخره: (أنا مدينة العلم وعلى بابها ومعاوية حلقتها). ثم الأحـاديث المختلفـة التى تجوّر الظلم منها: (من رأى من أميره شـيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعـة شبراً فمات إلا ميتة جاهلية) [۷] . ولا ريب أن أبا هريرة من عملاء معاويـة المرتزقـة فقـد انتحل هـذا الحـديث وانتحل غيره. ومما أضـفى عليه من النعوت المختلفـة أنه كان كاتباً للوحى. والغريب أنه كيف يأتمن الرسول (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) على كتابة الوحى من رب العالمين مثل هـذا الإنسان الجاهلى البعيـد كل البعـد عن الإسـلام، والـذى لم يلـج فى ضـميره أى بصـيص من نور الهدايـة والحق، وإنما بقى ملوثاً بأفكاره الجاهليـة السوداء. وقـد سـخر المحـدثين التجار والمرتزقة من وعاظ السـلاطين ليختلقوا له الأحاديث المزورة والمختلقة ليوهم النـاس بها. لكن من يقرأ سـيرته بإمعان وتجرد يجـده إرهابياً محترفاً لا علاقـة له بالمثل الكريمـة والصـفات الخيرة، ولا قرابـة بينه وبين الدين الإسـلامى. من تلك البدع التى اخترعها: مذهب الجبر. شـجع معاوية على نشـر هذا المذهب لأن ذلك يساعد على تدعيم ملكه وإضـفاء الشـرعية عليه إذ أن فكرته تقول: إن كـل مـا يحـدث لنـا هو من الله، وإن الملوك والأمـراء منصـبون من قبل الله علينا – سواء

رضينا أم أبينا- وإننا مجبورون فى أفعالنا، فكان الرجل منهم يزنى ويقول: أنا مجبور على عملى.. ويسرق ويقول: أنا مجبور على ذلك.. وهذا ما يعطى تبريراً مزيقاً لكل أحكام الظلم والجور والقتل التى كان يستخدمها الملوك الأمويون أمثال معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد...

سياسة التجهيل

إن جهل الناس للأمور يفقدهم المقاييس التى يقيسون بها الأشياء والأحداث، وهذا مما يفيد السلطة الغاشمة، إذ يتيح لها الفرصة بعدم مراقبة الناس لهم ومحاسبتهم على أخطائهم. وهذه السياسة الغاشمة شجعت الأمويين على نشر الجهل ولم يهتموا بنشر العلم بين أفراد الأمة، ولم يوضحوا أحكام الله كما هى على حقيقتها بل حرفوها واختلقوا الأحاديث الموضوعية كما رأينا... فبرز الأدعياء الجاهلون والمرتزقة المحترفون، وتوارى العلماء والمؤمنون عن الساحة وأصبح الوضع كما قال أبو العلاء المعرى: فوا عجباً كم يدعى الفضل ناقص ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل ولما رأيت الجهل فى الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن أنى جاهل فيا موت زُرْ إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل هذه السياسة قد فعلت فعلها وأثرت تأثيراً كبيراً فى الأمة... (لذلك نجد أن سوق الكذابين والوضاعين وحتى بعض من أسلم من أهل الكتاب أن سوقهم قد راج وصاروا هم أهل العلم والمعرفة والثقافة للأمة حينما انضووا تحت لواء الحكام، وأبعد أهل البيت عن الساحة وأجبروهم عن التخلى عنها. حتى لنجد الإمام السجاد يقول فى الصحيفة السجادية فى دعاء له خاص يوم الجمعة وعرفة: (اللهم إن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك، ومواضع أمنائك فى الدرجة الرفيعة التى اختصصتهم بها قد ابتزوها حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدّلاً وكتابك منبوذاً وفرائضك محرّفة عن جهات أشراعك، وسنن نبيك متروكة) [۸] . كل هذه السياسات الخبيثة والمدبرة فعلت فعلها فى المجتمع الإسلامى وضللت قطاعات واسعة من الأمة. حتى التبست أمور كثيرة فى أذهان الناس، واختلط الحق بالباطل وأثمرت سياسة معاوية حسب مخططها وآتت أكلها. (فقد علّمت سياسة معاوية المالية وأسلوبه الوحشى، الناس على الدجل والنفاق والسكوت عن الحق، والتظاهر بخلاف ما يعتقدون توصلاً إلى دنيا معاوية وتمسكاً بروحهم القبلية التى تفرض عليهم أن يتبعوا ساداتهم القبليين دون تروٍّ أو تفكير، وهذا الوضع الشاذ الذى فرض عليهم، أن يخفوا دوماً ما يعتقدونه حقاً واقعاً، وأن يتظاهروا بما تريده السلطة منهم، ولّد عندهم ازدواج الشخصية، هذا الازدواج الذى يرجع إليه سر المأساة الدامية الطويلة الأمد التى عاشها الثائرون على حكام الجور من الأمويين والعباسيين ومن تلاهم من الظالمين، وهذا الازدواج فى الشخصية صوّرة الفرزدق للإمام الحسين (عليه السلام) حين لقيه فى بعض الطريق فسأله عن أهل الكوفة فقال له: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) [۹] .

الوضع النفسى للأمة

اشاره

الحروب المتلاحقة خلال خمس سنوات تقريباً، حروب الجمل وصفين والنهروان، والحروب الخاطفة التى نشبت بين القطع الشامية وبين مراكز الحدود فى العراق والحجاز واليمن بعد التحكيم ولدت فى نفوس أصحاب الإمام على (عليه السلام) حنيناً إلى السلم والاستراحة. فقد مرت عليهم سنوات وهم لا يضعون سلاحهم من حرب إلا ليشهروه فى حرب أخرى إلى جانب هذا كانوا لا يحاربون جماعات غريبه عنهم، وإنما يحاربون إخوانهم وعشائرهم وأصحابهم الذين تربطهم بهم مودة ومعرفة. ولا ريب أن مثل هذا الشعور بدأ يظهر بوضوح فى آخر عهد الإمام على إثر إحساسهم بالهزيمة أمام مراوغة خصمهم فى يوم التحكيم، حيث اكتشف زعماء القبائل ومن إليهم أن سياسة أمير المؤمنين لا- يمكن أن تلبى مطامحهم التى تزكيها سياسة معاوية فى دفع المال وإقطاع الولايات، فحاولوا

إذكاء هـذا الشـعور والتأكيـد عليه. وقـد ساعـد على تأثير هؤلاء الزعماء ونفوذهم فى أوساط المجتمع الروح القبلية التى استفحلت فى عهـد عثمـان بعـد أن أطلقت من عقالهـا بعـد وفـاة النبى (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم). ولا يخفى أن الإنسان القبلى عالمه قبيلته، ينفعل بانفعالاتها ويطمح بطموحاتها، ويعادى من يعاديها. فهو كما وصـفه أحد الشـعراء: وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشـد وقـد عبر الناس عن رغبتهم فى الدعة وكراهيتهم للقتال بتثاقلهم عن الخروج لحرب الفرق السورية التى كانت تغير على الحجاز واليمن وحدود العراق. فلم يستجيبوا للإمام على حين دعاهم للخروج ثانية إلى صـفين: ولما استشـهد الإمام على (عليه السـلام) وبويع للإمـام الحسـن بالخلافـة برزت هـذه الظـاهرة على أشـدها، وخاصـة عنـدما دعـاهم الإمـام الحسن للتجهيز لحرب الشـام، حيث كـانت الاسـتجابة بـاردة جـداً. ثم جهز جيشاً ضـخماً إلا أنه كتب عليه الهزيمـة قبل ملاقاة العـدو وذلك بسـبب التيارات المتعـددة التى كانت تتجاذبه. فقد (خف معه أخلاط من الناس: بعضـهم شـيعة له ولأبيه، وبعضهم خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب حيلة وطمع فى الغنائم، وبعضـهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم). وكان هؤلاء قد باعوا أنفسهم من معاوية واعدين بأن يسـلموه الحسن حياً أو ميتاً. وحين خطبهم الإمام الحسن ليختبر مـدى إخلاصـهم هتفوا من كل جانب (البقية البقية)بينما هاجمته طائفة تريـد قتله. وفى الوقت نفسه أخـذ الزعمـاء يتسـللون تحت جنـح الليل بعشائرهم. ولما رأى الإمام الحسن، أمام هـذا الوضع السـيء، أن الظروف النفسـية والاجتماعيـة فى مجتمـع العراق جعلت هـذا المجتمـع عـاجزاً عن النهوض بتبعـات القتـال، ورأى أن الحرب سـتكلفه استئصال المخلصين من أتباعه بينما يتمتع معاويـة بنصر حاسم، حينئـذٍ جنح إلى الصـلح بشـروطها. هكذا كانت الحال فى عهد الإمام الحسن أمـا حالـة الناس أثناء ثورة الإمام الحسـين (عليه السـلام) وفيما بعـدها فقـد ازدادت سوءاً أو أصـبح الأمر أكثر حراجـة: فالـذعر والخوف قـد أطبق على الناس، وقل الـديانون كما أشار إلى ذلك الإمام الحسـين بقوله: (الناس عبيـد الدنيا والدين لعق على ألسـنتهم يحوطونه ما درَّت معائشـهم فإذا محصوا بالبلاء قل الـديانون). وظل الحسـين (عليه السـلام) يقاتل مع قلـة من أهل بيته وأصـحابه حتى سقط شهيداً مخضباً بدمائه الطاهرة على رمال كربلاء التى شهدت تلك المأساة الدموية التى لم يشهد التاريخ فظاعتها. وحينما استشهد الإمام الحسـين (عليه السـلام) مع أهل بيته وأصـحابه تصور الأمويون وعامـة الناس أن أهل البيت قـد انتهى أمرهم، وأفل نجمعهم، فلا الأمـويون يخـافونهم، ولاـ غير الأمويين يرجونهم...إلى جانب هـذا لم يجرأ أحـد على الاتصال بهم، والجهل المطبق بالإسـلام، فكانت الردة عن أهـل البيت (عليهم السّـلام) عامـة وشاملـة. وهـذه هى الوضـعية الاجتماعيـة والسياسـية التى كـان يعيش فى ظلها الإمام زين العابـدين (عليه السـلام). وقـد عايشـها بوضوح كامـل مع عمه الحسن (عليه السـلام) ومع أبيه الحسـين (عليه السـلام) واسـتمرت هـذه الظروف على أشـدها طوال حياته... فكيف يتصـرف؟ وكيف يتحرك؟ وكيف تعامل مع الملوك والولاة الظالمين؟ هل يترك الأمور على ما هى؟ أم يرفع السـيف للحرب؟. المعروف عن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) أنه لم يرفع السيف فى ذلك الوقت ولم يجهز جيشاً للقيـام بثورة، إنمـا اتجه اتجاهات أخرى كانت فى نظره أجـدى فى بناء الأمـة وإعـدادها للوقوف أمام تلك الانحرافات الخطيرة التى حدثت على نطاق الحكم وفى داخل المجتمع. فما هى الأسباب التى دفعت الإمام (عليه السّلام) إلى الإمتناع عن القيام بالثورة فى ذلك الوقت.

الوضع السياسى والاجتماعى للأمة

لقـد وصـلت الأمـة إلى حالة من الإنهماك النفسـى والجسدى بحيث لا يمكنها القيام بثورة شاملة. رأينا موقف المقاتلين المأساوى من الإمـام الحسن (عليه السّـلام). كمـا رأينـا كيـف فعلت رشـاوى معاويـة فعلهـا بين رؤسـاء القبائـل، أضف إلى ذلـك: التضـليل الـدينى والسياسـى وإحياء النزعات القبلية الجاهلية، أمام هذه الأسـباب وصلت الأمة إلى حالة من القعود والاسترخاء بحيث أصبحت غير مؤهلة لحمل الرسالة وأداء الأمانة، فكيف سيكون موقف الإمام (عليه السّلام) لو دعا إلى الثورة؟ ستكون النتيجة حتماً الخذلان والفشل.

عدم وجود قوة كافية و مؤهلة للثورة

لم تكن هناك قوة كافية ناصرة ومؤيدة واعية لأهداف الثورة التى على الإمام القيام بها. وقد أكد (عليه السلام) على ذلك مراراً، (روى النهدى قال: سمعت على بن الحسين (عليه السّلام) يقول: ما بمكة والمدينة عشرون رجلًا يحبنا) [۱۰] والحب الذى يعنيه الإمام هو الحب المقرون بالاتباع والإخلاص لأهل البيت (عليهم السلام) فكيف يمكن للإمام أن يثور بشلة قليلة أمام جيش أموى كبير؟ لا يمكن تصور ذلك أبداً. علماً أن الإمام السجاد (عليه السّلام) كان واقعياً جداً فى تصرفاته الحكيمة والدقيقة. إن الصفات الإسلامية المطلوبة فى الثائرين غير موجودة. وفى الرواية التالية يبين لنا الإمام (عليه السّلام) رأيه بوضوح (عن أبى عبد الله (عليه السّلام) قال: لقى عباد البصرى على بن الحسين فى طريق مكة فقال له: يا على بن الحسين تركت الجهاد بصعوبته وأقبلت على الحج ولينته، إن الله عز وجل يقول: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - يقاتلون فى سبيل الله فَيَقْتُلُوْنَ ويُقْتَلُوْن وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن - ومن أوفى بعهده من الله فاستبشر ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) [۱۱] فقال له (عليه السلام): أتم الآية، فقال: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) [۱۲] . إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحج) [۱۳] . فإذا وجد الثوار المتمثلة فيهم هذه الصفات بحيث بجرى فى دمائهم وهى جزء لا يتجزأ من كيانهم فإنه يقدم والله تعالى سينصرهم حتماً وسينتصر بهم: (التائبون، العابدون... هؤلاء هم أنصار الله وأحباؤه... وليس المراؤون المخادعون الكذابون المراوغون، ذله أن الله مع الذين اتقوا والذين هم صادقون... وقد وجد هؤلاء فى عهد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وانتصر بهم انتصاراً باهراً بإذن الله فانتشروا فى بقاع الأرض ونشروا معهم الرسالة الإسلامية ثمرة من ثمار إخلاصهم للدين الحنيف فوصلوا إلى الدرجات الرفيعة والصفات السامية النابعة من روح الإسلام العظيم.

الاستفادة من التجارب السابقة

لقد تجرع الإمام الكثير من الآلام بسبب ما أصابه من غم وهم الحوادث التى جرت على جده أمير المؤمنين وعلى أبيه الإمام الحسين وعلى عمه الإمام الحسن (عليهم السّلام)، وقد رأى خذلان الناس عن نصرة أبيه وحيداً، فريداً، عطشاناً على شط الفرات هذه التجربة أثرت فى نفسه وتعلم منها دروساً واقعية مؤلمة واستخلص عبراً كثيرة فى معرفة نفوس الناس وأحوالهم وأسلوبهم، ولم يكن للأئمة المعصومين: على والحسن والحسين (عليهم السّلام) من سبيل أفضل مما فعلوه مع هذه الأمة، فالأساليب التى اتبعوها والمواقف التى اتخذوها مع الناس لم يكن أمامهم غيرها... ولذلك لم يستجب الإمام زين العابدين لدعوة أهل العراق بالثورة، وقد بيّن ذلك واتخذ موقفاً حاسماً واضحاً تجاههم. نتلمس السبب فى خطبته (عليه السّلام) أمام أهل الكوفة بعد مقتل أبيه الإمام الحسين (عليه السّلام) قال ("رحم الله امرءا قبل نصيحتى وحفظ وصيتى فى الله ورسوله وأهل بيته فإن لنا فى رسول الله أسوة حسنة. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا سامعون، ومطيعون، حافظون لذمامك غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرنا يرحمك الله فإنَّا حرب لحربك وسلم لسلمك لنأخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا، فقال (عليه السّلام): هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم أتريدون أن تأتوا إلى كما أتيتم إلى آبائى من قبل!؟ كلا! فإن الجرح لما يندمل، قتل أبى بالأمس وأهل بيتى معه، ولم ينسنى ثكل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وثكل أبى وبنى أبى، وجده بين لهاتى ومرارته بين حناجرى وحلقى، وغصصه تجرى فى فراش صدرى ومسألتى أن لا تكونوا لنا ولا علينا ثم قال: لا غرو أن قتل الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذى أصاب حسيناً كان ذلك أعظما قتيل بشط النهر روحى فداؤه جزاء الذى أراده نار جهنما كما نرى فى عبارات الإمام السجاد (عليه السّلام): ولم ينسنى ثكل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وثكل أبى وبنى أبى، وجده بين لهاتى ومرارته بين

حناجری وحلقی وغصصه تجری فی فراش صدری). هذه الکلمات تحمل بین طیاتها المرارة والألم الشدید فی کل قطعة من جسم الإمام (علیه السّلام) والغصة ما برحت باقیة فی حلقه حزناً وکمداً من هذه التجربة المرة جعلته یتخذ موقفاً حاسماً لا مهادنة فیه بأن لا یکرر التجربة التی مرت علی آبائه وأهل بیته یرفض الاستجابة لم یدعوه القیام بالثورة علی الحکم الأموی دون أن یطمئن لأسباب الانتصار.

قسوة الملوک و انحرافهم عن الإسلام

المتتبع للتاریخ یری بوضوح أن من أسباب فشل الثورات التی قامت فی عهد الأمویین والعباسیین هو حدوثها فی وقت قوة الحکام والولاة لا فی زمن ضعفهم. لقد کان الملوک الأمویون وولاتهم فی عصر الإمام (علیه السّلام) فی أوج قوتهم فی ملکهم ویشهد التاریخ بأنهم أشد الناس قسوة وانحرافاً عن الإسلام حیث وصل بهم الأمر إلی رمی الکعبة بالمجانیق وسبی المدینة وقتل ریحانة رسول الله (صلّی الله علیه وآله وسلّم). وملوک عصره هم: یزید بن معاویة ومعاویة بن یزید ومروان بن الحکم، وعبد الملک بن مروان والولید بن عبد الملک. وولاة عصره هم: الحجاج بن یوسف الثقفی وعبید الله بن زیاد وهشام بن إسماعیل والی المدینة. وکل هؤلاء کانوا من الفاسقین، والظالمین، لا یتورعون عن ارتکاب الحرام، ففی عهدهم قتل أشرف الناس أبیّ الضیّم سید الشهداء، الحسین بن علی، وسبیت المدینة وهدمت الکعبة ورمیت بالمجانیق. ویزید الخمیر السکیر کان صاحب جوار وکلاب وقرود ومنادمة علی الشراب. والحجاج بن یوسف الثقفی کان ظالماً غشوماً أهلک الحرث والنسل وتطاول علی الصحابة الشرفاء والعلماء الفضاء. هذان نموذجان من النماذج العدیدة من الملوک والولاة الذین کان قد عاصرهم الإمام (علیه السّلام) فمثلهم یجب أن تعد لهم العدة الکافیة لیقضی علی طغیانهم وجبروتهم، وهذا ما لم یکن متوفراً للإمام زین العابدین (علیه السّلام).

الحیاة الاقتصادیة فی العصر الأموی

اشاره

تدهورت الحیاة الاقتصادیة فی العصر الأموی، فی حیاة الإمام زین العابدین (علیه السّلام) تدهوراً فظیعاً، فکانت جمیع مرافقها مشلولة ومضطربة إلی أبعد الحدود، فالزراعة التی کانت العمود الفقری فی البلاد قد ضعفت کثیراً، وذلک بسبب الفتن والاضطرابات الداخلیة، وإهمال الدولة لمشاریع الری، وإصلاح الأرض والنظر فی حاجات المزارعین. فنجم عن کل ذلک مجاعة عامة فی البلاد أصابت معظم الطبقة العامة من السکان. کما ارتفعت أسعار السلع وخلت معظم البیوت من حاجات الحیاة، وأصبحت بطون الناس خاویة وأجسادهم عاریة. وقد صور الشاعر ابن عبدل الأسدی حالته الاقتصادیة المزریة بقصیدة مدح بها بعض نبلاء الکوفة، طالباً منه أن یسعفه بما تدر به کفه من جمیل فقال: یا أبا طلحة الجواد أغثنی بسجال من سیبک المعتوم أحی نفساً - فدنک نفسی فإنی مفلس، قد علمت ذاک، قدیم أو تطوع لنا بسلف دقیق أجره، إن فعلت ذاک - عظیم قد علمتم - فلا تقاعس عنی ما قضی الله فی طعام الیتیم لیس لی غیر جرة وأصیص وکتاب منمنم کالوشوم وکساء أبیعه برغیف قد رقعنا خروقه بأدیم وأکاف أعارینه نشیط ولحاف لکل ضیف کریم [۱۴] . فکما نری هذا الشاعر البائس، نهشه الفقر والحرمان، وأماته الجوع یطلب أن یسعفه هذا الرجل الکریم بالطعام لیحیی نفسه من براثن الفقر المدقع. وکانت عامة الناس تعیش حیاة بائسة لا تعرف السعة والرخاء، لأن الاقتصاد قد تحول کله إلی جیوب الأمویین وعملائهم.

ترف الملوک الأمویین

انغمس ملوك الأموين بالنعم والترف، فكان فتيانهم يرفلون بالقوهى [۱۵] والعرشى كأنهم الدنانير الهرقلية [۱۶] ، وكان عمر بن عبد العزيز يلبس الثوب بأربعماية دينار ويقول: ما أخشنه [۱۷] . وروى هارون بن صالح عن أبيه قال: كنا نعطى الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا فى إثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب - يعنى المسك - الذى فيها [۱۸] . وكان مروان بن أبان بن عثمان يلبس سبعة قمصان كأنها درج بعضها أقصر من بعض، وفوقها رداء عدنى بألفى درهم [۱۹] وقد ذكر المؤرخون الكثير من الأخبار التى تدل على ترفهم الكبير وتلاعبهم باقتصاد الأمة وثرواتها وبعدهم عن تعاليم الإسلام السمحة العادلة.

هباتهم السخية للشعراء

أسرف الملوك الأمويون الكثير من هباتهم للشعراء، فأجزلوا لهم العطاء ليقطعوا ألسنتهم وينطقوا بفضلهم. فالأحوص، شاعرهم، نال مرة مائة ألف درهم [۲۰] ، كما نال مرة أخرى عشرة آلاف دينار، ويشير إلى ثرائه الواسع فى شعره فيوّضح إنه لم يكن مكتسباً من تجارة أو ميراث وإنما هو من هبات الأمويين وعطاياهم فقال: وما كان لى طارفاً من تجارة وما كان ميراثاً من المال متلدا [۲۱] . ولكن عطايا من إمام مبارك ملا الأرض معروفاً وجوداً وسؤددا وقال فى مدح الوليد بن عبد الملك: إمام أتاه الملك عفواً ولم يثب على ملكه مالاً حراماً ولا دماً [۲۲] . تخيره رب العباد لخلقه ولياً وكان الله بالناس أعلما فلما ارتضاه الله لم يدع مسلماً لبيعته إلا أجاب وسلّما ينال الغنى والعز من نال وده ويرهب موتاً عاجلاً من تشاءما وإن بكفيه مفاتيح رحمة وغيث حيا يحيا به الناس مرهما يقول الشاعر إن من يتصل بالوليد ويكون من عملائه يخفى مساوءه وينشر فضائله متملقاً متكسباً، ينال الغنى والثراء العريض، وأما من ينصرف عنه، فإنه ينال الموت المعجل. ومن الطبيعى أن نجد فى كل عصر، وخاصة فى عصر الإرهاب والتجويع، من يتملق للسلطان لينال الحظوة عنده فيكذب ويخادع ويصانع ليكسب لقمة عيشه.. والأخطل شاعر البلاط الأموى، وبصورة خاصة شاعر عبد الملك بن مروان. روى أحد أساطين الأدب قال: دخل الأخطل يوماً على عبد الملك بن مروان فمدحه بقصيدة عامرة الأبيات مطلعها (خف القطين) فأعجب بها الملك الأموى أيما إعجاب وقال للأخطل: ويحك! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب، فقال: أكتفى بقول أمير المؤمنين، فخلع عليه وأمر بجفنة كانت بين يديه فملئت له دراهم، ثم أرسل معه غلاماً فخرج به وهو يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب. قال الأخطل هذه القصيدة فى عبد الملك بن مروان بعد فتحه العراق وانتصاره على مصعب بن الزبير، وفرض عليه موقفه السياسى أن يهجو أعدائه بنى أمية، فقال: إلى امرئ لا- تعدينا نوافله أظفره الله، فليهنأ له الظفر الخائض الغمرة، الميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر فى نبعة من قريش يعصبون بها ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر تعلو الهضاب وحلوا فى أرومتها أهل الرَّباء وأهل الفخر إن فخروا حشد على الحق عيافو الخنا أنف إذا ألمت بهم مكروهة صبروا شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا أعطاهم الله جَدا ينصرون به لا جَدّ الاَّ صغير، بعد، محتقر بنى أمية قد ناضلت دونكم أبناء قوم، هم آووا، وهم نصروا أفحمت عنكم بنى النجار قد علمت عليا معد، وكانوا طالما هدروا يقول الأخطل شاعر البلاط الأموى المتكسب بشعره: إن الأمويين، حشد على الحق، وعداوتهم قاسية على من يتمرد عليهم. وقد ناضل الشاعر دونهم الأنصار وهم قبيلتا الأوس والخزرج الذين آووا النبى محمداً فى يثرب لما هاجر من مكة. ثم يمننهم ويقول إنه بمدحهم هذا أسكت عنهم بنى النجار وهم قوم من الأنصار ومنهم شاعر النبى (حسان بن ثابت) إنه شاعر يبيع كلامه بدنانير الأمويين وهمه الوحيد كسب المال ولا فرق عنده بين الحق والباطل. ولم يكتف بمدحهم بل تكفل أيضاً بهجاء أعدائهم. ومن مدح الملوك إلى مدح الولاة، إلى مدح أكثرهم فجوراً وظلماً وغدراً، هو الحجاج بن يوسف الذى سفك الدماء وقتل الأحرار وهدم الكعبة ورماها بالمجانيق... هذا الوالى الفاجر العاهر مدحه الأخطل بقصيدة عنوانها: (نور أضاء البلاد)، قال فيها: أحيا الإله لنا الإمام فإنه خير البرية للذنوب غفور نور أضاء لنا البلاد وقد دجت ظلم تكاد بها الهداة تجور الفاخرون بكل فعل صالح وأخو المكارم بالفعال فخور فعليك بالحجاج لا تعدل به أحداً إذا نزلت عليك أمور ولقد علمت وأنت أعلمنا به أن ابن يوسف حازم منصور وأخو الصفاء فما تزال غنيمة منه يجىء بها إليك بشير وهذا أيضاً شعر تكسبى هم صاحبه كسب

الميل ونيل الجوائز السنية من ملوك بنى أمية وولاتهم.

هباتهم للمغنين والمطربين

كما أجزل الأمويون العطاء للشعراء، فقد أغدقوا الجوائز على المغنين الذين توافدوا عليهم من شتى البلدان. فقد أعطى الوليد بن يزيد معبداً المغنى اثنى عشر ألف ديناراً [۲۳] واستقدم جميع مغنى ومغنيات الحجاز وأغدق عليهم الجوائز الكثيرة [۲۴] من هؤلاء وفد على يزيد بن عبد الملك معبدٌ ومالك بن أبى السمح وابن عائشة فأمر لكل واحد منهم بألف دينار [۲۵] . وطلب الوليد المفتى يونس الكاتب فذهب إليه وغناه فأعجب بغنائه، فأجازه بثلاثة آلاف دينار [۲۶] وهكذا كما ترى كانت تتفرق ثروات الأمة الإسلامية على المغنين والمطربين والعابثين من أجل نزوات الملوك الرخيصة ورغباتهم الحقيرة. وذلك فى وقت أخذ الفقر والبؤس فيه يشد على خناق المواطنين، ولم يعد للاقتصاد الإسلامى أى وجود فى واقع الحياة العامة. ولا يخفى أن هذه صفات الحكم الدكتاتورى الذى يسير وراء الأهواء والعواطف ولا يتقيد بقانون أو دين أو أخلاق.

شيوع الغناء

شاع الغناء فى المدينة المنورة حتى أصبحت مركزاً له ومقصداً للمغنين والمغنيات من شتى البلدان. قال أبو الفرج الأصفهانى: إن الغناء فى المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم [۲۷] وقال أبو يوسف لبعض أهالى المدينة: ما أعجب أمركم يا أهل المدينة، فى هذه الأغانى، ما منكم شريف ولا دنىء يتحاشى عنها [۲۸] . وكان العقيق إذا سال، وأخذ المغنون يلقون أغانيهم لم يبق فى المدينة مخبأة، ولا شابة ولا شاب، ولا كهل إلا خرج ببصره ويسمع الغناء [۲۹] ومن طريف ما ينقل أنه شهد عند عبد العزيز المخزومى، قاضى يثرب دحمان المغنى الشهير لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق فأجاز القاضى شهادته وعدله، فقال له العراقى: إنه يغنى ويعلم الجوارى الغناء، فقال القاضى: غفر الله لنا ولك، وأينا لا يتغنى [۳۰] . وكان فقيه المدينة مالك بن أنس له معرفة تامة بالغناء، فقد روى حسين بن دحمان الأشقر، قال: كنت بالمدينة فخلا لى الطريق وسط النهار فجعلت أغنى: ما بال أهلك يا رباب خزراً كأنهم غصاب [۳۱] . قال: فإذا خوخةً قد فتحت، وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء، فقال: يا فاسق أسأت التأدية، ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة، ثم اندفع يغنى فظننت أن طويساً قد نشر بعينه، فقلت له: أصلحك الله من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نشأت وأنا غلام حدث أتبع المغنين وآخذ عنهم، فقالت لى أمى: إن المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء، وأطلب الفقه، فإنه لا يضر معه قبح الوجه، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء. فقلت له: فأعد جعلت فداك، فقال: لا، ولا كرامة، أتريد أن تقول: أخذته عن مالك بن أنس، وإذا هو مالك بن أنس، ولم أعلم. وسواء أصحت هذه الرواية أم لا تصح، وسواء أوضعها الحاقدون على مالك أم نقلوها للحط من شأنه، فإن الذى لا ريب فيه أن المدينة المنورة فى العصر الأموى كانت مركزاً مهماً من مراكز الغناء فى العالم الإسلامى، ومعهداً خاصاً لتعليم الجوارى الغناء والرقص.

الغناء و الرقص

كانت تقام فى يثرب والمدينة حفلات الغناء والرقص لأشهر المغنين والمغنيات، وربما كانت مختلطة بين الرجال والنساء، ولم توضع بينهما ستارة [۳۲] . روى أبو الفرج قال: إن جميلة جلست يوماً، ولبست برنساً طويلاً، وألبست من كان معها برانس، ثم قامت ورقصت، وضربت بالعود، وعلى رأسها البرنس الطويل، وعلى عاتقها بردة يمانية، وعلى القوم أمثالها وقام ابن سريج يرقص، ومعبد، والغريدى، وابن عائشة، ومالك، وفى يد كل منهم عود يضرب به على ضرب جميلة، ورقصها، فغنت وغنى القوم على غنائها، ثم دعت بثياب مصبغة، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، وتمشت ومشى القوم خلفها، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد [۳۳] وكانت عائشة بنت طلحة

تقیم احتفالات مختلطة من الرجال والنساء، وتغنی فیها عزة المیلا [۳۴] .

تأثر أهل المدینة بالغناء

سمع عمر بن أبی ربیعة صوتاً من جمیلة فشق قمیصه إلی أسفله فصار قباءاً وهو لا یدری [۳۵] ویزید بن عبد الملک اشتری المغنیة (سلامة القس) من مولاها بعشرین ألف دینار [۳۶] ثم خرج أهل المدینة لتودیعها، وقد ملؤوا رحبة القصر، فوقفت بینهم وغنتهم: فارقونی وقد علمت یقیناً ما لمن ذاق میتة من إیاب والناس وراءها ینتحبون ویبکون کلما رددت هذا الصوت. ویزید بن عبد الملک اشتری المغنیة والراقصة (حبابة) فجعلت تغنی عنده، وکان إلی جانبه الذی باعها، وهو من أهل المدینة فعرض لحیته إلی شمعة فاحترقت ولم یحس بها من شدة الطرب. وقد نقل لنا المؤرخون الکثیر من النوادر عن شدة تأثر أهل المدینة بالغناء والطرب.

تعلیم الغناء فی یثرب

کانت یثرب فی عهد الأمویین تعج بالمغنیین والمغنیات وکن یقمن بدور فعال فی تعلیم الغناء للفتیان والفتیات، فانتشر الغناء وانتشر معه المجون والفساد. ومن المؤسف حقاً أن مدینة النبی (صلّی الله علیه وآله وسلّم) صارت فی العصر الأموی مرکزاً للحیاة العابثة، وکان من المؤمل أن تکون مصدر إشعاع للثقافة الدینیة ومرکزاً هاماً للتطور الفکری والحضاری فی العالم العربی والإسلامی، إلا أن ملوک بنی أمیة انتوعوا منها هذه الظاهرة الکریمة وأفقدوها زعامتها السیاسیة والاجتماعیة والدینیة. ویبدو أن ترکیز الأمویین علی تدفق الجواری وإشاعة الغناء فی هذه المدینة بالذات القصد منه هو تلهی الشباب بهذه الأمور وإبعادهم عن المطالبة بالخلافة والحکم. فالمال لدیهم، والجواری عندهم، ودور الغناء والرقص موجودة للتلهی وإضاعة الوقت، ولماذا الحروب والقیام بالثورة، هکذا کان یفکر الحکم الأموی. إلا أنهم توهموا ذلک حیث قامت الثورات من کل جانب فکانت ثورة التوابین الذین ندموا أشد الندم علی ترکهم نصرة الحسین (علیه السّلام). وثورة المختار، وثورة ابن الزبیر...

مجون الأمویین

عاش ملوک بنی أمیة کالقیاصرة والأکاسرة، حیاة کلها لهو وعبث، فامضوا لیالیهم بشرب الخمور وإقامة حفلات الغناء والرقص، وکان أول من آوی المغنین وشجع الغناء من بنی أمیة یزید بن معاویة الذی بذل أبوه کل جهد حتی سلمه زمام الحکم. فقد کان یطلب المغنین والمغنیات من المدینة إلی الشام [۳۷] ، ویتجاهر بالفسق والفجور ویشرب الخمر علناً لا یخاف لا من ربه ولا من مجتمعه. ومن مجانهم المعروفین الولید بن یزید الذی باع عقله للشیطان وعاش متهتکاً فاسقاً فارغاً من کل القیم الأخلاقیة. طلب المغنی المعروف ابن عائشة فغناه بصوت رخیم، فطرب الأمیر الأموی علی غنائه حتی فقد صوابه. فقال للمغنی: أحسنت، أحسنت، ثم نزع ثیابه، فألقاها علیه، وبقی مجرداً إلی أن أتوه بمثلها، ووهب له ألف دینار، وحمله علی بغله، وقال: ارکبها بأبی أنت، وانصرف، فقد ترکتنی علی مثل (المقلی) من حرارة غنائک [۳۸] . ثم استقدم مغنیاً آخر، عطرداً، ولما سمع منه أحد أصواته شق علیه حلة وشیء، ورمی بنفسه فی برکة خمر، فما زال بها حتی أخرج کالمیت سکراً، ولما أفاق قال لعطرد: کأنی بک قد دخلت المدینة، فقمت فی مجالسها وقعدت، وقلت: دعانی أمیر المؤمنین، فدخلت علیه فاقترح علی فغنیته وأطربته، وشق ثیابه، وفعل، والله لئن تحرکت شفتاک بشیء مما جری فبلغنی لأضربن عنقک، ثم أعطاه ألف دینار فأخذها وانصرف إلی المدینة [۳۹] . ومن مجانهم أیضاً یزید بن عبد الملک، فقد طلب ابن عائشة فلما مثل عنده أمره بالغناء، فغناه صوتاً طرب منه حتی ألحد فی طربه، وقال لساقیه: اسقنا بالسماء الرابعة [۴۰] هکذا أشاع هؤلاء الملوک الفسق والفجور فی جمیع أنحاء العالم الإسلامی وبصورة خاصة فی یثرب للقضاء علی قدسیتها، وما تتمتع به من مکانة مرموقة فی نفوس المسلمین لکنهم فشلوا لأن کلمة الله هی العلیا وأنصار الحق لا یهزمون مهما صادفوا من ظلم وجور وطغیان، بل

حمدوا وجاهدوا وأعطوا دروساً فی التضحیة والفداء ما زالت مشاعل مضیئة علی دروب المجاهدین.

مواقف الإمام من هذه التیارات

اشاره

أمام هـذه التیارات الفاسـدة المـدمرة للأخلاق والقیم الإنسانیة، کان موقف الإمام زین العابدین (علیه السّـلام) متسـماً بالقوة والصـلابة والجرأة، فقـد سـلط علیها أشـعة من روحه المقدسـة التی تفیض بها الصـحیفة السـجادیة. فهی بحق تربیـة أخلاقیة واجتماعیة وسیاسـیة وروحیة، وذلک بما حوته من وعظ وإرشاد، وما اشـتملت علیه من قیم الإسلام وهدی أهل البیت (علیهم السلام). لقد وقفت الصحیفة السـجادیة سداً منیعاً لحمایة الإسـلام وصیانته من ذلک التفسخ الجاهلی الذی أوجده الحکم الأموی فقد نعت علی الأمة ما هی فیه من الانحطـاط الفکری والاجتمـاعی ودعتهـا إلی الانطلاـق والتحرر من ذل المعصـیة إلی عز الطاعـة طاعـة الله العلی القـدیر خـالق الکـون وواهب الحیاة. یضاف إلی الصـحیفة السـجادیة سیرة الإمام التی کانت تحکی سـیرة جده الرسول الأعظم (صـلّی الله علیه وآله وسلّم) ومواقفه المحقـة التی ترشـد الضال وتهـدی الحائر إلی الطریق القویم. لکن نظراً للحالة السیاسـیة والاجتماعیة القلقة والمشـحونة بالفتن والحروب والثـورات الـتی کـانت تحیط بالإمـام زین العابـدین ووجـوده بین الأمـة المظلومـة، وبین الملوک والأـمراء القسـاة، الجفـاة، المنحرفین عن الإسلام والذین یسومون الناس أنواع البلاء، ففی خضم هذه التیارات کان موقف الأمام (علیه السّلام) صعباً جداً وحرجاً للغایـة. ها هی واقعـة کربلاء ماثلة أمام عینیه بدمائها ودموعها وأحزانها... وها هی وقعة الحرة واسـتباحة المدینة یعایش آلامها وأحزان أهلها، وها هی الکعبة تضرب بالنار وبالمجانیق. وهکذا کان أسلوب الحکام والملوک فی عهده، أما أنصاره فلا یجد لهم أثراً ولا یجد الرجل الذی یقف معه موقفاً مؤیداً حتی الشـهادة. حقاً لقد کان موقف الإمام صـعباً جداً حیث یضـطر فی کثیر من الأحیان إلی اللجوء إلی الکعبـة فیتعلق بأسـتارها ویـدعو الله دعاءً حاراً خالصاً. کما کان یلجأ فی أحیان أخری إلی قبر جده رسول الله (صـلّی الله علیه وآله وسلّم) یدعوه ویتهجد ویتعبد فتنفرج الأزمات ویجعل الله من بعد العسر یسراً.

الامام مع ملوک عصره

اشاره

کان موقف الإمام السـجاد من ملوک عصـره موقف الحازم الحاسم الـذی لا یساوم ولا یداهن فی دین الله وفی شـریعة الله، فلم یتقرب من الملوک ولم یمـدحهم، بل کان موقفه الحـذر منهم والصـلابة تجاههم... وفی أکثر الأحیان یسـدی النصـیحة لهم خدمـة للإسـلام والمسـلمین. کان أکثر ملوک بنی أمیة احتکاکاً به هو عبد الملک بن مروان وقد عاصـر الإمام (علیه السّـلام) عشـرین سنة اتبع خلالها عبد الملک أسالیب ملتویة عدیدة:

الترهیب

اتبع عبد الملک مع الإمام أسلوب التهدید والترهیب منها: الاعتقال والتضییق والإرهاب الجسدی. قال الزهری: شهدت علی بن الحسین (علیه السّـلام) یوم حمله عبـد الملـک بن مروان من المدینـة إلی الشـام، فأثقله حدیـداً ووکل به حفاظاً فی عـدّة وجمع فاسـتأذنهم فی التسـلیم والتودیع له فـأذنوا فـدخلت علیه، والأقیـاد فی رجلیه والغـل فی یـدیه فبکیت وقلت: وددت أنی مکانـک وأنت سالم، فقال: یا زهری أو تظن هـذا بمـا تری علیّ وفی عنقی یکرینی؟ أمـا لو شـئت مـا کـان فإنه وإن بلغ بک ومّن أمثالک لیـذکرنی عـذاب الله، ثم أخرج یـدیه من الغـل ورجلیه من القیـد ثم قـال: یـا زهری لا حراث معهم علی ذا منزلتین من المدینـة، قال: فما لبثنا إلا أربع لیالٍ حتی

قدم الموكلون يطلبونه بالمدينة فما وجدوه. فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لى بعضهم: إنا نراه متبوعاً، إنه لنازل، ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة. فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألنى عن على بن الحسين فأخبره فقال: إنه قد جاءنى فى يوم فقد الأعوان فدخل على فقلت: أقم عندى، فقال: لا أحب، ثم خرج فوالله لقد امتلأ ثوبى منه خيفة. قال الزهرى: فقلت: ليس على بن الحسين (عليه السّلام) حيث تظن أنه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به) [۴۱] وتابع عبد الملك مع الإمام (عليه السّلام) الإرهاب النفسى فأرسل الرسائل والكتب وبعث له الوفود يتوعده ويتهدده بقطع رزقه. من افتراءات عبد الملك على الإمام: (بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عنده فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة فأبى عليه، فكتب عبد الملك يهدده وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه (عليه السّلام): أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقال جل ذكره: (إن الله لا يحب كل خوان كفور) فانظر أينا أولى بهذه الآية [۴۲] . لم تؤثر أساليب عبد الملك مع الإمام (عليه السّلام)، بل زادته صلابة وحزماً والتجاءاً إلى الله تعالى. فكان موقفه الرافض بل وصف عبد الملك استيحاء من الآية بأنه خوان كفور!!...

الترغيب

ولما لم ينفع الترهيب، اتبع عبد الملك مع الإمام (عليه السّلام) أسلوباً آخر وهو الترغيب بالمال والعطايا السخية وإرجاع حقوق أهل البيت (عليهم السلام) المغصوبة، ظناً منه بأن يستدرج الإمام (عليه السّلام) ويستميله إلى جانبه. ولكن هيهات أن ينفع هذا الأسلوب مع أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة والمبدأ الثابت الرصين. روى عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: (لما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة رد إلى على بن الحسين (عليه السّلام) صدقات رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وصدقات أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام). وكانت مضمومتين [۴۳] . والآن ماذا على عبد الملك أن يفعل، فلا الترهيب أثر به على الإمام المعصوم (عليه السلام) ولا الترغيب، فتركه وشأنه عندما وصل إلى مرحلة العجز.

العجز

عرفنا إن الأساليب التى اتبعها عبد الملك مع الإمام ترهيباً وترغيباً لم تجده نفعاً، ولم تغير موقفه، ذلك أن روحيه أئمة الهدى ومواقفهم ثابتة ومعروفة تجاه الحق. فلم يبق لعبد الملك بن مروان إلا أن يترك الإمام وشأنه ولا يتعرض له. بل أوصى ولاته بترك أهل البيت (عليه السّلام) وشأنهم وعدم التعرض لهم... قال أبو عبد الله (عليه السّلام): لما ولى عبد الملك بن مروان واستقامت له الأمور كتب إلى الحجاج بن يوسف: (أما بعد فجنبنى دماء بنى عبد المطلب فإنى رأيت آل أبى سفيان لما ولغوا فيها لم يلبثوا بعدها إلا قليلاً والسلام). وكتب الكتاب سراً دون أن يعلم به أحد وأرسل به مع البريد إلى الحجاج وإليه على الكوفة. وأخبر أن عبد الملك قد زيد فى ملكه برهة من دهره لكفه عن بنى هاشم وأمر أن يكتب ذلك إلى عبد الملك ويخبره بأن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أتاه فى منامه وأخبره بذلك، فكتب على بن الحسين (عليه السّلام) إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك) [۴۴] .

تعامل الإمام مع الحكام

ورد معنا أن الأسلوب الذى اتبعه الإمام (عليه السّلام) مع الملوك هو الحذر والحزم وعدم المداهنة فى دين الله. فكان يجهر بالحق علانية أمام أولئك الملوك فيظهر أخطائهم ويبين لهم عاقبتهم المزرية يوم القيامة، يومئذٍ يكون الملك لله الواحد القهار... فلم يتقرب إليهم الإمام (عليه السّلام) ولم يجاملهم. لكن حينما تكون هناك مصلحة إسلامية ودفاع عن بيضة الإسلام فلا يتوانى (عليه السّلام) فى تقديم المشورة أو النصيحة، كما كان يفعل جده أمير المؤمنين، على بن أبى طالب (عليه السّلام) حيث كان يقدم الخبرة والمشورة

للخليفتين: ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب مع غصبهم لحقه. لكن مصلحة الإسلام فى نظره (عليه السّلام) أهم وأفضل من كل مصلحة. وكان يحل لهما المعضلات فى الحكم والقضاء. هكذا كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهكذا فعل حفيده زين العابدين. من هذه الاستشارات التى قدمها الإمام زين العابدين لعبد الملك بن مروان طريقة صك النقود، والرد على ملك الروم وتفصيل ذلك: (استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره فى جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة والقراطيس) [۴۵] . نستشف ذلك من الرواية التالية: (كتب ملك الروم إلى عبد الملك: أكلت لحم الجمل الذى هرب عليه أبوك من المدينة. لأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف، فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين (عليه السّلام) ويتوعده ويكتب إليه ما يقول ففعل وقال (عليه السّلام): (إن الله لوحاً محفوظاً يلحظه فى كل يوم ثلاثماية لحظة، ليس منها لحظة إلا يحيى فيها ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، وإنى لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة، فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا إلا من كلام النبوة) [۴۶] .

تعامل الإمام مع الولاة

الولاة يمثلون ملوكهم الجبابرة الطغاة فهم نسخة طبق الأصل من ظلمهم وانحرافهم عن الإسلام، بل فاقوا ملوكهم بعض الأحيان فى الظلم والجور، كما هو الحال مع الحجاج وعبيد الله بن زياد وهشام بن إسماعيل ومسرف بن عقبة. فكان الإمام (عليه السّلام) يتخذ الموقف نفسه منهم ألا وهو الحذر وعدم المجاملة ذلك كان الطابع العام لسياسته معهم. وفى أغلب الأحيان كان يستخدم الدعاء لدفع كيدهم ورد ظلمهم، فكان هذا الأسلوب مثمراً جداً. عن عمر بن على، عن أبيه، على بن الحسين (عليه السّلام): كان يقول: لم أر مثل التقدم فى الدعاء، فإن العبد ليس تحضره الإجابة فى كل وقت وكان مما حفظ عنه (عليه السّلام) من الدعاء حيث بلغه توجه مسرف بن عقبة إلى المدينة (رب كم من نعمة أنعمت بها على قلّ عندها شكرى، وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك عندها صبرى، فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى، وقل عند بلائه صبرى فلم يخذلنى، يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبداً ويا ذا النعماء التى لا تحصى عدداً. صل على محمد وآل محمد وادفع عنى شره فإنى أذرأ بك فى نحره وأستعيذ بك من شره). فقدم مسرف بن عقبة المدينة وكان يقال لا يريد غير على بن الحسين (عليه السّلام) فأتاه فلما صار إليه قرّبه وأكرمه، وحباه ووصله. وقال له: أوصانى أمير المؤمنين ببرك وتمييزك من غيرك فجزاه خيراً ثم قال: أسرجوا له بغلتى وقال له: انصرف إلى أهلك فإنى أرى أن قد أفزعناهم وأتعبناك بمشيك إلينا ولو كان بأيدينا ما نقوى به على صلتك بقدر حقك لوصلناك فقال على بن الحسين (عليه السّلام): ما أعذرنى للأمير، وركب، فقال مسرف لجلسائه: هذا الخير الذى لا شر فيه مع موضعه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومكانه منه) [۴۷] . وكان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) لا يلزم نفسه بالدعاء فقط بل يوصى الآخرين من أهل بيته وخاصته، وأصحابه وشيعته، يوصيهم بالتعرض لنفحات الله عند الوقوع فى شدة أو مصيبة. فكان الدعاء عنده سلاحاً ناجعاً ضد الطغاة والظالمين والمنحرفين عن الإسلام من ملوك بنى أمية وولاتهم. كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامله على المدينة صالح بن عبد الله المرى: أبرز الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب - وقد كان محبوساً فى حبسه - واضربه فى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خمسمائة سوط، فأخرجه صالح إلى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح المنبر يقرأ الكتاب ثم ينزل فيأمر بضرب الحسن، فبينما هو يقرأ الكتاب إذ دخل على بن الحسين (عليه السّلام) فأفرج الناس عنه، لهيبته وتقاه حتى انتهى إلى الحسن، فقال له: يا بن عم ادع الله بدعاء الكرب يفرّج عنك، فقال: ما هو يا بن عم؟ فقال (عليه السّلام): قل وذكر الدعاء... قال وانصرف على بن الحسين (عليه السّلام) وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال: أرى سجية رجل مظلوم أخّروا أمره وأنا أراجع أمير المؤمنين فيه، وكتب صالح إلى الوليد فى ذلك، فكتب إليه الوليد وأطلقه [۴۸] . والولاة كانوا يأتمرون بأمر الملوك، فكانوا يؤذون الإمام زين العابدين (عليه السّلام) ويتفننون فى إيذائه، ثم إذا انقلب الزمان عليهم ودارت دائرتهم، فأخرجوا من إمارتهم أو انتصر عليهم غيرهم وتمكن منهم

كان جواب الإمام (عليه السلام) الصفح عنهم وعدم التعرض إليهم مع إيذائهم وتهديدهم... (كان هشام بن إسماعيل يؤذى على بن الحسين فى إمارته، فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للنّاس فقال: ما أخاف إلا من على بن الحسين، فمر به على بن الحسين وقد وقف عند دار مروان، فتقدم إلى خاصته ألا يعرض أحد منكم بكلمة، وقال له (عليه السّلام): أنظر إلى ما أعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا. فنادى هشام: الله أعلم أين يجعل رسالته) [۴۹] .

سيرة الإمام زين العابدين، صفحات من نور

النسب

هو الإمام المعصوم الرابع على ابن الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. والمعروف بين المحدثين بابن الخيرتين فأبوه: الحسين بن على بن أبى طالب وأمه من بنات ملوك الفرس. جاء ربيع الأبرار للزمخشرى (إن لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب بنو هاشم. ومن العجم فارس).

امه

اتفقت الروايات على أن أمه من أشراف الفرس، ولكنها اختلفت فى تاريخ الاستيلاء عليها من قبل المسلمين. هى: شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى. قال فيه أبو الأسود الدؤلى: وإن غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم

ولادته

جاء فى بعض الروايات أن ولادة على بن الحسين (عليهما السلام) يوم الجمعة ويقال يوم الخميس [۵۰] بين الخامس والعاشر من شهر شعبان [۵۱] سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين من الهجرة [۵۲] .

كنيته

أبو محمد ويكنى بـ(أبى الحسن) أيضاً.

القابه

زين العابدين والسجاد وذو الثفنات والبكاء والعابد ومن أشهرها زين العابدين وبه كان يعرف كما يعرف باسمه. جاء فى المرويات عن الزهرى أنه كان يقول: (ينادى مناد يوم القيامة ليقيم سيد العابدين فى زمانه فيقوم على بن الحسين (عليه السّلام) ولقب بذى الثفنات لأن موضع السجود منه كانت كثفنة البعير من كثرة السجود عليه [۵۳] . أما عن تسميته بالبكاء يروى الرواة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) أنه قال: (بكى على بن الحسين على أبيه عشرين سنة ما وضع خلالها بين يديه طعام إلا بكى. وقال له بعض مواليه: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنى أخاف أن تكون من الهالكين، فقال: إنما أشكوا بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنى لم أذكر مصرع أبى وإخوتى وبنى عمومتى إلا خنقتنى العبرة. وقد روى الرواة كثيراً عن حزنه وبكائه فكان كلما قدم له طعام وشراب يقول: كيف آكل وقد قتل أبو عبد الله جائعاً، وكيف أشرب وقد قتل أبو عبد الله عطشاناً. وكان كلما اجتمع إليه جماعة أو وفد يردد (عليهم) تلك المأساة ويقص عليهم من أخبارها. وأحياناً يخرج إلى السوق فإذا رأى جزاراً يريد أن يذبح شاة أو غيرها يدنو منه ويقول: هل سقيتها الماء؟ فيقول له: نعم يا بن رسول الله إنا لا نذبح حيواناً حتى نسقيه ولو قليلاً من الماء، فيبكى عند

ذلك ويقول: لقد ذبح أبو عبد الله عطشاناً. كان يحاول فى أكثر مواقفه هذه أن يشحن النفوس ويهيئها للثورة على الظالمين الذين استباحوا محارم الله واستهزأوا بالقيم الإنسانية والدعوة الإسلامية من أجل عروشهم وأطماعهم وقد أعطت هذه المواقف المحقة ثمارها وهيأت الجماهير الإسلامية فى الحجاز والعراق وغيرها للثورة.

امامته

روى الكلينى بإسناده عن أبى جعفر (عليه السّلام) قال: (إن الحسين بن على (عليهما السلام) لما حضره الذى حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين (عليه السّلام) فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان على بن الحسين (عليهما السّلام) مبطوناً معهم لا يرون إلا أنه لما به فدفعت فاطمة الكتاب إلى على بن الحسين (عليه السّلام) ثم صار ذلك الكتاب إلينا يا زياد! قال: قلت: ما فى ذلك الكتاب جعلنى الله فداك؟ قال: فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الدنيا والله إن فيه الحدود حتى إن فيه أرش الخدش [۵۴] كما روى المجلسى بإسناده عن محمد بن مسلم قال: (سألت الصادق جعفر بن محمد (عليه السّلام) عن خاتم الحسين بن على (عليهم السلام) إلى من صار، وذكرت له إنى سمعت أنه أخذ من إصبعه فيما أخذ قال (عليه السّلام): ليس كما قالوا، إن الحسين أوصى إلى ابنه على بن الحسين (عليه السّلام) وجعل خاتمه فى إصبعه وفوّض إليه أمره كما فعله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأمير المؤمنين (عليه السّلام) وفعله أمير المؤمنين بالحسن (عليهما السلام)، وفعله الحسن بالحسين (عليهما السلام)، ثم صار ذلك الخاتم إلى أبى بعد أبيه، ومنه صار إلى فهو عندى، وإلى لألبسه كل جمعة وأصلى به، قال محمد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلى فلما فرغ من الصلاة مد إلى يده فرأيت فى إصبعه خاتماً نقشه: لا إله إلا الله عدة للقاء الله. فقال: هذا خاتم جدى أبى عبد الله الحسين بن على [۵۵] .

اولاده

روى الشيخ المفيد أن أولاد على زين العابدين (عليه السّلام) خمسة عشر بين ذكر وأنثى. أحد عشر ذكراً وأربع بنات [۵۶] أكبرهم سناً وقدراً الإمام محمد بن على الملقب بـ(الباقر). أمه فاطمة بنت الإمام الحسن (عليه السّلام) أولدت له أربعة هم: الحسن والحسين ومحمد الباقر وعبد الله وبه كانت تكنى. ومما يبدو أن أكبر أولاده محمد الباقر ولد له سنة سبع وخمسين هجرية وكان له من العمر عندما استشهد جده الحسين (عليه السّلام) فى كربلاء ثلاث سنوات. وله من الذكور أيضاً زيد وعمر وأمهما أم ولد. والحسين الأصغر. وعبد الرحمن وسليمان أمهما أم ولد. ومحمد الأصغر وعلى الأصغر وكان أصغر أولاده الذكور. وخديجة وفاطمة وعليّة وأم كلثوم أمهن أم ولد. وأما زيد بن على الشهيد فقد نشأ فى بيت الإمام زين العابدين حفيد الإمام على بن أبى طالب باب مدينة العلم. هذا البيت الذى يعد مهد العلم والحكمة. تعلم فيه القرآن الكريم فحفظه واتجه إلى الحديث الشريف فتلقاه عن أبيه حتى أصبح بعد فترة واسع العلم والمعرفة. وبعد أن تركه والده فى حدود الرابعة عشرة من عمره تعهده أخوه الإمام الباقر فزوده بكل ما يحتاج من الفقه والحديث والتفسير حتى أصبح من مشاهير علماء عصره ومرجعاً معروفاً لرواد العلم والحديث والحكمة والمعرفة. سافر إلى البصرة عدة مرات وناظر علماءها ومنهم واصل بن عطاء رأس المعتزلة يوم ذاك، ناظره فى أصول العقائد. وقد طلبه هشام بن عبد الملك إلى الشام وكان مجلسه حافلاً بأعيان أهل الشام وخاصته، فقال له: بلغنى أنك تؤهل نفسك للخلافة وأنت ابن أمة، فأجابه زيد بن على على الفور: ويلك يا هشام أمكان أمى يضعنى؟ والله لقد كان اسحق ابن حرة وإسماعيل ابن أمة ولم يمنعه ذلك من أن بعثه الله نبياً وجعل من نسله سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله، إن الأمهات يا هشام لا يقعدن بالرجال عن الغايات, اتق الله فى ذرية نبيك. فغضب هشام وقال: ومثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله؟ فرد عليه زيد بقوله: إنه لا يكبر أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ولا يصغر دون أن يوصى بتقوى الله. ومضى زيد فى طريقه إلى الكوفة ثم إلى البصرة وأرسل رسائله ورسله إلى المدائن والموصل وغيرهما وانتشرت

دعوته فی سواد العراق ومدنه ولما بلغ أمره هشام بن عبد الملک أرسل إلی والیه علی العراق یوسف بن عمر یأمره بمضایقة زید ومطاردته وحدثت معرکة أصیب فیها زید فدفنه أصحابه فی مجری ماء حتی لا یصلب أو یحرق، لکن ذلک لم یفده. أحدث قتله استیاءً عاماً فی جمیع المناطق الإسلامیة وتجدد البکاء علی أهل البیت ولف الحزن کل من یحبهم ویسیر علی خطاهم. وممن تحدثت عنهم کتب الأنساب من أولاد الإمام علی زین العابدین عبد الله بن علی الملقب بالباهر: کان فاضلاً فقیهاً روی عن آبائه وأجداده أحادیث کثیرة. روی بعضهم قال: سألت أبا جعفر الباقر: أی إخوانک أحب إلیک وأفضل؟ فقال: أما عبد الله فیدی التی أبطش بها، وأما عمر فبصری الذی أبصر به. وأما زید فلسانی الذی أنطق به، وأما الحسین فحلیم یمشی علی الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وکان عبد الله یلی صدقات رسول الله وصدقات أمیر المؤمنین [۵۷] وأما عمر فقد کان ورعاً جلیلاً وسخیاً کریماً تولی صدقات جده (علیه السّلام) واشترط علی کل من یبتاع ثمارها أن یثلم فی الحائط ثلمة لکی تأکل منها المارة ولا یرد أحداً عنها، ویروی عنه أنه قال: المفرط فی حبنا کالمفرط فی بغضنا أنزلونا بالمنزل الذی أنزلنا الله به ولا تقولوا فینا ما لیس بنا إن یعذبنا الله فبذنوبنا وإن یرحمنا فبرحمته وفضله علینا. وأما الحسین بن علی (علیه السّلام) فإنه کان فاضلاً ورعاً یروی عن أبیه علی بن الحسین وعمته فاطمة بنت الحسین (علیه السّلام) التی أودعها الحسین عند خروجه من المدینة إلی کربلاء وصیته، کما روی عن أخیه أبی جعفر الباقر. وقد عدّه الشیخ الطوسی فی رجاله من أصحاب الباقر والصادق (علیهما السّلام) [۵۸] . والإمام محمد بن علی زین العابدین المعروف بالباقر عاش سبعة وخمسین عاماً أدرک فیها جده الحسین (علیه السّلام) ولزمه نحواً من أربع سنوات وعاش مع أبیه السجاد بعد جده خمساً وثلاثین سنة وفی طفولته کانت المحنة الکبری التی حلت بأهل البیت فی کربلاء واستشهد فیها جده الحسین ومن معه من إخوته وبنی عمه وأصحابه (علیهم السّلام) جمیعاً وتجرع هو مرارتها وشاهد بعدها جمیع الرزایا والمصائب التی توالت علی أهل بیته من قبل الحکام الطغاة الذین تنکروا للقیم والأخلاق وجمیع المبادئ الإسلامیة وعاثوا فساداً فی البلاد ولم یترکوا رذیلة واحدة إلا مارسوها بشتی أشکالها ومظاهرها، فی قصورهم الفخمة الأنیقة ونواديهم القذرة الفاجرة. فی هذا الجو المشحون بالظلم والقهر والفساد وجد الإمام الباقر (علیه السّلام) وقد علمته الأحداث الماضیة مع آبائه وأجداده خذلان الناس له فی ساعات المحنة أن ینصرف عن السیاسة ومشاکل السیاسیین ومؤامراتهم إلی خدمة الإسلام ورعایة شؤون المسلمین عن طریق الدفاع عن أصول الدین الحنیف ونشر تعالیمه وأحکامه فناظر الفرق التی انحرفت فی تفکیرها واتجاهاتها عن الخط الإسلامی الصحیح کمسألة الجبر والإرجاء التی روّجها الحکام لمصالحهم الشخصیة. لقد فرضت علیه مصلحة الإسلام العلیا أن ینصرف إلی الدفاع عن العقیدة الإسلامیة فالتف حوله العدید من العلماء والکثیر من طلاب العلم والحدیث من الشیعة وغیرهم. کان عالماً عابداً تقیاً ثقة عند جمیع المسلمین، روی عنه أبو حنیفة وغیره من أئمة المذاهب المعروفة [۵۹] . جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاری أنه قال: لقد أخبرنی رسول الله بأنی سأبقی حتی أری رجلاً من ولده أشبه الناس به وأمرنی أن أقرأه السلام واسمه محمد یبقر العلم بقراً، ویقول الرواة إن جابر بن عبد الله کان آخر من بقی من أصحاب رسول الله، وفی آخر أیامه کان یصیح فی مسجد رسول الله یا باقر علم آل بیت محمد، فلما رآه وقع علیه یقبل یدیه وأبلغه تحیة رسول الله (صلّی الله علیه وآله وسلّم) [۶۰] . وقال فیه محمد بن طلحة القرشی الشافعی: محمد بن علی الباقر هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورفعه، صفا قلبه وزکا عمله وطهرت نفسه وشرفت أخلاقه وعمرت بطاعة الله أوقاته ورسخت فی مقام التقوی قدمه، فالمناقب تسبق إلیه والصفات تشرف به له ألقاب ثلاثة: باقر العلم، والشاکر والهادی وأشهرها الباقر وسمی کذلک لتبقره العلم وتوسعه فیه.

اخوته

کان للإمام علی بن الحسین (علیهما السّلام) أخوان علی الأکبر، وعبد الله الرضیع. وقد قتل علی الأکبر مع أبیه فی کربلاء، ولا بقیة له، وأمه کانت آمنة بنت أبی مرة بن عروة بن مسعود الثقفی، وأمها بنت أبی سفیان بن حرب. أما عبد الله الرضیع فأمه الرباب بنت امرئ

القيس وقد قتل أيضاً مع أبيه وأخيه يوم الطف [۶۱] .

اخواته

وكان له أختان أيضاً: سكينة وفاطمة، فسكينة أمها الرباب بنت امرئ القيس، وأما فاطمة فأمها أم اسحاق بن طلحة بن عبيد الله. فيكفى فى جلالتها كلام الإمام الحسين (عليه السّلام) مع ابن أخيه الحسن بن الإمام الحسن (عليه السّلام) لما جاء إليه خاطباً إحدى ابنتيه: أما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله، فلا تصلح لرجل [۶۲] كانت وفاتها فى المدينة سنة ۱۱۷هـ أمّا أختها فاطمة فيكفى فى فضلها كلام الإمام الحسين (عليه السّلام) مع ابن أخيه الحسن بن الإمام الحسن: أختار لك فاطمة فهى أكثر شبهاً بأمى فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أمّا فى الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار [۶۳] وفاتها فى المدينة سنة ۱۱۷هـ عن أكثر من سبعين سنة.

الى جنة المأوى

اشاره

لقد أجهد الإمام نفسه إجهاداً كبيراً وحملها من أمره رهقاً من كثرة عبادته وعظيم طاعته. أجمع المؤرخون أنه (عليه السّلام) قد قضى معظم حياته صائماً نهاره، قائماً ليله حتى وصل بعبادته وتهجده وتخضعه إلى درجة الفناء الكامل فى الله... فى الوقت نفسه كانت تلاحقه ذكريات كربلاء المؤلمة، وما جرى لأبيه سيد الشهداء (عليه السّلام) ولأهل البيت من النكبات الكبيرة والخطوب المريرة. وهل بإمكانه أن ينسى كلما نظر إلى عماته وأخواته فيتذكر فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة، ومنادى القوم ينادى: أحرقوا البيوت. كل هذه الذكريات الأليمة تثير أشد الحزن فى نفسه فيحزن ويذرف الدموع الحارة. لقد بكى على أبيه عشرين سنة حتى قال له مولاه: إنى أخاف عليك أن تكون من الهالكين. فقال (عليه السّلام): إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إنى لم أذكر مصرع بنى فاطمة إلا خنقتنى العبرة [۶۴] . ومن الطبيعى أن لذلك كله أثراً مباشراً على صحته التى أذابتها هذه المآسى القاسية. فكان كلما تقدم سن الإمام ازداد ضعفاً وذبولاً.

اغتياله بالسم

احتل الإمام زين العابدين قلوب الناس وعواطفهم فتحدث الناس بإعجاب عن علمه وفقهه وسائر ملكاته، وكان السعيد من تشرف بمقابلته والاستماع إلى حديثه لذلك نراه قد تمتع بشعبية هائلة فى عصره. وقد شق ذلك على الأمويين وأقضى مضاجعهم وكان من أكبر الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك. روى الزهرى أنه قال: (لا راحة لى، وعلى بن الحسين موجود فى دار الدنيا) [۶۵] . وقد صمم هذا الخبيث المجرم على اغتيال الإمام (عليه السّلام) بأى طريقة، ولما آل إليه الملك والسلطان بعث سماً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسه للإمام ونفذ عامله ذلك [۶۶] ، وقد تفاعل السم فى بدن الإمام، فأخذ يعانى أشد الآلام وأقساها، وبقى على فراش الموت عدة أيام يشكو بلواه إلى الله تعالى، ويدعو لنفسه بالمغفرة والرضوان، وقد تزاحم الناس لتفقده وعيادته، وهو (عليه السّلام) يحمد الله ويثنى عليه أفضل الثناء على ما رزقه من الشهادة على يد شر البرية الظالمين الطغاة الذين كان همهم الدنيا الفانية ومباهجها البراقة الزائفة.

وصيته لولده الإمام الباقر

عهد الإمام زين العابدين إلى ولده محمد الباقر (عليهما السّلام) بالإمامة، كما عهد إليه أيضاً بهذه الوصية القيمة فقال له: (يا بنى

أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة فقد قال لي: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله) [۶۷] . وأوصاه أيضاً بناقته، فقال له: إني حججت على ناقتي هذه عشرين حجة لم أقرعها بسوط، فإذا أنفقت فادفنها، لا تأكل لحمها السباع، فإن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: (ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة، وبارك في نسله) ونفذ الإمام الوصية [۶۸] . والوصية الأخيرة قال فيها (عليه السّلام): (أن يتولى بنفسه غسله وتكفينه وسائر شؤونه حتى يواريه في مقره الأخير).

الى جوار جده

اشتد المرض على الإمام (عليه السّلام) وثقل حاله من تفاعل السم في جسده الطاهر، وأخذ يعاني آلاماً مرهقة، فأخبر الإمام أهله في غلس الليل أن سوف ينتقل إلى الفردوس الأعلى، وأغمي عليه ثلاث مرات، فلما أفاق فقرأ سورة (الفاتحة) وسورة (إنا فتحنا) ثم قال (عليه السّلام): (الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين) [۶۹] . وانتقلت روحه الطاهرة إلى خالقها كما ترتفع أرواح الأنبياء والمرسلين، تحفها بإجلال وإكبار ملائكة الله، وألطافه تعالى لقد ارتفعت تلك الروح العظيمة إلى خالقها بعد كفاح مرير وسمت بألطاف الله وتحيته تاركة إضاءات منيرة على مفارق كل الدروب في هذه الدنيا بعلومها ومعارفها وعبادتها وتجردها من كل نزعات الميول الشخصية. لقد عمل الإمام (عليه السّلام) طول حياته في سبيل الله فأحب في الله وأبغض في الله وجاهد من أجل رفع كلمة الله بكل ما أوتي من قوة مباركة وعطاء خير.

تجهيزه

نفذ الإمام الباقر الوصية (عليه السّلام) بتجهيز جثمان أبيه، فغسل جسده الطاهر ورأى مواضع سجوده كأنها مبارك الإبل من كثرة سجوده لله تعالى، ونظر إلى عاتقه فكأنه مبارك الإبل أيضاً من أثر الجراب الذي كان يحمله على عاتقه ويوزعه على الفقراء والمحرومين [۷۰] وبعد الفراغ من غسله أدرجه في أكفانه وصلى عليه الصلاة المكتوبة.

تشييعه

جرى للإمام تشييع حافل لم تشهد يثرب له نظيراً، فقد شيعه جميع الناس من قريب وبعيد، التفت الجماهير حول النعش الكريم جازعين في البكاء والعويل بكل خشوع وإحساس عميق بالخسارة الكبرى. لقد فقدوا بموته عبقرية كبرى وخيراً عميماً، فقدوا تلك الروحانية الشفافة التي لم يخلق لها مثيل. ازدحم أهالي يثرب على الجثمان المقدس فالسعيد من يحظى بحمله، وهذا أحد الفقهاء السبعة في المدينة سعيد بن المسيب لم يفز بتشييع الإمام والصلاة عليه. وقد أنكر عليه ذلك حشرم مولى أشجع، فأجابه سعيد: أصلي ركعتين في المسجد أحب إلي من أن أصلي على هذا الرجل الصالح في البيت الصالح [۷۱] وما نراه أنه اعتذار مهلهل ذلك أن حضور تشييع جنازة الإمام (عليه السلام) الذي يحمل هدى الأنبياء وكرامة الأوصياء من أفضل الطاعات وأحبها إلى الله تعالى.

في المقر الأخير

وصل الجثمان الطاهر إلى بقيع الغرقد وسط هالة من التكبير والتحميد، فحفروا له قبراً بجوار قبر عمه الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والذي استشهد بالطريقة نفسها على يد معاوية بن أبي سفيان، صاحب القول المأثور (إن لله جنوداً من عسل). وأنزل الإمام الباقر جثمان أبيه إلى المقر الأخير وأنزل معه كنوز العلم والبر والتقوى، وروحانية أجداده المتقين عليهم أفضل الصلاة والسلام. وبعد الفراغ من دفن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) هرع الناس نحو الإمام الباقر

یعزونه ویشارکونه فی لوعته وأساه والإمام مع إخوته وسائر بنی هاشم یشکرون الجموع الغفیرة المعزیة علی مشارکتهم فی الخطب الجلل والمصاب العظیم الذی حل بهم. وإنا لله وإنا إلیه راجعون. (وسیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون).

عبادة الإمام علی زین العابدین

اشاره

قلنا إنه من أشهر ألقاب الإمام علی بن الحسین (علیهما السلام) السجاد وذی الثفنات. فالسجاد علی وزن فعّال تعنی کثرة السجود لأنه کان یقضی معظم أوقاته فی الصلاة التی قال عنها جده النبی المصطفی (صلّی الله علیه وآله وسلّم) إنها قرة عینه. وأما تسمیته بذی الثفنات، کما جاء فی الکافی للکلینی، إن الإمام الباقر (علیه السّلام) قال: کان لأبی فی موضع سجوده آثار ثابتة یقطعها فی کل سنة من طول سجوده وکثرته. وفی روایة الصدوق أنه کان یقطعها ویجمها وأوصی أن تدفن معه فی قبره. جاء فی مصادر عدة أنه (علیه السلام) کان إذا توضأ للصلاة یصفر لونه، فیقول له أهله: ما هذا الذی یعتادک عند الوضوء؟ فیقول: تدرون بین یدی من أرید أن أقوم؟ وإذا قام إلی الصلاة أخذته الرعدة، ویقول: أرید أن أقوم بین یدی ربی وأناجیه فلهذا تأخذنی الرعدة. ومرة وقع حریق فی البیت الذی هو فیه وکان ساجداً فی صلاته فجعلوا یقولون: یا بن رسول الله النار، النار، فما رفع رأسه من سجوده حتی أطفئت، فقیل له: ما الذی ألهاک عنها؟ فقال: نار الآخرة. أجمع الرواة عن کثرة عبادته وصلاته فجاء عن الکلینی فی الکافی قال: کان یصلی فی الیوم واللیلة ألف رکعة حتی مات ولقب بزین العابدین لکثرة عبادته وحسنها [۷۲] . وعن خشوعه وتقاه. قال أبو عبد الله (علیه السلام): (کان أبی یقول: کان علی بن الحسین صلوات الله علیهما إذا قام فی الصلاة کأنه ساق شجرة لا یتحرک منه شیء إلا حرکه الریح منه). ومن نظر إلیه وهو یصلی یخاله شبیهاً بأبیه الإمام الحسین (علیه السّلام) وبجدیه علی بن أبی طالب والنبی محمد الرسول الأکرم (صلّی الله علیه وآله وسلّم). قال أبو حمزة الثمالی: (رأیت علی بن الحسین (علیهما السّلام) یصلی فسقط ردائه عن أحد منکبه، قال: فلم یسوِّه حتی فرغ من صلاته قال: فسألته عن ذلک. فقال: ویحک أتدری بین یدی من کنت؟ إن العبد لا یقبل من صلاته إلا ما أقبل علیه منها بقلبه) [۷۳] . وقال الإمام الباقر (علیه السّلام): (کان علی بن الحسین یصلی فی الیوم واللیلة ألف رکعة وکانت الریح تمیله بمنزلة السنبلة، وکانت له خمسمائة نخلة وکان یصلی عند کل نخلة رکعتین، وکان إذا قام فی صلاته غشی لونه لون آخر، وقیامه فی صلاته قیام عبد ذلیل بین یدی الملک الجلیل، کانت أعضاؤه ترتعد من خشیة الله، وکان یصلی صلاة مودع یری أنه لا یصلی بعدها أبداً) [۷۴] . وجاء فی المصدر نفسه قال: (کان الإمام السجاد خریطة فیها تربة الحسین إذا قام فی الصلاة تغیر لونه فإذا سجد لم یرفع رأسه حتی یرفض عرقاً) [۷۵] . وقال الإمام الصادق (علیه السّلام): (ولقد دخل أبو جعفر علی أبیه (علیه السّلام) فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم یبلغه أحد وقد اصفر لونه من السهر ورمضت عیناه من البکاء ودبرت جبهته من السجود وورمت قدماه من القیام فی الصلاة. قال: فقال أبو جعفر: فلم أملک حین رأیته بتلک الحال من البکاء فبکیت رحمة له وإذا هو یفکر فالتفت إلی هنیة من دخولی فقال: یا بنی أعطنی بعض تلک الصحف التی فیها عبادة علی (أمیر المؤمنین) فأعطیته فقرأ فیها یسیراً ثم ترکها من یده تضجراً وقال: من یقوی علی عبادة علی بن أبی طالب) [۷۶] . قال الزهری: (کان علی بن الحسین (علیه السّلام) إذا قرأ (ملک یوم الدین) یکررها حتی یکاد یموت) [۷۷] . وکان الإمام السجاد یسجد علی تربة الحسین (علیه السّلام) لأن السجود علیها یخرق الحجب السبع ویقبل الله صلاة من سجد علیها ما لم یقبله من غیرها [۷۸] . ذلک أن الله تعالی فضل تربة سید الشهداء علی سائر البقاع حتی بیته المعظم. جاء فی الحدیث: إن أرض الکعبة افتخرت بنسبتها إلیه جل شأنه فأوحی إلیها الجلیل تعالی أنی خلقت أرضاً لولاها ما خلقتک ولولا ما تضمنته ما خلقت البیت الذی افتخرت به) [۷۹] . فاسجد علی تربته القدسیة فإن فیها الفضل والمزیة فنورها یخرق سبع الحجب یفوق نور نیرات الشهب ما سجد الصادق مهما صلی إلا علیها وکفانا فضلا [۸۰] . ولما شاهدته عمته فاطمة بنت علی بن أبی طالب ما ناء به

من الجهد فى العبادة خافت عليه من أذية نفسه وهلاكها وهو بقية السلف وحمى الأمن ومعقد الآمال ومفزع المستجير فاتت جابر بن عبد الله الأنصارى، وهو خاصتهم وصاحب جدهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). فلعله يستطيع أن يخفف العناء والجهد عن الإمام السجاد, فقالت له: يا صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إن لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً تذكرونه الله تعالى وتدعونه إلى البقيا على نفسه. وهذا على بن الحسين قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه إذ آبا منه لنفسه فى العبادة. فأتى جابر باب على بن الحسين فرأى على الباب أبا جعفر الباقر (عليه السّلام) فاستأذنه فى الدخول على أبيه. فدخل جابر على الإمام السجاد (عليه السّلام) وهو فى محرابه قد أنضته العبادة فنهض إليه الإمام وسأله عن حاله وأجلسه إلى جنبه. فقال له جابر: يا بن رسول الله أما علمت أن الله خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم؟ فما هذا الجهد الذى كلفته نفسك؟ فقال على بن الحسين: يا صاحب رسول الله: أما علمت أن رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له وتعبد بأبى هو وأمى حتى انتفخ الساق وورم القدم. فقيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أفلا أكون عبداً شكوراً. فلما نظر جابر إلى على بن الحسين لا يقبل قول من يستميله عن الجهد فى القصد، قال له يا بن رسول الله: البقيا على نفسك فإنك لمن أسرة بهم يستدفع البلاء ويستكشف اللأواء وبهم تستمطر السماء. فقال (عليه السّلام) يا جابر لا أزال على منهاج أبوى متأسياً بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما. فأقبل جابر على من حضر وقال: والله ما رؤى فى أولاد الأنبياء مثل على بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب. والله لذرية الحسين (عليه السّلام) أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب وإن منهم لمن يملأ عدلاً كما ملئت جوراً [۸۱] . قد نرى أن مثل هذه العبادة غريبة على الناس العاديين لكنها ليست بغريبة أبداً على مثل أهل البيت العابدين الزاهدين والطاهرين المنتجبين. والإمام زين العابدين ليس بحاجة إلى الإطراء بكثرة صلاته فى اليوم والليلة ألف ركعة [۸۲] ، ولا بمتابعة صيامه الذى قالت عنه مولاته: (ما فرشت له فراشاً بليل قط ولا أتيته بطعام فى نهار قط) [۸۳] وإنما ما يجب معرفته أنه (عليه السّلام) كان يقوم بهذه الأعمال العبادية بحق اليقين سواء من ناحية النية المقصورة على تأهل المولى سبحانه للعبادة، لا من الخوف أو الرجاء كما سلف مثله عن جده أمير المؤمنين وسيد التقيين (عليه السّلام) الذى يقول: (إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك ولكنى وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك). فالإمام السجاد يعبد الله تعالى كما يعبده أهل بيته كأنه يراه، ويخافه كأنه ينظر إليه وجلال المهيمن وعظمته متجلية لديه فى كل الأحوال. فلا غرو إذاً ما تتحدث به الرواة من الرهبة والخشية التى تلفه عند المثول أمام المولى عز شأنه لأداء فريضة الصلاة فتضطرب أعضاؤه ويصفر لونه ولا يتحرك منه شىء إلا ما حركه الريح [۸۴] وإذا قيل له فى ذلك يقول (عليه السّلام): أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجى [۸۵] ، إنى أريد أن أتأهب للقيام بين يدى ملك عظيم وإذا دخل فى الصلاة يصلى صلاة مودع لا يصلى بعدها [۸۶] .

صومه

الصيام من أقوى الوسائل فى رياضة النفس وتقوية الإرادة وتعويد النفس على الصبر. ونوجز القول: هو الرمز العملى بضبط النفس فى دين الله. لذلك كان من أركان الدين الإسلامى وطريقاً من طرق الوصول إلى حقيقة التقوى التى هى التعبير العملى عن أخذ المسلم نفسه بالإسلام. قال سبحانه وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) [سورة البقرة: الآية ۱۸۳]. والإمام زين العابدين كان شديد الاجتهاد فى العبادة، نهاره صائم وليله قائم. قال الإمام الصادق (عليه السّلام): (كان على بن الحسين شديد الاجتهاد فى العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه فقلت له: يا أبه كم هذا الدؤوب! فقال: أتحبب إلى ربى لعله يزلفنى) [۸۷] وأثناء صيامه كان كريماً جداً كثير الصدقات. قال الإمام الصادق أيضاً (عليه السّلام): (إنه كان على بن الحسين إذا كان اليوم الذى يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ فإذا كان عند المساء أكب على القدور حتى يجد ريح المرقة وهو صائم ثم يقول: هاتوا القصاع، أغرفوا لآل فلان حتى يأتى إلى آخر القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون بذلك عشاؤه)

[۸۸] . وروى على بن أبى حمزة عن أبيه، قال: (سألت مولاة لعلى بن الحسين (عليهما السّلام) بعد موته، فقلت: صفى لى أمور على بن الحسين (عليه السّلام) فقالت: أطنب أو أختصر؟ فقلت: اختصرى، قالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، ولا فرشت له فرشاً بليل قط) [۸۹] .

حجه

أمر الله المسلمين بفريضة الحج من استطاع وكان قادراً على أدائه. قال سبحانه وتعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ـ ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) [۹۰] والإمام السجاد كان يخرج إلى الحج ماشياً وأحياناً على ناقته، حج عشرين حجة وما فرعها بسوط. قال سعيد بن المسيب: (كان الناس لا يخرجون من مكة حتى يخرج على بن الحسين فخرج وخرجت معه فنزل فى بعض المنازل فصلى ركعتين سبَّح فى سجوده فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبحوا معه ففزعت منه فرفع رأسه فقال: يا سعيد فزعت؟ قلت: نعم يا بن رسول الله، قال: هذا التسبيح الأعظم). وروى سفيان قال: (أراد على بن الحسين الخروج إلى الحج فاتخذت له أخته سكينة زاداً أنفقت عليه ألف درهم فلما كان بظهر الحرة سيرت ذلك إليه، فلم يزل يفرقه على المساكين [۹۱] وكان القراء لا يحجون حتى يحج زين العابدين (عليه السّلام) وكان يتخذ لهم السويق، الحلو والحامض، قال سعيد بن المسيب: (ورأيته يوماً وهو ساجد، فوالذى نفس سعيد بيده لقد رأيت الشجر والمدر، والرحل والراحلة يردون عليه مثل كلامه) [۹۲] . وجاء فى حياة الحيوان للدميرى قال: (إنه لما حج وأراد أن يلبى أرعد واصفرّ وخرّ مغشياً عليه، فلما أفاق سئل عن ذلك، فقال: إنى لأخشى أن أقول: لبيك، اللهم لبيك فيقول لى: لا لبيك ولا سعديك، فشجعوه، وقالوا: لا بد من التلبية، فلما لبى غشى عليه حتى سقط عن راحلته وكان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة، كان كثير الصدقات وكان أكثر صدقته بالليل، وكان يقول: صدقة الليل تطفئ غضب الرب) [۹۳] .

النصوص على خصوص إمامته

ورد عن محمد بن مسلم، قال: (سألت الصادق، جعفر بن محمد، (عليهما السّلام) عن خاتم الحسين بن على (عليهما السّلام) إلى من صار؟ وذكرت له أنى سمعت أنه أخذ من إصبعه فيما أخذ. قال (عليه السّلام): ليس كما قالوا، إن الحسين (عليه السّلام) أوصى إلى ابنه على بن الحسين (عليه السّلام) وجعل خاتمه فى إصبعه، وفوض إليه أمره. كما فعله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأمير المؤمنين (عليه السّلام) وفعله أمير المؤمنين بالحسن (عليه السّلام) وفعله الحسن بالحسين (عليه السّلام) ثم صار ذلك الخاتم إلى أبى (عليه السّلام) بعد أبيه ومنه صار إلىّ فهو عندى وإنى لألبسه كل جمعة وأصلى فيه قال محمد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلى، فلما فرغ من الصلاة مد إلىّ يده فرأيت فى إصبعه خاتماً نقشه: لا إله إلا الله عدة للقاء الله، فقال: هذا خاتم جدى أبى عبد الله الحسين بن على (عليه السّلام) [۹۴] . وجاء عن أبى جعفر الباقر (عليه السّلام) قال: إن الحسين (عليه السّلام) لما حضره الذى حضره دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان على بن الحسين مريضاً لا يرون أنه يبقى فلما قتل الحسين (عليه السّلام) ورجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمة الكتاب إلى على بن الحسين، ثم صار ذلك الكتاب والله إلينا يا زياد [۹۵] . وروى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كنت عند الحسين بن على (عليهما السّلام) إذ دخل على بن الحسين الأصغر فدعاه الحسين وضمه إليه ضماً، وقبل ما بين عينيه، ثم قال: بأبى أنت وأمى ما أطيب ريحك، وأحسن خلقك. قال: فتداخلنى من ذلك فقلت: بأبى أنت وأمى يا بن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أن نراه فيك فإلى من؟ قال: على ابنى هذا هو الإمام ابو الأئمة. قلت: يا مولاى هو صغير السن؟ قال: نعم، إن ابنه محمد يؤتم به وهو ابن تسع سنين ثم يطرق قال: ثم يبقر العلم بقراً [۹۶] . وجاء فى المصدر نفسه: سأل رجل الحسين (عليه السّلام): أخبرنى عن عدد الأئمة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). فقال (عليه السّلام): اثنا عشر، عدد نقباء بنى إسرائيل فقال: فسمهم لى؟ فأطرق الحسين (عليه السّلام) ثم رفع رأسه فقال: نعم يا أخ العرب إن الإمام والخليفة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على بن أبى طالب، والحسن وأنا وتسعة من ولدى منهم على ابنى، وبعد ابنه محمد الخ...

[۹۷] . وقد شهدت نصوص كثيرة متواترة على إمامة السجاد وأنه الحجة على الأمة بعد أبيه سيد الشهداء (عليه السّلام) فيروى أبو خالد الكابلى عن على بن الحسين أن أباه الحسين قال له: دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فرأيته مفكراً فقلت له: مالى أراك مفكراً؟ قال: إن الأمين جبرائيل أتانى وقال: العلى الأعلى يقرؤك السلام ويقول قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل الاسم الأعظم وآثار علم النبوة عند على بن أبى طالب فإنى لا أترك الأرض إلا وفيها عالم يعرف به طاعتى وولايتى وإنى لم أقطع علم النبوة من الغيب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم ذكر أسماء الأئمة القائمين بالأمر بعد على بن أبى طالب وهم: الحسن والحسين أولهم ابنه على وآخرهم الحجة بن الحسن [۹۸] وقد سئل الإمام أبو جعفر الباقر بم يعرف الإمام؟ قال (عليه السّلام): يعرف بالنص عليه من الله تعالى ونصبه علماً للناس حتى يكون عليهم حجة وقد نصب رسول الله علياً (عليه السّلام) وعرف الناس باسمه وعينه لهم وكذلك الأئمة ينصب الماضى من يكون بعده ويعرف الإمام بأن يسأل فيجيب ويبتدئ إن سكت الناس عنه ويخبرهم بما يكون فى غد بعهد واصل إليه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وذلك بما نزل به جبرائيل من أخبار الحوادث الكائنة إلى يوم القيامة [۹۹] . وتابع الإمام الباقر بقوله: (نحن منبت الرحمة وشجرة النبوة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله فى عباده وحرمه الأكبر وعهده المسؤول عنه، فمن أوفى بعهد الله فقد وفى، ومن خفره فقد خفر ذمة الله وعهده فعرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا نحن الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا ونحن والله الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه بالرأفة والرحمة ووجهه الذى منه يؤتى وبابه الذى يدل عليه وخزان علمه وتراجمة وحيه وأعلام دينه والعروة الوثقى والدليل الواضح لمن اهتدى وبنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار ونزل الغيث من السماء ونبت عشب الأرض. وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عرف الله وأيم الله لولا وصية سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه الأولون والآخرون) [۱۰۰] . ثم إن الإمامة خلافة وهى من المولى سبحانه وسر من أسراره أوحى بها إلى نبى الأمة ليعرفهم القائم من بعده ومن يجب الركون إليه وأخذ معالم الدين منه وقد أودعها المهتمين جل شأنه فى ذرية الرسول الأعظم بعد أن طهرهم من الرجس والريب وزكاهم من العيب وارتضاهم أعلاماً لعباده يسلكون بهم لأحب الطريق. كل ذلك لترفع الضغائن وتتم معرفة المعبود تعالى وتعقد صلات التآخى وتتم أنظمة الحياة. وجاء فى المصدر نفسه عن الشيخ الطوسى قال: (وفى ليلة وفاته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) دعا أمير المؤمنين علياً (عليه السّلام) وقال له: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة ثم أملى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وصيته حتى انتهى إلى بيان الخلفاء من بعده فقال: يا على سيكون من بعدى اثنا عشر إماماً فأنت يا على أولهم سماك الله فى سمائه علياً المرتضى وأمير المؤمنين والصديق الأكبر والفاروق الأعظم والمأمون فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك إلى أن قال: وأنت خليفتى على أمتى من بعدى فإذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابنى الحسن البر الوصول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنى الحسين الشهد الزكى المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه على (سيد العابدين ذى الثفنات) فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر (باقر العلم) فإذا حضرته الوفاة فليسلمها جعفر الصادق فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الرضا فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقى فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه على الناصح فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد) [۱۰۱] . إن الوصية أمر محتوم على كل مسلم يوصى بها قبل وفاته لأشخاص أمناء يثق بهم ويسجل كل ما يهمه أمره لكى ينفذ بعد أم يتوفاه الله عز وجل. والنبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم فهل يمكن أن تحضره الوفاة ويبقى ساكتاً دون أن يوصى أمر الخلافة لأناس ثقاة علماء أمناء ينفذون الوصية بحذافيرها كما نص عليها خاتم النبيين والرسل, وكلنا يعلم مدى أهمية هذه الرسالة الإنسانية العظيمة وأهمية نشرها بين عباد الله وشرحها وتعليمها. إنها الرسالة الإلهية التى تصلح شؤون العباد فى حياتهم الفردية وفى حياتهم الاجتماعية، كما تصلح شؤون العباد فى كل زمان ومكان ومن جميع أمم الأرض. والله سبحانه وتعالى أعلم أين يوضع رسالته فقد كلف الأئمة المعصومين معدن الحكمة ومنبت الرحمة ومصابيح العلم وموضع سره فى حرمه الأكبر. هؤلاء قال فيهم الأدباء وتغنى

بمجدهم الشعراء ونطق بفضلهم العلماء. من هؤلاء قال الشيخ إبراهيم يحيى العاملى من قصيدة مدح بها الإمام زين العابدين قال: ما غاب عن أفق الشريعة كوكب إلا ـ وجاء بكوكب وقاد إن المهيمن ليس يخلى أرضه من حجة متستر أو باد لولا ـ إمام الحق ما بقى الورى والجسم لا يبقى بغير فؤاد كن كيف شئت فقد أصبت هدايتى بهداهم وبلغت كل مرادى ما ضرنى أن ضل عن طرق الهدى غيرى إذا كتب الإله رشادى من صُدّ عن عين الحياة ومات من ظمأ فلا سقيت عظام الصادى [۱۰۲] . وإلى هذه الظاهرة أشار الشيخ المفيد فى كتابه الإرشاد كلمة ثمينة حيث قال: (كان الإمام على بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً فهو أولى بأبيه وأحق بمقامه من بعده بالفضل والنسب والأولى بالإمام الماضى أحق بمقامه من غيره بدلالة آية ذوى الأرحام وقصة زكريا عليه السّلام).

قبسات من أخلاقه و مناقبيته

جاء فى طبقات ابن سعد أن على بن الحسين (عليه السّلام) كان ثقة مأموناً، كثير الحديث، عالياً، رفيعاً، ورعاً. وروى الشيخ الصدوق قال: قلت لمحمد بن شهاب الزهرى: لقيت على بن الحسين؟ قال: نعم لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه والله ما علمت له صديقاً فى السر ولا ـ عدواً فى العلانية، فقيل له: وكيف ذلك، فقال لأنى لم أر أحداً وإن كان يحبه إلا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه. وكان الإمام السجاد يقدر العلم والعلماء سواء أكان أحدهم رفيعاً فى أعين الناس أم كان غير رفيع ما دام عنده علم ينتفع به الناس، وإذا دخل المسجد يتخطى الناس حتى يجلس إلى جانب رجل متواضع اسمه زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير عاتباً: غفر الله لك أنت سيد الناس تتخطى خلق الله وأهل العلم وقريشاً حتى تجلس مع هذا العبد الأسود، فقال له الإمام (عليه السّلام): (العلم يقصد حيث كان) وكأنه يقصد إلى الحكمة القائلة: (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها) والإنسان فى أى زمان لا يهمه القول الصادر عن أى لسان. أجمع المؤرخون على أن الإمام زين العابدين قد انصرف إلى العبادة والعلم والدراسة والتعليم لأنه وجد فى ذلك غذاء لروحه وسلوة لقلبه وأنساً لنفسه. وإلى جانب انصرافه إلى نشر العلم والفقه كان رحيماً بالناس وجواداً سخياً وخلوقاً حليماً. روى الكلينى فى الكافى قال: (ما تجرعت جرعة أحب إلى من جرعة غيظ لا ـ أكافئ بها صاحبها، ووقف عليه رجل من بنى عمومته فاسمعه كلاماً مراً وشتمه، فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معى حتى تسمعوا ردى عليه، فمضوا معه وهو يقول: والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. فخرج الرجل متوثباً للشر وهو لا يشك أنه إنما جاءه مكافياً له على بعض ما كان منه، فقال له الإمام زين العابدين: يا أخى إنك كنت قد وقفت على آنفاً وقلت ما قلت فإن كنت قد قلت ما فىّ فأنا أستغفر الله منه، وإن كنت قد قلت ما ليس فىّ فغفر الله لك، فأقبل عليه الرجل معتذراً وقال: لقد قلت ما ليس فيك وأنا أحق به. وقال الرواة فى مناقبه قال الشبلنجى: (خرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ فى سبه وأفرط، فعاد إليه العبيد والموالى فكفهم عنه وأقبل عليه وقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه حميصه [۱۰۳] وألقى عليه خمسة آلاف درهم فقال: أشهد أنك من أولاد المصطفى). ويروى عنه الرواة الكثير عن حلمه وسماحته منها: إن جارية له كانت تحمل إبريقاً وتسكب الماء لوضوئه فسقط من يدها على وجهه فشجه وسال دمه فرفع رأسه إليها لائماً، فقالت له الجارية: إن الله يقول: والكاظمين الغيظ، فقال: قد كظمت غيظى. فقالت: والعافين عن الناس، فقال: عفا الله عنك، فقالت: والله يحب المحسنين، فقال: أنت حرة لوجه الله. وعن كرمه (عليه السّلام) روى الواقدى قال: إن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومى كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان وقد أساء جوار الإمام ولحقه منه أذى شديد، فلما توفى عبد الملك عزله الوليد بن عبد الملك وأوقفه للناس لكى يقتصوا منه، فقال: والله إنى لا أخاف لا من على بن الحسين، فمر عليه الإمام وسلم عليه وأمر خاصته أن لا يتعرض له أحد بسوء، وأرسل له: إن كان أعجزك مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك ويسد حاجتك فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا فقال له هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته. هكذا كان يعامل الإمام السجاد خصومه، يعاملهم حسب ما تملى عليه أخلاقه العالية وصفاته النبيلة ومناقبه الكريمة. من ذلك ما صنعه

مع مروان بن الحكم ألد أعداء أهل البيت وهو الذى أشار على الوليد بقتل الإمام الحسين (عليه السّلام) سيد الشهداء، وبقى إلى جانب معاوية يتتبع أهل البيت بالإساءة والأذى وينكل بهم وبشيعتهم بكل ما لديه من وسائل خبيثة. ومع كل ذلك فقد صنع معه كما صنع مع هشام بن إسماعيل وبالغ بالإحسان إليه كما بالغ هو بالإساءة إليه. وذلك يوم ثار أهل المدينة على الأمويين وضيقوا عليهم ولم يعد لهم ملجأ بها فضاقت الأمور بمروان بن الحكم إلى أبعد حد، مما دعاه إلى استعطاف أبناء المهاجرين والأنصار لأنه لم يجد من يحمى له عيال الأمويين ونساؤهم ويمنع عنهم الثائرون المتربصين الشر بهم فى كل حين غير الإمام على بن الحسين (عليه السّلام) الذى ضم عيال مروان إلى عياله وعاملهم بما كان يعامل به أسرته وعياله. فإذا كان ذلك غريباً وبعيداً عن أخلاق الناس العاديين وطبائعهم فليس بغريب ولا بعيد على من اختارهم الله وخصهم بالكرامة والعصمة وجعلهم فوق مستوى البشر فى مواهبهم وأخلاقهم وجميع صفاتهم وأعمالهم. إن أخلاق الإمام السجاد من أخلاق أبيه الإمام الحسين وأخلاق جديه الإمام على بن أبى طالب، أمير المؤمنين وإمام المتقين، ومحمد بن عبد الله خاتم النبيين الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم). فجده الإمام على (عليه السّلام) عفا عن مروان الذى قاد الجيوش لحربه فى البصرة فبعد أن ظفر به ووقع أسيراً فى قبضته تركه وأطلق سراحه مع علمه بأنه سينضم إلى معاوية ويحاربه فى صفين وبعد أن استتب الأمر لمعاوية واختاره والياً على المدينة كان يؤذى الإمام الحسن (عليه السّلام) وكانت مجزرة كربلاء من أغلى أمانيه. ومع كل هذه السيئات وهذه الإساءات عفا عنه بعد أن وقع فى قبضة يده. ثم قال حكمته: (إذا ظفرت بعدوك فليكن العفو أحلى الظفرين). وجده الأكرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عفا عن رأس الشرك أبى سفيان بعد أن ظفر به، كما عفا عن زوجته هند بنت عتبة وأحسن إليها بعد عملها الشنيع، عندما شقت بطن الحمزة البطل المؤمن الصنديد واستخرجت كبده ونهشتها بأسنانها وحملتها إلى مكة تتشفى بالنظر إليها. وعفا (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أيضاً عن والد مروان الحكم عندما ظفر به فى مكة وقد كان يؤذيه ويسىء إليه بشتى أنواع الإساءة. وبعد أن أظهر الإسلام بعد فتح مكة كان يستهزئ به ويفترى عليه. لكن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اكتفى بنفيه مع ولده إلى الطائف كما عفا عن جميع مشركى مكة وجبابرتهم الذين وقفوا فى وجه الدعوة الإسلامية المباركة، وعن كل من كان يسىء إليه وقال عندها كلمته المشهورة: (إذهبوا فأنتم الطلقاء) فليس غريباً إذا أحسن الإمام زين العابدين لمن أساء إليه. فهو من سلالة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. أما عن كرمه (عليه السّلام) فالروايات كثيرة لا تحصى نذكر بعضاً منها. روى الصدوق عن سفيان بن عيينة أن محمد بن شهاب الزهرى رأى على بن الحسين (عليه السّلام) فى ليلة باردة وعلى ظهره دقيق يسعى به إلى جماعة. فقال له: يا بن رسول الله ما هذا؟ أجابه: أريد سفراً أعدوت له زاداً أحمله إلى موضع حريز، قال: فهذا غلامى يحمله عنك، فأبى عليه الإمام (عليه السّلام) فقال: دعنى أحمله عنك فإنى أرفعك عن حمله. فقال (عليه السّلام): لكنى لا أرفع نفسى عما ينجينى من سفرى ويحسن ورودى على ما أرد عليه أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتنى. فلما كان بعد أيام لقيه ابن شهاب وقال: يا بن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذى ذكرته أثراً، قال (عليه السّلام): بلى يا زهرى ليس هو كما ظننت ولكنه الموت وله استعد، إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام وبذل الندى فى الخير. وهكذا كان يعمل دائماً، يطرق بيوت الفقراء وهو مثلهم وأكثرهم كانوا يقفون على أبواب بيوتهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا به وقالوا: جاءنا صاحب الجراب. وروى عنه أبو نعيم أنه كانت بيوت فى المدينة كثيرة تعيش من صدقات على بن الحسين (عليه السّلام) ولا تدرى من هو فاعل الخير هذا؟ فلماتوفاه الله فقدوا ما كان يأتيهم فعلموا بأنه هو الذى كان يعيلهم، وقالوا: ما فقدنا صدقة السر حتى فقدنا على بن الحسين زين العابدين. روى الصدوق عن الإمام الباقر أنه كان يعول مائة بيت فى المدينة. وكان إذا جاءه سائل يقول: مرحباً بمن يحمل زادى ليوم القيامة ولا يأكل طعاماً حتى يتصدق بمثله. وروى ابن طاووس عن الإمام الصادق (عليه السّلام) إن على بن الحسين إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة وإذا أذنب عبد له أو أمة يسجل ذلك عليهم، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم يعرض عليهم سيئاتهم فيعترفون بها... ثم يقف بينهم ويقول: ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد عفونا كما أمرت فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين ثم يقبل عليهم ويقول: لقد أعتقت رقابكم طمعاً فى عفو الله

وعتق رقبتى من النار. فإذا كان يوم العيد أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما فى أيدى الناس. وكان يقول: (إن لله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان سبعين ألف عتيق من النار فإذا كان آخر ليلة منه أعتق الله فيها مثلما أعتق فى جميعه، وإنى لأحب أن يرانى الله وقد أعتقت رقاباً فى ملكى فى دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتى من النار.

مهابته و كراماته

كان الإمام على زين العابدين مهاباً معظماً عند الناس جميعاً، له مكانة خاصة فى قلوبهم ومركز محتوم ومرموق عند الخلفاء والولاة من أى فريق كان. يدخل عليهم ليجلونه ويحترمونه حتى الذين يحقدون عليه. دخل مرة على عبد الملك بن مروان وكان حاقداً عليه يدبر له المكايد فى الخفاء، فلما نظر إليه مقبلاً وعليه مهابة أبيه وجديه، قام إليه وأجلسه إلى جنبه وأكرمه فسأله الناس كيف تم له ذلك وهم يعلمون ما يكن فى قلبه من حقد على الإمام (عليه السّلام) فقال: لما رأيته امتلأ قلبى رعباً. ومرة أخرى دخل على مسلم بن عقبة والى المدينة فلما نظر إليه يتجلى مهابة وعظمة قال: لقد ملئ قلبى منه خيفة. هذا التقدير للإمام السجاد يعود إلى ما تتحلى به شخصيته من صفات خاصة مميزة، فعلم غزير فى جميع العلوم والمعارف الإنسانية وأخلاق كريمة ونبل وعفة وشهامة، وكرم وسخاء إلى كل معوز ومحتاج من عدو وصديق، وشجاعة نادرة فى أحرج المواقف وأصعبها، وفقه وورع وتقى فى سبيل الله، وصبر وكظم الغيظ من أجل رضى الله. ولا ريب أنه من كان مع الله فإن الله معه. جاء فى رواية السبكى فى طبقات الشافعية أن هشام بن عبد الملك حج فى بعض السنين فجهد أن يصل إلى الحجر الأسود عند الطواف فلم يقدر عليه من كثرة الزحام فنصب له من كان معه منبراً فى ناحية من نواحى الحرم وجلس عليه ينظر إلى الناس حتى يخف الزحام عن الحجر ليلمسه، ووقف حوله أهل الشام. فى هذه الأثناء أقبل الإمام على زين العابدين (عليه السّلام) وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً على حد تعبير السبكى فطاف فى البيت فلما بلغ الحجر انفرج له الناس عنه وأفسحوا له المجال ووقفوا إجلالاً له وتعظيماً حتى إذا استلم الحجر وقبله والناس ينظرون إله واجمين. فلما مضى عنه عادوا إلى طوافهم. هذا وهشام بن عبد الملك ومن معه من أهل الشام يرون كل ذلك ونفس هشام تتحرق غيظاً وحسداً. التفت رجل من أهل الشام وسأل هشام بن عبد الملك: من هذا الذى قد هابه الناس هذه المهابة. فقال هشام: لا أعرفه!! مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق الشاعر حاضراً، فقال: أنا أعرفه، فقال الشامى: ومن هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق ومضى فى وسط تلك الجموع المحتشدة يقول على البديهة: هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم إذا رأته قريش قال قائلها: إلى مكارم هذا ينتهى الكرم ينمى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم يغضى حياءً ويغضيمن مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم من جده دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت له الأمم ينشق نور الهدى عن نور غرته كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا الله شرفه قدماً وفضله جرى بذاك له فى اللوحة القلم فليس قولك: من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم كلتا يديه غياث عمّ نفعهما يُستوكفان ولا يعروهما العدم سهل الخليقة، لا تخشى بوادره يزينه اثنان: حسن الخلق والكرم حمّال أثقال أقوام إذا قدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم لا- يخلف الوعد ميمون نقيبته رحب الفناء أريب حين يعتزم ما قال لا قط: إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم عم البرية بالإحسان فانقلعت عنه الغيابة والاملاق والعدم من معشر حبهم دين، وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل: هم لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا هم الغيوث إذا مكا أزمة أزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم سيّان ذلك إن أثروا وإن عدموا يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويستزاد به الإحسان والنعم مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل بدء ومختوم به الكلم يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم خير كريم وأيد بالندى هضم أى الخلائق ليست فى رقابهم لأولية هذا أوله نعم من يعرف الله يعرف أولية ذا والدين من بيت هذا ناله الأمم [۱۰۴] .

لقد كانت هذه القصيدة صفعة قاسية على هشام نزلت على رأسه كالصاعقة، تحدى بها الفرزدق سلطان أولئك الحكام الجبابرة المعتزين بملكهم وجيوشهم وأموالهم وقصورهم ولكن فاتهم أن كل ذلك لم يغنهم شيئاً فى ذلك الموقف الذى تتدافع فيه الجماهير من كل حدب وصوب متسابقة للمس الحجر الأسود حتى إذا أقبل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) وقف له الناس إجلالاً وتعظيماً وأفرجوا له الطريق واستلم الحجر وقبله بكل يسر. ولما قضى الإمام حاجته وترك المكان عاد الناس يتسابقون ويتدافعون؛ هذا وأهل الشام ينظرون إلى هذا المشهد الغريب وينتظرون من يعرفهم بذلك الشاب الذى هابه الناس وعظموه بعد أن تجاهله خليفتهم وظهر مخجولاً أمام أهل الشام، بعد أن كان يزعم لهم أنه هو وأسلافه الأمويون هم آل الرسول الذى أمر الله بمودتهم وما كان يتوقع هذه الصفعة القوية من أبى فراس. يقول الرواة إن هشام بن عبد الملك لما سمع هذه القصيدة غضب على الفرزدق وأمر بحبسه بمكان يدعى عسفان، بين مكة والمدينة وأوصى بالتضييق عليه، وأضاف الرواة أنه لما بلغ على بن الحسين امتداحه أرسل له ألف دينار فردها الفرزدق وقال للرسول: إنى لم أقل ما قلت إلا غضباً لله تعالى لا للعطاء ولا آخذ على طاعة الله أجراً. فأعادها الإمام إليه (عليه السلام) وأرسل إليه: نحن أهل البيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده. فقبلها الفرزدق وبقى فى حبس هشام مدة من الزمن وأخيراً هجاه بقصيدة قال فيها: أيحسبنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس تهوى منيبها يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء باد عيوبها يقول الرواة إنه لما بلغه هجاء الفرزدق أمر بإخراجه من السجن عله يخرس لسانه ويكف عن الهجاء [۱۰۵] . فرحم الله الفرزدق رحمة واسعة فلقد كان فى موقفه مع هشام بن عبد الملك من أفضل المجاهدين فى سبيل الله حسبما جاء عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذى قال: (أفضل المجاهدين فى سبيل الله الحمزة بن عبد المطلب ورجل قال كلمة حق فى وجه سلطان جائر).

فضائله

كان الإمام السجاد يتخلق بأخلاق النبوة، فهو من سلالة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً, وهو من الأئمة المعصومين الذين كلفوا تكليفاً شرعياً من الله عز وجل لتقويم الإعوجاج ورفع الظلم عن الناس من قبل الطغاة والظالمين، وهداية الناس عامة إلى ما فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة وخير مجتمعهم ليعيشوا أمة كريمة حرة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر الرسالة الإسلامية كما أرادها رب العالمين وكما نفذها الرسول الأكرم والعترة الطاهرة من بعده (عليهم السّلام) أجمعين. لقد خطا الإمام زين العابدين خطوة أبيه وجديه من قبله وتخلق بأخلاقهم فساعد وضحى وجاهد وصبر وتجرع كثيراً من الويلات والمحن بهمة عالية وإرادة صلبة ونفس كريمة يحسن إلى الجميع حتى الذين أساؤوا إليه. ولم يكتف بالإحسان إلى من كان يسىء إليه بل كان يطلب لهم العفو والمغفرة من الله سبحانه وتعالى. روى ابن طاووس فى الإقبال بسند ينتهى إلى الإمام الصادق (عليه السّلام) إن على بن الحسين إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة وإذا أذنب عبد له أو أمة يسجل ذلك عليهم، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم يعرض عليهم سيئاتهم فيعترفون بها، فيقول لهم: قولوا يا على بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت له حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح وهو واقف بينهم يبكى ويقول: (ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد عفونا كما أمرت فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين). ثم يقبل عليهم ويقول: (لقد عفوت عنكم فهل عفوتم ما كان منى إليكم اذهبوا فقد أعتقت رقابكم طمعاً فى عفو الله وعتق رقبتى من النار) فإذا كان يوم العيد أجازهم بجوائز تصونهم وتعينهم عما فى أيدى الناس. وكان يقول (عليه السّلام): (إن لله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان سبعين ألف عتيق من النار، فإذا كان آخر ليلة منه أعتق الله فيها مثلما أعتق فى جميعه، وإنى لأحب أن يرانى الله وقد أعتقت رقاباً فى ملكى فى دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتى من النار). جاء فى مطالب السؤول عن محمد بن طلحة الشافعى قال: (على بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) زين العابدين، وقدوة الزاهدين، وسيد المتقين، وإمام المؤمنين، وسمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله، وسمته

تثبت مقام قربه من الله زلفاً، وثفناته تسجل بكثرة صلاته وتهجده وإعراضه عن متاع الدنيا بزهده ينطق فيها، درَّت له أخلاف التقوى فتفوقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وآلفته أبراد العبادة فآنس بصحبتها، وحالفته وصايف الطاعة فتحلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع مفازة الساهرة وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مغارة الشافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرات وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنه من ملوك الآخرة) [۱۰۶] . وعن سماحته ونبله وعلو أخلاقه جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد قال إن عبد الله بن علي بن الحسين (عليه السّلام) قال: لما عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن ولاية المدينة وأوقفه الوليد إلى الناس ليقتصوا منه، وكان يسيء إلى أبي، جمعنا أبي علي بن الحسين وقال: إن هذا الرجل قد عزل وقد أوقفه الوليد للناس فلا يتعرض له أحد بسوء، فقلت يا أبت، والله إن أثره عندنا لسيء وما كنا نطلب إلا مثل هذا اليوم. قال: يا بني نكله إلى الله، فوالله ما تعرض أحد بسوء من آل الحسين حتى تصرم أمره. ولم يكتف السجاد بذلك بل أرسل إليه يعرض عليه من الأموال ما يسعه ويسد حاجته، مع أنه كان لا يخاف إلا منه لكثرة ما كان يسيء إليه وإلى أصحابه. وإذا كان ذلك غريباً عن أخلاق الناس وطبائعهم فليس بغريب على من اختارهم الله وخصهم بالكرامة والعصمة. وللإمام السجاد أبيات من الشعر مشحونة بالعاطفة الدينية، يرشح منها مناجاة قلبية صعّدها الإمام من صدر حنون يفيض مجبة للقاء وجه الله، وشوقاً للدار الآخرة، وزهداً من هذه الدار الفانية وخوفاً من العقاب، وأملاً في الرحمة والثواب. جاء في مستدرك الوسائل عن طاووس اليماني قال: (رأيت في جوف الليل رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: ألا أيها المأمول في كل حاجة شكوت إليك الضر فاسمع شكايتي ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي فزادي قليل لا أراه مبلغي أللزاد أبكي أم لطول مسافتي أتيت بأعمال قباح ردية فما في الورى عبد جنى كجنايتي أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين مخافتي فإذا كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بتقاه وصدق عبادته، ولذلك سمي بزين العابدين، والمشهور بفقهه وورعه وأعماله الصالحة يقول: إن زاده قليل وأتى بأعمال ردية فيرجو الله، وهو متعلق بأستار الكعبة، أن يقبل رجاءه، ويقضي حاجته؛ فماذا يقول غيره من المسلمين العاديين وماذا نقول نحن اليوم بعد أن انغمس أكثرنا بملذات هذه الدنيا الفانية، وانجرف الكثير منا نحو تجميع المال متلهياً بالحياة المادية الخالصة. فكيف نواجه خالقنا عندما نقف بين يديه يوم الحساب يوم لا ينفع لا مال ولا بنون ولا أحساب ولا أنساب ولا جاه ولا عشيرة، إلا من أتى الله بقلب سليم. فحسبنا الله ونعم الوكيل. وجاء في المناقب عن طاووس أيضاً قال: (رأيته يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وترينى وجه جدي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في عرصات القيامة. ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به علي، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين: جوزوا وللمثقلين: حطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربي؟) ثم بكى وقال: (سبحانك تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم). ثم خرّ إلى الأرض ساجداً فدنوت منه وشلت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالساً وقال: (من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربي؟) فقلت: أنا طاووس يا بن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون! أبوك الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله قال: (هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون) والله لا ينفعك غداً إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح) [۱۰۷] . فالنسب في الإسلام هو العمل الصالح، فمن عمل صالحاً وأطاع ربه استقام أمره وكسب رضى الله عليه، فالله خلق الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وكل الناس

سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. فالمتقون هم أولياء الله من أى جنس كانوا أو أى لون أو أى عرق، فإن الله معهم ما داموا هم معه فهل لنا بهم وبعلى بن الحسين (عليه السّلام) أسوة حسنة؟ وجاء فى مستدرك الوسائل عن الأصمعى قال [۱۰۸] . كنت أطوف حول الكعبة ليلاً فإذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلق بأستار الكعبة ويقول: (نامت العيون، وعلت النجوم وأنت الحى القيوم، غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حراسها وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلىّ برحمتك يا أرحم الراحمين). ثم أنشأ يقول: يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم قد نام وفدك حول البيت قاطبة وأنت وحدك يا قيّوم لم تنم أدعوك يا رب دعاءً قد أمرت به فارحم بكائى بحق البيت والحرم إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالنعم قال فاقتفيته فإذا هو زين العابدين). وله (عليه السّلام) حوار مع نفسه حيث يخاطبها كيف تركن إلى الدنيا ألم تأخذ درساً من الماضين قبلها، فأين أجدادنا وآباؤنا وأين الذين فجعوا ومضوا قبلها؟ أليس يكون لها بهم عبرة؟ روى الزهرى عنه (عليه السّلام) فى المناقب قال: (يا نفس حتامَ إلى الحياة سكونك؟ وإلى الدنيا ركونك؟ أما اعتبرت بمن مضى فى أسلافك؟ ومن وارته الأرض من آلافك؟ ومن فجعت به من إخوانك؟ ثم أنشد: فهم فى بطون الأرض بعد ظهورها محاسنها فيها بوالى دوائر خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم وساقتهم نحو المنايا المقادر وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمتهم تحت التراب الحفائر [۱۰۹] . وجاء فى حياة الحيوان للدميرى: قال الزهرى: (ما رأيت قرشياً أفضل منه) وقال أيضاً [۱۱۰] : (ما رأيت أفقه منه). وقال ابن المسيب: (ما رأيت أورع منه). وقال القندوزى الحنفى: (كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) عظيم التجاوز والعفو، والصفح، حتى أنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له: إياك أعنى، فقال الإمام: وعنك أعرض. أشار إلى الآية الكريمة: (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) [۱۱۱] . لم يكتف الإمام السجاد بالإحسان إلى من كان يسىء إليه بل كان يطلب لهم المغفرة من الله سبحانه وتعالى. قال فى ذلك: (اللهم إن أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتى فلم أنصره، ومن معروف أسدى إلى فلم أشكره ومن مسىء اعتذر إلى فلم أعذره ومن ذى فاقه سألنى فلم أوفره ومن عيب مسلم ظهر لى فلم أستره ومن كل إثم عرض لى فلم أهجره، واجعل ندامتى على ما وقعت فيه من الزلات وعزمى على ترك ما يعرض لى من السيئات توبة توجب لى محبتك يا محب التوابين. وقال أيضاً مثل ذلك: اللهم وأيما عبد نال منى ما حظرت عليه فاغفر له ما ألم به منى واجعل ما سمعت به من العفو عنهم وتبرعت به من الصدقة عليهم فى أزكى صدقات المتصدقين وأعلى صلات المتقربين، وعوضنى من عفوى عنهم عفوك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك وينجو كل منا بمنك. ومع كل ما قدم وضحى وأعطى وأحسن يرى نفسه مقصراً فى حقوق الناس، كان صدره واسعاً جداً يستوعب كل هفواتهم ويتسع لكل انحرافاتهم ويسامح ما كان يتجمع فى صدورهم من غش وطمع وحقد. يعاملهم بما عنده هو وليس بما عندهم إن البحر الكبير لا تعكر صفوه بضعة أنهار صغيرة تصب فيه، والجسر المتين يتحمل الكثير من الأثقال مهما كانت كبيرة ويبقى صامداً جامداً على مدى الدهور. وبائع العطر يتلذذ بما يحمل ويؤنس الآخرين بروائح وروده الجميلة. والنور الساطع يرى صاحبه معالم الطريق ويكشف المزالق والعثرات أمام المشاة التائهين. والشجرة القوية العتيقة جذورها ثابتة فى الأرض لا تؤثر فيها الرياح مهما كانت عنيفة، يراشقها المارة بالحجارة فتنزل لهم ثمارها بكل رحابة صدر. والغيمة المثقلة بالغيث سوف تسقط بخيراتها العميمة على جميع بقاع الأرض لا تفرق بين بقعة وأخرى.

ما قاله العظماء فى سيد الحكماء

أجمع أهل العلم والأدب على اختلاف ميولهم ونزعاتهم على أفضلية أهل البيت (عليهم السّلام)، فقد كانوا ينبوعاً فياضاً بالعلم والحكمة، ومنهلاً عذباً للخير والعطاء، ورصيداً هاماً فى الأدب والمعرفة. ولم تجتمع الأمة بأسرها على أفضلية أحد كاجتماعها على أفضلية أئمة الهدى (عليهم السّلام). ومما يلاحظ أن ما كتبه عنهم كبار العلماء من غير الشيعة أكثر مما كتبه عنهم شيعتهم ومواليهم وهذا دليل واضح أنهم مركز الثقل الذى تركه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بين ظهرانى الأمة، حيث جعلهم حكاماً على

العباد وخلفاء له (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على الناس. هذه العترة الطاهرة تبدأ بأمير المؤمنين (عليه السّلام) وتختتم بالإمام المهدى (عليه السّلام) اثنا عشر خليفة معصوماً. وجدير بنا أن نرجع إليهم آخذين بتعاليمهم، متبعين لأوامرهم، لنحقق ما نصبوا إليه من خير وسعادة. وهذه مختارات من كلمات كبار العلماء فى الإمام السجاد على زين العابدين بن الإمام الحسين (عليهما السّلام). ١ - قال على بن عيسى الأربلى: (فإنه (عليه السّلام) الإمام الربانى، والهيكل النورانى، بدل الأبدال وزاهد الزهاد، وقطب الأقطاب، وعابد العباد، ونور مشكاة الرسالة ونقطة دائرة الإمامة، وابن الخيرتين [١١٢] والكريم الطرفين قرار القلب، وقرة العين، على بن الحسين. وما أدراك ما على بن الحسين: الأواه الأواب، العامل بالسنة والكتاب، الناطق بالصواب، ملازم المحراب، المؤثر على نفسه، المرتفع فى درجات المعارف، فيومه يفوق على أمسه، المنفرد بمعارفه، الذى فضل الخلائق بتليده وطارفه، وحكم فى الشرق فتسنم ذروته، وخطر فى مطارفه وأعجز بما حواه من طيب المولد، وكرم المحتد، وزكاء الأرومة، وطهارة الجرثومة، عجز عنه لسان واصفه، وتفرد فى خلواته بمناجاته، فتعجبت الملائكة من مواقفه، وأجرى مدامعه خوف ربه [١١٣] . ٢ - وقال الواقدى: كان من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عز وجل، وكان إذا مشى لا يخطر بيديه [١١۴] . ٣ - وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه [١١۵] . ۴ - وقال الإمام مالك: سمى زين العابدين لكثرة عبادته [١١۶] . ۵ - وقال نافع بن جبير: إنك سيد الناس وأفضلهم. ۶- وقال عمر بن عبد العزيز وقد قام من عنده على بن الحسين (عليهما السّلام): من أشرف الناس؟ فقالوا: أنتم. فقال: كلا، فإن أشرف الناس هذا القائم من عندى آنفاً، من أحب الناس أن يكونوا منه، ولم يحب أن يكون من أحد [١١٧] . وقال أيضاً فى موضع آخر: سراج الدنيا، وجمال الإسلام، زين العابدين [١١٨] . وقال الزهرى: ما رأيت أحداً أفقه من زين العابدين [١١٩] . وقال طاووس اليمانى: (دخلت الحجر فى الليل فإذا على بن الحسين (عليهما السّلام) قد دخل يصلى ما شاء الله تعالى، ثم سجد سجدة فأطال فيها، فقلت: رجل صالح من بيت النبوة لأصغين إليه فسمعته يقول: عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. قال طاووس: فوالله ما طلبت ودعوت فيهن فى كرب إلا فرج عنى) [١٢٠] . وقال جابر الأنصارى: والله ما رؤى فى أولادى الأنبياء بمثل على بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب (عليه السّلام) والله لذرية على بن الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، وإن منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً [١٢١] .

قبسات من مواعظه

للإمام زين العابدين جولات ناجحات (عليه السّلام) فى المواعظ التى تعد من أعظم الأرصدة الروحية، ومن وانجح الأدوية فى معالجة الأمراض النفسية التى تؤدى بالإنسان إلى التردى فى متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة. وقد اهتم (عليه السّلام) كثيراً بوعظ الناس وأثر عنه الكثير من المواعظ التى وعظ بها أصحابه وأهل عصره، وهى لا تزال حية تحذر الناس من الغرور والطيش وتدعوهم إلى سلوك السبيل الحق فى حياتهم الفردية والاجتماعية. كما أثرت عنه حكم تهدف إلى تهذيب النفوس وإصلاحها، وتوازن الشخصية الإنسانية وازدهارها، وغرس النزاعات الكريمة التى تقضى على الأنانية والحسد والبغى والشر والتعدى على حقوق الآخرين. وله مواعظ هامة تدعو إلى الاتجاه إلى الله تعالى أنبل مقصد وأكرم ملجأ، رحمان رحيم، ينجى الإنسان من كل إثم وشر فى هذه الحياة الفانية، ويطلب إليه التزود إلى دار الآخرة التى هى المقر الدائم لكل الخيرين من عباد الله الصالحين. وسوف نعرض لبعض ما روى عنه فى ذلك: ١ - قال عليه السلام: (يا بن آدم لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان لك الخوف شعاراً، والحزن لك دثاراً. يا بن آدم إنك ميت مبعوث وموقوف بين يدى الله عز وجل، ومسؤول فأعدَّ جواباً..) [١٢٢] . يدعو الإمام (عليه السّلام) الإنسان لأن يقيم فى أعماق نفسه واعظاً منها يعظها ويحاسبها على كل ما يصدر منها من زلات وهفوات ذلك أنه مبعوث يوم القيامة، يوم الحساب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا ما أتى الله من قلب سليم؛ حيث يحاسب كل إنسان على جميع ما اقترفه فى حياته من إثم وشر. وعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه فيجعل منها رقيباً عليها، فيزجرها عندما تهوى به المزالق الرخيصة والنزاعات

الفاسدة التى تغرق صاحبها فى وحول الحياة المادية، وعندها يتزود بخير زاد إلى خير معاد. ۲ - ومن مواعظه القيمة هذه الموعظة التى كان يعظ بها أصحابه قال (عليه السّلام): (أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإن أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فى ما عند الله رغبة، وإن أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله، وإن أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله، وإن أكرمكم على الله أتقاكم لله تعالى...) [۱۲۳] . لقد أهتم الإمام (عليه السّلام) اهتماماً بالغاً بمحاسن الأخلاق لذلك طلب إلى أصحابه أن يتحلوا بأحسن الصفات وأن يقوموا بذخائر الأعمال ثم دلهم على السبيل الذى ينجيهم من عذاب الله فى الدار الآخرة من أجل ذلك عليهم أن: أ - يتقنوا أعمالهم ويحسنوها فعلى المؤمن إذا أراد عملاً أن يكمله ويتقنه. ب - يرغبون فى ما عند الله وهى من أعظم الذخائر، أما الرغبة إلى غيره تعالى فإنها تؤول إلى الخيبة والخسران. ج - لا يخافوا إلا الله وأن لا يخشوا إلا هو، فمن أراد النجاة من عذابه تعالى عليه أن يشعر قلبه بالخشية من عزته وجلاله، فهى تصد الإنسان من اقتراف الشر أو الإثم. د - أن يوسعوا أخلاقهم تجاه الآخرين لأن بحسن الأخلاق يتميز الإنسان عن غيره ومن فقد أخلاقه فقد إنسانيته. هـ - يتوسعوا على عيالهم فينفقوا عليهم مما كسبت أيديهم رزقاً حلالاً، وهذا ما يوجب المحبة والمودة والألفة بين أفراد الأسرة، الخلية الأولى فى بناء لمجتمع الإنسانى. ح- يتقوا الله، فتقواه تعالى هى الميزان الأصيل فى الإسلام وقد دعانا الله فى آيات كثيرة إلى التقوى التى هى من الإيمان. قال تعالى: (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) [۱۲۴] . وجاء فى القرآن الكريم الآية: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فمن أراد أن يكون مكرماً عند الله عليه بالتقوى فهى سفينة النجاة وجسر العبور إلى رضوانه عز وجل. ۳ - ومن مواعظه القيمة هذه الموعظة الشاملة لمواضيع عدة مؤثرة. قال عليه السلام: (كفانا الله وإياكم الظالمين، وبغى الحاسدين، وبطش الجبارين، أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت واتباعهم من أهل الرغبة فى الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها، وعلى حطامها الهامد [۱۲۵] ، وهشيمها البائد غداً، واحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا فى ما زهدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما فى هذه الدنيا ركون من أعدها داراً وقراراً، وبالله إن لكم مما فيها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها، وتغييراً نقلاً بها، ومثلا منها). يحذر (عليه السّلام) من الخضوع للطواغيت والظالمين وأتباعهم من المفتونين بحب الدنيا، والمغرورين بزينتها وبهجتها، هؤلاء جميعاً كانوا من المخربين الذين وقفوا عائقاً على مناهضة الإصلاح الاجتماعى، ونشر الظلم والفساد فى الأرض. ويتابع (عليه السلام): (تلاعبها بأهلها، إنها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد النار أقواماً غداً، ففى هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه) يذم الدنيا ويندد بطبيعتها لأنها ترفع الخاملين، وتضع الأحرار والشرفاء، ثم تدفع أقواماً إلى النار، لانحرافهم عن الحق. وإذا كانت طبيعة الدنيا مناصرة الرذائل ومعاكسة القوى الخيرة فالأجدر الزهد فيها، والتجافى عن شهواتها والسعى للظفر بنعيم الآخرة. ثم يتابع الموعظة (عليه السّلام): (وإن الأمور الواردة عليكم فى كل يوم وليلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان [۱۲۶] ، ووسوسة الشيطان لتثبط القلوب عن نيتها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق إلا قليلاً ممن عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، واتعظ بالعبر، وازدجر، فزهد فى عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذاتها، ورغب فى دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشنأ الحياة مع القوم الظالمين، فعند ذلك نظر إلى ما فى الدنيا بعين نيرة، حديدة النظر، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة، فقد لعمرى، استدبرتم من الأمور الماضية فى الأيام الخالية من الفتن المتراكمة، والانهماك فيها، ما تستدلون به على تجنب الغواة وأهل البدع والبغى والفساد فى الأرض بغير الحق، فاستعينوا بالله، وارجعوا إلى طاعته، وطاعة من هو أولى بالطاعة من طاعة من اتبع وأطيع). أبدى (عليه السّلام) ما كانت تواجهه الأمة فى عصره الكثير من ألوان الأسى المرير والفتن المذهلة، وحوادث البدع، وطرق الجور من قبل الحكام الأمويين الذين أغرقوا البلاد بالفتن والظلم والتعسف. فكان وقع تلك الأحداث شديداً على الأمة، فقد ثبطت القلوب عن نياتها، وأبعدتها عن طريق الحق والرشاد. ثم تابع محذراً (عليه السّلام) (فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة، والقدوم على الله، والوقوف بين يديه، وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله إلا إلى عذابه، وما آثر قوم قط الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم، وساء مصيرهم، وما العلم بالله والعمل بطاعته إلا إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه، فحثه الخوف على العمل بطاعة الله، وإن أرباب العلم

وأتباعهم، الذين عرفوا الله فعملوا له، ورغبوا إليه وقد قال الله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ) [۱۲۷] فلا تلتمسوا شيئاً فى هذه الدنيا بمعصيةِ الله، واشتغلوا فى هذه الدنيا بطاعةِ الله، واغتنموا أيامها، واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله، فإن ذلك أقل للتبعةِ، وأدنى من العذر، وأرجى للنجاةِ، فقدموا أمر الله وطاعته، وطاعةَ من أوجب الله طاعته بين يدى الأمور كلها، ولا تقدموا الأمور الواردةَ عليكم من طاعةِ الطواغيت، وفتنةِ زهرةِ الدنيا بين يدى أمر الله وطاعته، وطاعةَ أولى الأمر منكم، واعلموا أنكم عبيد الله، ونحن معكم، يحكم علينا وعليكم سيد حاكم غداً، وهو موقفكم، ومسائلكم، فأعدوا الجواب قبل الوقوف والمساءلةِ والعرض على رب العالمين، يومئذٍ لا تكلم نفس إلا بإذنه). يدعو الإمام (عليه السّلام) إلى طاعةِ الله تعالى، وطاعةِ أئمةِ الحق والهدى الذين يهدون الناس إلى الصراط المستقيم ويهدونهم إلى سبل النجاة، والذين يمثلون إرادةَ الأمةِ ووعيها، ويحققون لها جميع ما تصبو إليه من العزة والحريةِ والكرامةِ. كما دعا (عليه السّلام) إلى التمرد على أئمةِ الجور الظالمين وعدم الركون إليهم أو التعاون معهم، لأن التعاون كما أراده تعالى، هو مع البررةِ الأتقياء وليس مع الفجرةِ السفهاء. (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) [سورةِ المائدةِ: الآية۲]. ثم يتابع (عليه السّلام): (واعلموا أن الله لا يصدق كاذباً ولا يكذب صادقاً، ولا يرد عذر مستحق، ولا يعذر غير معذور، بل لله الحجةُ على خلقه بالرسل والأوصياء بعد الرسل، فاتقوا الله واستقبلوا من إصلاح أنفسكم، وطاعةِ الله وطاعةِ من تولونه فيها، لعل نادماً قد ندم على ما فرط بالأمس فى جنب الله وضع من حق الله، واستغفروا الله وتوبوا إليه فإنه يقبل التوبةَ، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإياكم وصحبةَ العاصين، ومعونةَ الظالمين ومجاورةَ الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم، واعلموا أنه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبد بأمره دون أمر ولى الله، ونار تلهّب، تأكل أبداناً، قد غابت عنها أرواحها، وغلبت عليها شقوتها، فهم موتى لا يجدون حر النار، فاعتبروا يا أولى الأبصار، واحمدو الله على ما هداكم، واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرةِ لله إلى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ثم إليه تحشرون، فانتفعوا بالعظةِ، وتأدبوا بآداب الصالحين) [۱۲۸] . حث المؤمنين (عليه السّلام) على تقوى الله وطاعته لأنهما أساس سعادةِ الإنسان فى الدنيا والآخرةِ فبهما يستقيم سلوكه ويكون محترماً كريماً بين قومه، وعن طريقهما تزدهر حياته ويكسب رضى الله تعالى وسعادته التى ما بعدها سعادةِ. تعد هذه الموعظةِ من غرر مواعظ الإمام (عليه السّلام) ذلك أنها لم تقتصر على الدعوةِ إلى الزهد فى الدنيا والعمل للآخرةِ، وإنما كانت من الوثائق الاجتماعيةِ والسياسيةِ والأدبيةِ. ۴ – ومن مواعظه أيضاً: سأله رجل فقال له: كيف أصبحت يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟ فقال (عليه السّلام): (أصبحت مطلوباً بثمانٍ: الله يطالبنى بالفرائض، والنبى يطالبنى بالسنةِ، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوةِ، والشيطان باتباعه، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال مطلوب) [۱۲۹] . إذا تأملنا ملياً أبعاد الحياةِ رأيناها محاطةً بهذه الأمور الثمانيةِ، وإذا نظرنا إلى ما حولنا وجدنا أكثر الناس يحتفلون بمباهجها ويهتمون بزينتها ومفاتنها، لكنهم لو تبصروا أكثر وأمعنوا الفكر لصمموا على الزهد فيها لأنها فانيةِ زائلةِ لا تدوم. ۵ – وفى هذا المجال قال (عليه السّلام) الموعظةِ التاليةِ: (لو كان الناس يعرفون جملةَ الحال فى صواب التبيين، لأعربوا عن كل ما يتلجلج فى صدورهم، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعةِ إلى كل حال سوى حالهم، وعلى أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم فى الأيام القليلةِ العدةِ، والفكرةِ القصيرةِ المدةِ، ولكنهم من بنى مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ومعدول بالهوى من باب التثبت، ومصروف بسوء العادةِ عن فضل التعلم) [۱۳۰] . لو أمعن الإنسان النظر وأطال التفكير فى شؤون هذا الكون لآمن إيماناً لا يخامره الشك بأن هناك خالقاً للكون ومدبراً له يخضع كل شىء لإرادته وقضائه، وإذا آمن ذلك لوجد برد اليقين فى نفسه وعاش آمناً مطمئناً لكثير من المشاكل والمصاعب التى تعترضه فى حياته القصيرةِ الأمد، ولكن هل يعتبر؟ وأنى له ذلك وهو يعيش فى غمرةِ الجهل يضله الهوى عن تعلم الحقائق ويبعده عن الوصول إلى الحق.

انوار من تعاليمه

اشاره

أدلى الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بالكثير من التعاليم القيمة الرفيعة التى تدل على خبرة كاملة لواقع الحياة وعمق بعيد فى شؤونها وشجونها؛ كما يرشح من تعاليمه الحكيمة خبرته الواسعة بأحوال الناس وأمورهم ومعاشهم وكل ما يتعرضون له من أمراض نفسية وسياسية ودينية وفيما يلى بعض ما أثر عنه:

ذم التكبر

التكبر ظاهرة سيئة لأنها باب لكل شر ومصدر لكل رذيلة لذلك ذم الإمام (عليه السّلام) التكبر ونعى على المتكبر الذى لا يرى غيره يستحق الحياة، ومن ثم يقوم بالظلم والاعتداء على الناس. يقول (عليه السّلام): (عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة). فالمتكبر على الناس الفخور بنفسه، لو تأمل ذاته قليلًا ونظر إلى بداية تكوينه نطفة، ثم إلى نهاية مصيره، جيفة، لما تكبر على الناس بماله أو بنيه! ليته تذكر قول الإمام على (عليه السّلام): (إن لم يكونوا إخوة لك فى الدين فهم أسوة لك فى الخلق) أو تذكر قول الله عز وجل: (ولا تخزنى يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون) [۱۳۱] . المتكبرون صموا آذانهم عن قول الله تعالى رب العرش العظيم: (ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) [۱۳۲] أى لا تمشِ فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض بدوسك وشدة وطئك مهما شمخت بأنفك، فإنك ضعيف وقصير لن تبلغ الجبال طولاً! فاعرف نفسك، وقدر قدرك وزن الأمور بميزان العقل المتنور بنور الإيمان وزيت الحكمة وعبق الرحمة وحسن الإدراك والتقدير. فالله تعال فاطر السماوات والأرض هو العزيز الحكيم ولا يحب كل مختال فخور قال تعالى: (ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور) [۱۳۳] . فالمتكبر يكرهه عباد الله فى الدنيا ويكرهه الله فى الآخرة، فهو خاسر الدارين لذلك عد التكبر فى الإسلام من الصفات الذميمة التى تفسد المجتمع الإنسانى وتورث الفرقة والبغضاء.

الابتهاج بالذنب

قال (عليه السّلام): (إياك والابتهاج بالذنب، فإن الابتهاج بالذنب أعظم من ركوبه). بعض الناس يخطئون مع الآخرين من أهلهم أو أصحابهم أو جيرانهم لكنهم بعد وقوع الخطأ تؤنبهم نفسهم فيتراجعون عن خطئهم ويعتذرون لسوء فعلتهم. والبعض الآخر يرتكبون الأخطاء الكبيرة والذنوب الفادحة ثم يفتخرون بما كسبت أيديهم من الآثام ويتباهون بذنوبهم بلا خجل و لا حياء. هؤلاء قد يكونون من أصحاب السلطة أو الجاه أو أصحاب الثروات الطائلة فلا يأبهون لانتقاد الناس لهم ولا يحترمون حقوق غيرهم، لأنهم يتوهمون أن الجميع بحاجة إليهم وإلى خدماتهم. وإننا نجد منهم الكثير فى حياتنا اليوم من الذين خدمهم الحظ وتسلموا مناصب عالية فى هذا الزمان البائس. وقد نجد حولهم أنصاراً يحفون بهم ويسترون عليهم عيوبهم، وهم من طينتهم لا يهمهم سوى مصالحهم الشخصية ولذاتهم القريبة المنال. هؤلاء الفئة المخربة فى المجتمع، حذرهم الإمام من الابتهاج بذنوبهم لأن الابتهاج بالذنب أعظم من ركوبه, وبعد هذا التحذير عمد (عليه السّلام) إلى تعداد الذنوب التى توجب سخط الله وعذابه فحذر منها ليكون الإنسان فى سلامة من دينه وآخرته. قال (عليه السّلام): (الذنوب التى تغير النعم البغى على الناس، والزوال عن العادة فى الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم وترك الشكر، قال الله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [۱۳۴] فالبغى على الناس من الذنوب التى تغير النعم والذنوب التى تورث الندم، قتل النفس التى حرم الله، قال تعالى فى قصة قتل قابيل لأخيه هابيل وعجزه عن دفنه: (فأصبح من النادمين) [۱۳۵] . لقد ترك صلة القرابة والرحم طمعاً بهذه الدنيا الفانية وترك الوصية ورد المظالم وترك الصلاة ومنع الزكاة حتى يحضر الموت (فلات ساعة مندم). والذنوب التى تنزل النقم: عصيان العارف، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخر بهم، والذنوب التى تدفع النعم إظهار الافتقار، والنوم على العتمة [۱۳۶] ، وعن صلاة الغداة واستحقار النعم وشكوى المعبود. والذنوب التى تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطى ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب. والذنوب

التی تنزل البلاء: ترک إغاثة الملهوف، وترک معونة المظلوم، وتضییع الأمر بالمعروف، والنهی عن المنکر. والذنوب التی تدیل الأعداء: المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة المحظور، وعصیان الأخیار، واتباع الأشرار. والذنوب التی تعجل الفناء: قطیعة الرحم، والیمین الفاجرة، والأقوال الکاذبة والزنا، وسد طرق المسلمین، وادعاء الإمامة بغیر حق. والذنوب التی تقطع الرجاء: الیأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغیر الله، والتکذیب بوعد الله. والذنوب التی تظلم الهواء السحر والکهانة، والإیمان بالنجوم والتکذیب بالقدر، وعقوق الوالدین. والذنوب التی تکشف الغطاء: الاستدانة بغیر نیة الأداء، والإسراف فی النفقة علی الباطل، والبخل علی الأهل والولد وذوی الأرحام وسوء الخلق، وقلة الصبر، واستعمال الضجر والاستهانة بأهل الدین. والذنوب التی ترد الدعاء: سوء النیة وخبث السریرة والنفاق مع الإخوان، وترک الصدیق بالإجابة وتأخیر الصلوات المفروضات حتی تذهب أوقاتها، وترک التقرب إلی الله عز وجل بالبر والصدقة، واستعمال البذاء والفحش فی القول الزور، وکتمان الشهادة، ومنع الزکاة والقرض والماعون وقساوة القلوب علی أهل الفقر والفاقة وظلم الیتیم والأرملة وانتهار السائل ورده باللیل..) [۱۳۷] . لقد حذر الإمام (علیه السّلام) من اقتراف هذه الذنوب علی اختلاف أنواعها ودرجاتها، والجرائم التی توجب انحراف الإنسان فی سلوکه وتبعده عن خالقه، وما ینتج عن ذلک من آثار وضیعة ومضاعفات سیئة فی الدنیا والآخرة. والحقیقة أن هذا الحدیث وأمثاله هو من المناجم الخصبة فی التربیة النفسیة والسلوک الاجتماعی وتنظیم الحیاة فی توازنها وعدالتها. ثم استکمال الموضوع فی شتی جوانبه وإصابة الهدف الذی یرمی إلیه وتحقیق الغایة فی إصلاح الفرد وإصلاح المجتمع، سیما وأن الإمام عاش فی عصر تسوده الانحرافات فی الدین والأخلاق والآداب، ویسوسه حکام ظالمون طغاة لا یفقهون من الدین إلا اسمه ولا یعرفون من الحق إلا رسمه فکان من واجب الإمام السجاد أن یقوم بدوره الإصلاحی لیقوم الإعوجاج ویصلح ما أفسده الأمویون فی رسالة جده یرید أم یکمل الطریق الذی رسمه والده سید الشهداء (علیه السّلام).

العدالة

إن اکتشاف المؤمنین أمر لازم وضروری فی نظر الإمام السجاد وفی أیامنا هذه یری الإنسان نفسه فی خضم معارک طاحنة تخوضها الحرکات والتیارات السیاسیة والاجتماعیة متآمرة علی الإسلام حیث تسیَّر بطرق خبیثة أقل ما تتصف به اللؤم والدهاء. فی هذا العالم الیوم تفتقد الشخصیة الإنسانیة صفاءها ونقاءها وطهرها، فقد کثر الریاء وتغشی النفاق، وذهبت نصیحة الرسول الأکرم (صلّی الله علیه وآله وسلّم) (طوبی لمن تساوت سریرته وعلانیته) أدراج الریاح. فی أیامنا هذه أصبحت المسؤولیة ثقیلة علی عاتق المؤمنین الرساليین حیث أضحی أول همهم معرفة من یحیطون بهم معرفة کاملة حتی تتوافر الثقة فیما بینهم ثم بعد ذلک یستطیعون أن یعملوا ویجاهدوا فی سبیل الله بکل ثقة وطمأنینة وإخلاص... فکیف یمکن أن نتعرف علی المؤمنین المخلصین؟ وکیف نکتشف المندسین المشبوهین؟ هذا ما یبینه لنا الإمام زین العابدین (علیه السّلام) فی حدیثه التالی حیث یوضح لنا فیه العلامات المیزة لمن آمن واعتقد بالإسلام. قال علیه السلام: (إذا رأیتم الرجل قد حسن سمته، وهدیه، وتمادی فی منطقه، وتخاضع فی حرکاته، فرویداً لا یغرنکم، فما أکثر من یعجزه تناول الدنیا، ورکوب الحرام منها، لضعف بنیته ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدین فخاً له، فهو لا یزال یختل الناس بظاهره فإن تمکن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه یعف عن المال الحرام فرویداً لا یغرنکم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أکثر من یتأبی عن الحرام وإن کثر، ویحمل نفسه علی شوهاء قبیحة فیأتی منها محرماً، فإذا رأیتموه کذلک فرویداً لا یغرنکم حتی تنظروا عقدة عقله، فما أکثر من ترک ذلک أجمع ثم لا یرجع إلی عقل متین، فیکون ما یفسده بجهله أکثر مما یصلحه بعقله... فإذا وجدتم عقله متیناً فرویداً لا یغرنکم حتی تنظروا أیکون هواه علی عقله أم یکون عقله علی هواه؟ وکیف محبته للریاسة الباطلة وزهده فیها؟ فإن فی الناس من یترک الدنیا للدنیا! ویری أن لذة الریاسة الباطلة أفضل من ریاسة الأموال والنعم المباحة المحللة، فیترک ذلک أجمع طلباً للریاسة، حتی إذا قیل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المهاد، فهو یخبط خبط عشواء، یقوده أول باطله إلی أبعد

غايات الخسارة، ويمد به بعد طلبه لما لا يقدر فى طغيانه، فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله لا يبالى ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التى قد شقى من أجلها فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم عذاباً أليماً. ولكن الرجل كل الرجل الذى جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة فى قضاء الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد مع العز فى الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤدى إلى دوام النعيم فى دار لا تبيد، ولا تنفد، وإن كثيراً ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤدى به إلى عذاب لا انقطاع له، ولا زوال، فذلك الرجل تمسكوا به، واتقدوا بسنته، وإلى ربكم توسلوا به، فإنه لا ترد له دعوة، ولا يخيب من طلبه..). استهدف هذا الحديث معرفة العدالة التى تعد من أجل الملكات النفسية لأن بها يتحرر الإنسان من أوضار المادة ومغريات النفس وشهواتها، ويسمو فوق الطين إلى أعلى الدرجات وأنبلها، وبذلك لم يعد عليه أى سلطان من النزاعات الفاسدة كما يستهدف أيضاً أن معرفة الرجل العادل الكامل فى ورعه وتقواه ينبغى أن تستند إلى امتحان دقيق وخبرة شاملة لا إلى نظرة خاطفة ورأى سريع. من هذه الصفات التى نستشفها من خلال هذا الحديث: أ – حسن السمت: ليس دليلًا كافياً على العدالة والتقوى والأناقة فى المظهر ليست دليلًا على حسن الجوهر. ب – إظهار الإصلاح: وهذا لا يعد دليلًا كافياً على عدالة المسلم. لأنه قد يكون خداعاً ورياءً، واتخذ الدين وسيلة لنيل مآربه وتحقيق أطماعه وشهواته بعد أن عجز عن الظفر بها بسائر الوسائل الأخرى. ج – الامتناع عن المال الحرام: وهذا أيضاً ليس دليلًا على التقوى، فقد يرغم نفسه على ذلك ويحملها على تحقيق أغراضه الشخصية التى لا صلة لها بالدين أصلًا [۱۳۸] . أما الوسائل التى يستكشف بها كمال الورع والثقة فى الدين فهى: أ – اتباع أوامر الله، والانقياد الكامل لطاعته تعالى حيث توجه جميع طاقات المؤمن للحصول على مرضاة الله والتقرب إليه، فالرجل العادل هو العبد الصالح التقى الذى تنبعث عدالته عن فكر وتأمل وإيمان. ب – الزهد فى طلب الإمارات الباطلة لأن ذلك من أوثق الدلالات على العدالة والتقوى. ج – أن يغلب عقل الإنسان شهواته وهواه. يعتبر هذا الحديث من أرقى مراتب العدالة فى الفقه والمرجعية [۱۳۹] . فما هى صفات المؤمن وما هى صفات المنافق؟ لقد بين الإمام زين العابدين (عليه السّلام) صفات المؤمنين وصفات المنافقين بالحديث التالى، قال: (المنافق ينهى ولا ينتهى، ويأمر ولا يأتى، إذا قام للصلاة اعتراض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسى وهمه العشاء، ولم يصم، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر. والمؤمن خلط علمه بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم لا يحدث بالأمانة للأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحق رياءاً، ولا يتركه حياءاً، إذا زكّى خاف مما يقولون: ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضره جهل من جهله) [۱۴۰] . نستنتج من هذا الحديث أموراً عدّة عن المنافق وعن المؤمن، فمن صفات المنافقين: أ – المنافق يأمر بالمعروف ولا يأتى به، وينهى عن المنكر ولا ينتهى عنه، لأنه لم يكن يؤمن بذلك من أعماق نفسه، فهو يأمر وينهى للخداع والنفاق ليوهم الناس بأنه من خيارهم. ب – إذا قام للصلاة اعترض على تشريعها، كما أنه إذا ركع فى صلاته هوى إلى الأرض، ربض، كالحيوان وأما سجوده فهو غير مستقر فيه، فمثله كمثل الطائر عند نقره الطعام. ج – أشبه ما يكون بالبهيمة التى همها علفها، طعام ونوم وهو كذلك يصبح ويمسى ولا هم له سوى الطعام يعيش ليأكل وينام. أما عن شخصية المؤمن وما تتحلى به من صفات فهى: أ – تتحلى شخصية المؤمن بعنصرين أساسيين: العلم والحلم، فهو عالم وحليم، ومن اجتمعت فيه هاتان الصفتان بلغ أعلى مراتب الكمال فى حياته الشخصية والاجتماعية. ب – إذا جالس الناس يتعلم منهم العلم والحكمة، ولا يجلس فى مجالس اللهو والبطالة التى تحط من كرامته وتضيع وقته هدراً بلا فائدة. ج – يحفظ لسانه، فإذا نصت لأحد فإنما ليسلم منه، ويأمن شره والاعتداء عليه. فلا يخوض فى كل حديث؛ ولا يدخل فى مواطن الشبهات متجنباً مجالسة الفاسقين. د – يحفظ السر ولا يفشيه لأحد حتى لأقرب الناس إليه إذا استؤمن على شىء كتمه. هـ – يعمل باقتناع وإيمان، فإذا قام بعمل لا يعمله رياءً وإنما خالصاً لوجه الله العلى القدير. و – إذا تحمل الشهادة يدلى بها ولا يكتمها مهما كانت النتائج. ز – إذا نعت ببعض الأوصاف الشريفة فلا يغتر ولا يتعالى ولا يخاف أن لا يكون قد اتصف بذلك، بل يستغفر الله لمن أطلق عليه تلك الأوصاف. ح – لا يهتم بمن جهله ولا يقيم له وزناً، لأن الحقيقة سوف تبان وتظهر للعيان. هذه الصفات التى يتحلى بها المؤمن تدل على سمو ذاته، وكمال شخصيته، وعلو مكانته فى الدنيا والآخرة.

افضل الأعمال عند الله

سئل الإمام (عليه السّلام) عن أفضل الأعمال عند الله، فقال: (ما من عمل أفضل عند الله تعالى بعد معرفة الله، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك شعباً كثيرة، وإن للمعاصي شعباً، فأول ما عصى الله به: الكبر: وهو معصية إبليس حيث أبى، واستكبر، وكان من الكافرين. والحسد: وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو، وحب الثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك... حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا بلاء..) [۱۴۱] . الحقيقة التي تحف بنا وتتملكنا حبنا للدنيا وتهالكنا على مفاتنها ومغرياتها. فالأخطار التي يمنى بها الإنسان من سبب تهالكه على الدنيا التي تجر له الكثير من المعاصي والآثام، فتنخبط في شر عظيم، وفتن كبيرة وبلاء خطير. لذلك حذرنا الإمام (عليه السّلام) من حب الدنيا وآفاتها الكثيرة التي منها: ۱ - التكبر، ۲ - الحسد، ۳ - حب النساء، ۴ - حب الرياسة، ۵ - حب الراحة، ۶ - حب الكلام: ويعني الكلام فيما لا يعني الإنسان ولا يهمه، ۷ - حب العلو: يعني العلو على الآخرين والتكبر، ۸ - حب الثروة: تجميع المال وتكديسه بأي طريقة. هذه الآفات الفردية والاجتماعية قد جعلت الإنسان يسلك طرقات خطرة، ومنعطفات أغرقته في بؤرة من الآثام، وأعمت بصيرته عن رؤية الحق، فبات غريباً عن الإسلام، منبوذاً في مجتمعه وبين قومه.

حقيقة الموت

وصفه الإمام (عليه السّلام) بالنسبة للمؤمنين والكافرين فقال: (الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة، وفك أغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأوطأ المراكب. وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل من منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظمها..) [۱۴۲] . وردت أحاديث كثيرة متواترة عن الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فإذا حل الموت بالمؤمن فإنه يرى الأمر طبيعياً، ويجد بذلك الراحة الكبرى لأنه ينتقل إلى نعيم الآخرة، إلى جنة عدن، يتبوأ الفردوس حيث يشاء. وأما الكافر فإذا حل الموت به فإنه يرى نفسه في ضيق شديد ويواجه الموت بحسرات وآلام وخوف لأنه ينتقل من الجنة إلى سجن موحش وعذاب دائم.

الزهد

سئل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) عن الزهد فأجاب: (الزهد عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا [۱۴۳] ، ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله قوله تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) [۱۴۴] . حفل هذا الحديث بحقائق هامة من المعرفة التي تنور عقل الإنسان وتشرح صدره للتلقي وفهم معاني الحياة على حقيقتها، بعض هذه الحقائق العرفانية: أ - إن أسمى درجة الزهد لا تعادل أدنى درجة من الورع عن محارم الله الناشئ عن ضبط النفس، والسيطرة عليها. ب - وأرقى درجة من الورع هي أدنى درجة من اليقين بالله تعالى الذي هو من أسمى مراحل الإيمان. ج - وأعلى مرتبة من اليقين هي أدنى درجة من الرضا بما قسم الله تعالى فإنه جوهر الإيمان. د - حقيقة الزهد حوته الآية الكريمة التي حذرت من الحسرة والأسى على ما يفوت الإنسان من المنافع في دار الدنيا، كما حذرت من الفرح والابتهاج بما يكسبه الإنسان ويظفر من ملذات هذه الحياة ومفاتنها المادية، التي تؤول إلى تراب.

الحب في الله

دعا الإمام (علیه السّلام) المسلمین عامة إلی التحاب والمودة فیما بینهم خالصة لوجه الله تعالی لا یشوبها شائبة من شؤون المادة التی لا تلبث أن تزول وتتلاشی بوقت قریب. قال(علیه السّلام): (إذا جمع الله الأولین والآخرین نادی مناد یسمعه الناس یقول: أین المتحابون فی الله؟ فیقوم عنق من الناس، فیقال لهم: إذهبوا إلی الجنة بغیر حساب، فتتلقاهم الملائکة ویسألونهم عن العمل الذی جازوا به إلی الجنة، فیقولون: نحن المتحابون فی الله، فیقولون: وأی شیء کان أعمالهم؟ فیقولون: کنا نحب فی الله ونبغض فی الله فیقولون لهم: نعم أجر العاملین). إن الحب فی الله هو الحب الأصیل وهدفه فی الحیاة هو الهدف الشریف والمحب فی الله عبد صالح یحب فی الإنسان العمل الصالح فلا یأبه لمصلحة دنیویة رخیصة ولا لغایة شخصیة دنیئة یهدف من ورائها تحقیق أطماعه الخاصة. والبغض فی الله هو کذلک، بغض للانحراف عن الحق وبغض للجهل والضلالة، وبغض للظلم والظلامة. والمبغض فی الله غایته التقویم والإصلاح حتی تستقیم الأمور المحقة وتنشر العدالة رایتها علی کافة الربوع الإسلامیة. من هنا کان الحب فی الله عاملاً موحداً یجمع بین قلوب المؤمنین ویوحد صفوفهم ضد أعداء الله، ویجمعون أمرهم حول هدف واحد یجمع ولا یشتت، ویوحد ولا یفرق لأنه ناشئ عن الإیمان العمیق بالله تعالی الذی (یعز من یشاء ویذل من یشاء بیده الخیر وهو علی کل شیء قدیر).

من غرر أجوبته

اشاره

هذا غیض من فیض الذی سجله المؤرخون وأهل التراجم والسیر من نصائح ومواعظ تعتبر سلماً إلی مرتقی الکمال ومنهجاً حیاً لحیاة جمیع الناس وصلة وصل بین العبد وخالقه. ویعیش المؤمن بوحیها بعیداً عن غوغاء الدنیا وقریباً من الله تعالی. وهذه بعض ما ورد من أجوبة الإمام السجاد عن مسائل وردت علیه جاءت عن تفسیر بعض آی الذکر الحکیم أو عن توضیح أمور فقهیة تشریعیة أو عن قضایا دینیة وغیبیة لا یحسن الرد علیها إلا أهل البیت، أهل العلم والمعرفة. ۱ - سئل (علیه السّلام) عن العصبیة فأجاب: العصبیة هی التی یأثم علیها صاحبها فیری الرجل شرار قومه خیراً من خیار قوم آخرین، ولیس من العصبیة أن یحب الرجل قومه ولکن العصبیة أن یعین قومه علی الظلم) [۱۴۵] . العصبیة هی التی فرقت بین العرب فی الماضی وما زالت موجودة عند العرب وعند غیرهم فی عصرنا الحاضر، عند الدول التی تسمی نفسها متحضرة حیث نجدها بأبشع صورها وأشکالها. ففی أمریکا مثلاً تمثلت العصبیة البغیضة بین البیض والسود فصاحب البشرة السوداء محروم من کافة حقوقه التی یتمتع بها المواطن الأمریکی الآخر صاحب البشرة البیضاء. وکل ذنبه أن خَلْقه وشکله یختلفان عن خلق وشکل المواطن الأمریکی الأبیض کل ذلک بسبب العصبیة البغیضة التی لا تقیم وزناً للإنسان فی إنسانیته وکرامته وحریته. أین هؤلاء من تعالیم الإسلام الإنسانیة النبیلة؟ أین هؤلاء من الأخوة التی نادی بها الإسلام وطبقها المسلمون المؤمنون؟ یعتمد الإسلام فی میزانه العادل علی مقیاس تشریعی إلهی یقدر ما للمخلوق من حقوق فردیة لا ینازعه فیها منازع، ویفرض علیه واجبات علیه تأدیتها کاملة غیر منقوصة. قال الله تعالی فی کتابه العزیز: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بین أخویکم) [۱۴۶] . وقال الرسول الأکرم: (لا فرق بین عربی وأعجمی ولا بین أسود وأبیض إلا بالتقوی) فالتقوی فی الإسلام هی المیزان فقط. وقال أمیر المؤمنین (علیه السّلام) فی وصیته لمالک الأشتر قبل أن یتجه والیاً علی مصر: (...فإن لم یکونوا إخوة لک فی الدین فهم أسوة لک فی الخلق). والإمام زین العابدین هو حفید أمیر المؤمنین سار علی خطی أبیه وجده (علیهما السّلام). فقد رفض العصبیة لأنها تفرق بین الناس وتوهن العلاقات الاجتماعیة فی المجتمع الواحد. أما العصبیة لقومه عندما یعینهم علی الظلم فیبعدهم عنه ویمنعهم لیکونوا من الظالمین. لکن إذا أحبهم فهذا لیس من العصبیة فی شیء لأن بالمحبة تعمر الأوطان ویسعد بنو الإنسان ویعیش کل فرد وجماعة بسلم وأمان. ۲ - وسئل (علیه السّلام): أی الأعمال أفضل عند الله تعالی؟ فقال (علیه السّلام): ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنیا، وإن لذلک شعباً کثیرة وإن للمعاصی شعباً، فأول ما عصی الله به الکبر، وهو معصیة إبلیس

حين أبى واستكبر وكان من الكافرين. والحسد وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو، وحب الثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن فى حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا بلاغ ودنيا ملعونة) [۱۴۷] . والمراد من حب الدنيا الانغماس فيها والتلهى بملذاتها عن عبادة الله تعالى؛ علماً أن فيها ما يحصل به مرضاة الله عز وجل ويبلغ به إلى الآخرة وتدفع به الضرورة والكفاف لكل من عمل عملاً متقناً صالحاً يفيد نفسه ويفيد الآخرين. والمراد من لعن الدنيا عندما تبعد الإنسان عن نيل السعادة وكسب الرحمات الإلهية. وما أكثر الذين يحبون الدنيا فى أيامنا هذه فانغمسوا بملذاتها ونسوا نعم الله، وجمعوا المال وبنوا الدور والقصور وعاشوا ليومهم فإذا أتت ساعتهم ندموا وتحسروا، ولات ساعة مندم. ۳ - الأخذ بالجوهر وليس بحسن المنظر: سئل عن ذلك (عليه السّلام) فأجاب: إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتمادى فى منطقه وتخاضع فى حركاته فرويداً لا يغرنكم فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهرة فإن تمكن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من يتأبى عن الحرام وإن كثر ويحمل على نفسه شوهاء قبيحة فيأتى فيها محرماً. فإذا رأيتموه كذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا عقدة عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله. فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أيكون هواه على عقله أم يكون عقله على هواه وكيف محبته للرياسة الباطلة وزهده فيها فإن فى الناس من يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من رياسة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة حتى إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم! فحسبه جهنم وبئس المهاد فهو يخبط خبط عشواء يقوده أول باطله إلى أبعد غايات الخسارة ويمد به بعد طلبه لما لا يقدر فى طغيانه، فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالى ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التى شقى من أجلها فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً. بعد أن حذّرنا (عليه السّلام) من هذا النوع من الرجال الذين أحبوا الرياسة الباطلة واخذتهم العزة بالإثم فغضب الله عليهم ولعنهم دعانا لنقتدى بالرجل الذى جعل هواه تبعاً لأمر الله فقال: ولكن الرجل كل الرجل الذى جعل هواه تبعاً لأمر الله وقواه مبذولة فى قضاء الله يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد مع العز فى الباطل ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم فى دار لا تبيد ولا تنفد وإن كثيراً ما يلحقه. يا زهرى من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه. يا زهرى عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فكبيرهم بمنزلة والدك وتربك منهم بمنزلة أخيك فأى هؤلاء تحب أن تظلم، وأى هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأى هؤلاء تحب أن تهتك ستره. وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة فانظر إن كان أكبر منك، فقل قد سبقنى بالإيمان والعمل الصالح، فهو خير منى، وإن كان أصغر منك فقل قد سبقته بالمعاصى والذنوب فهو خير منى، وإن كان تربك فقل أنا على يقين من ذنبى وفى شك من أمره، فما لى أدع يقينى لشكى. وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك فقل هذا فضل اخذوا به، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً فقل هذا لذنب أحدثته فإنك إذا فعلت ذلك سهل الله عليك عيشك وكثر أصدقاؤك وقل أعداؤك وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم. ثم تابع قائلاً (عليه السّلام): واعلم أن أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فايضاً وكان عنهم مستغنياً متعففاً، وأكرم الناس عليهم من كان مستعففاً عنهم وإن كان إليهم محتاجاً فإنما أهل الدنيا يتعقبون الأموال فمن لم يزدحمهم فيما يتعقبونه كرم عليهم ومن لم يزاحمهم ومكنهم من بعضها كان أعز وأكرم) [۱۴۸] . وهذه بعض أجوبته (عليه السّلام) عن فقه الشريعة وتفسير بعض آى الذكر الحكيم. منها: ۴ - قال الزهرى: دخلت على على بن الحسين فقال لى: يا زهرى من أين جئت؟ قلت: من المسجد. قال: فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا أمر الصوم، فاجتمع رأيى ورأى أصحابى على أنه ليس من الصوم واجب إلا صوم شهر رمضان. فقال: يا زهرى ليس كما قلتم، إن الصوم على أربعين وجهاً. فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان وعشرة أوجه منها صيامهن حرام، وأربعة عشر وجهاً منها صاحبها فيها بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر وصوم الإذن على ثلاثة

أوجه: صوم التأديب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض. قلت: فسرهن لى جعلت فداك. قال(عليه السّلام): أما الواجب: فصيام شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً. وصيام شهرين متتابعين فى قتل الخطأ لمن يجد العتق واجب، قال عز وجل: (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله... فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله..) [سورة النساء: الآية ۹۲]. وصيام شهرين متتابعين فى كفارة الظهار لمن لم يجد العتق واجب، قال الله تبارك وتعالى: (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير) [سورة المجادلة: الآية ۲]. وصيام ثلاثة أيام فى كفارة اليمين واجب لمن لم يجد إلا طعام، قال الله تبارك وتعالى: (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) [سورة المائدة: الآية ۷۹]. كل ذلك متتابع وليس بمتفرق. وصيام أذى الحلق واجب، حلق الرأس. قال الله تبارك وتعالى: (فمن كان منكم مريضاً أ, به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) [سورة البقرة: الآية ۱۹۶]. وصاحبها فيها بالخيار وإن صام ثلاثاً. وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدى. قال الله تبارك وتعالى: (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) [سورة البقرة: الآية ۱۹۶]. من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى العذاب. ۵ - وسئل (عليه السّلام) عن يوم القيامة فقال: (إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، وجمع ما خلق فى صعيد واحد، ثم نزلت ملائكة السماء الدنيا وأحاطت بهم صفاً، وضرب حولهم سرادق من النار، ثم نزلت ملائكة السماء الثانية فأحاطوا بالسرادق، ثم ضرب حولهم سرادق من نار، ثم نزلت ملائكة السماء الثالثة فأحاطوا بالسرادق، ثم ضرب حولهم سرادق من نار، حتى عد ملائكة سبع سماوات وسبع سرادقات، وصعق الرجل فلما أفاق قيل له: يا بن رسول الله فأين على وشيعته؟ قال: على كثبان المسك يؤتون بالطعام والشراب، لا يحزنهم ذلك) [۱۴۹] . ولما بيّن (عليه السّلام) أهوال يوم القيامة والقصاص من الظالم للمظلوم قام رجل وقال: يا بن رسول الله إذا كان للمؤمن على الكافر مظلمة فأى شىء يأخذ منه وهو من أهل النار؟ فقال (عليه السّلام): يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر، فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره. قال: فإن كان للمسلم على المسلم مظلمة فما يأخذ منه؟ فقال (عليه السّلام): يؤخذ من حسنات الظالم ويدفع للمظلوم وإن لم يكن له حسنات يؤخذ من سيئات المظلوم على الظالم) [۱۵۰] . جواب مسدد كامل شامل لا يشوبه شائبة يعبر تعبيراً سليماً عن رأى قائلة، والإمام السجاد كعادته فى كل أجوبته، ولا غرو فهو إمام معصوم من جامعة أهل البيت مؤهل بعلوم خاصة علوية تزود بها من أبيه وجديه (عليهم السّلام)، وهكذا كان شأن الأئمة المعصومين الذين أتوا بعده. لقد أوجدهم الله جل شأنه رحمة للعالمين وقيضهم أعلاماً يقتدى بهم ويقتفى أثرهم. فبهم قامت الدعوة الإسلامية وبهم تطورت الحياة الاجتماعية. نتابع سرد بعض أجوبته المسددة والكافية الوافية. ۶- سئل (عليه السّلام): لِمَ أوتم النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من أبويه؟ فقال (عليه السّلام): لئلا يوجب عليه حق لمخلوق) [۱۵۱] . وقيل له: ما أشد بغض قريش لأبيك؟ فقال (عليه السّلام): لأنه أورد أولهم النار، وألزم آخرهم العار) [۱۵۲] . ۷ - وبعد وقعة كربلاء رجع (عليه السّلام) إلى المدينة فوقف عليه إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله فقال متشمتاً: من الغالب؟ قال (عليه السّلام): إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب) [۱۵۳] . ۸- روى الإمام الباقر (عليه السّلام) أن الزهرى، محمد بن مسلم بن شهاب، دخل على الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كئيباً حزيناً فقال له: ما بالك مغموماً؟ قال: يا بن رسول الله فما امتحنت به من حساد نعمى والطامعين فىَّ ممن أرجوه ومن أحسنت إليه فيخلف ظنى. فقال على بن الحسين (عليه السّلام): احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك. قال الزهرى: إنى أحسن إليهم بما يبدر من كلامى. فقال (عليه السّلام): هيهات، هيهات إياك أن تعجب بذلك وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره فليس كل ما تسمعه شراً يمكنك أن توسعه عذراً. وصوم جزاء الصيد واجب. قال الله تبارك وتعالى: (ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره...) [سورة المائدة: الآية ۵۹]. ثم قال (عليه السّلام): أوَتدرى كيف يكون عدل ذلك صياماً يا زهرى؟ فقلت: لا أدرى. قال: تقوّم الصيد قيمة، ثم تفض تلك القيمة على البر، ثم يكال ذلك البر أصواعاً فيصوم لكل نصف صاع يوماً. وصوم النذر واجب وصوم

الاعتكاف واجب. وأما الصوم الحرام: فصوم يوم الفطر، وصوم الأضحى وثلاثة أيام من أيام التشريق، وصوم يوم الشك أمرنا به ونهينا عنه، أمرنا به أن نصومه مع شعبان ونهينا أن ينفرد الرجل بصيامه فى اليوم الذى يشك فيه الناس. قلت: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟ قال: ينوى ليلة الشك أنه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه، وإن كان من شعبان لم يضر. قلت: وكيف يجزى صوم تطوع عن فريضة. قال: لو أن رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوعاً وهو لا يدرى ولا يعلم أنه من شهر رمضان، ثم علم بعد ذلك أجزأ عنه، لأن الفرض إنما وقع على اليوم بعينه وصوم الوصال حرام، وصوم الصمت حرام، وصوم النذر للمعصية حرام، وصوم الدهر حرام [۱۵۴] . وأما الصوم الذى صاحبه فيه بالخيار: فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين، وصوم أيام البيض، وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء كل ذلك صاحبة فيه بالخيار، إن شاء صام، وأن شاء أفطر. وأما صوم الإذن: فإن المرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها والعبد لا يصوم تطوعاً إلا بإذن سيده، والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فمن نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً إلا بإذنهم. وأما صوم التأديب: فإنه يؤمر الصبى إذا راهق بالصوم تأديباً وليس بفرض، وكذلك من فطر لعلة من أول النهار ثم قوى بعد ذلك أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم قدم أهله أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض؟ وأما صوم الإباحة: فمن أكل أو شرب أو تقيأ من غير تعمد فقد أباح الله ذلك له وأجزأ عنه صومه. وأما صوم السفر والمرض: فإن العامة اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم. وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام وإن شاء فطر. وأما نحن فنقول: يفطر فى الحالين جميعاً فإن صام فى السفر أو فى حال. المرض فعليه القضاء فى ذلك لأن الله عز وجل يقول: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) [۱۵۵] [سورة البقرة: الآية ۱۸۴]. ۹ - ومن تفسيراته لآى الذكر الحكيم قال فى تفسير قوله تعالى: (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) [سورة البقرة: الآية ۱۷۹]. (ولكم) ينادى امة محمد. (فى القصاص حياة) ذلك أن من هم بالقتل وعرف أنه يقتص منه يكف عن القتل، فكان ذلك حياة للذى هم بقتله، وحياة لهذا الجانى الذى أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب فلا يجسرون على القتل مخافة القصاص. (يا أولى الألباب) يا ذوى العقول. لعلكم تتقون: لعلكم ترجعون إلى الخط السليم وتتقون الله تعالى. ۱۰ - قال سعيد بن المسيب: سألت على بن الحسين (عليهم السّلام) عن رجل ضرب امرأة برجله فطرحت ما فى بطنها ميتاً. فقال (عليه السّلام): إذا كان نطفة فإن عليه عشرين ديناراً، وهى التى وقعت فى الرحم، واستقرت فيه أربعين يوماً. وإن طرحت وهو علقة، فإن عليه أربعين ديناراً، وهى التى وقعت فى الرحم واستقرت فيه ثمانين يوماً. وإن طرحته مضغة فإن عليه ستين ديناراً، وهى التى وقعت فى الرحم واستقرت فيه مائة وعشرين يوماً. وإن طرحته وهو نسمة مخلقة، له لحم وعظم، مرتل الجوارح وقد نفخ فيه روح الحياة والبقاء، فإن عليه دية كاملة [۱۵۶] . لقد ذكر (عليه السّلام) جميع الأحوال التى يمر بها الجنين من النطفة إلى الولادة ولم يترك واحدة منها، ولا غرو فهو إمام معصوم لا يسهى ولا ينسى. وسئل (عليه السّلام): من أعظم الناس خطراً؟ فقال: من لم ير الدنيا خطراً لنفسه [۱۵۷] . ۱۱ - وعن أبى مالك قال: قلت لعلى بن الحسين (عليه السّلام): أخبرنى بجميع شرائع الدين. قال: قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد [۱۵۸] . فتأمل معى هداك الله إلى هذا الإيجاز وهذه البلاغة وهذا التكثيف فى المعنى والبعد فى الدلالة، والإحاطة الشاملة بتسديد الجواب، والتسلسل المنطقى. فالذى يقول الحق ويعرف حدوده لا بد وأن يحكم بالعدل ويعلم أصوله وقواعده لا بد وأن يفى بالعهد. والذى يفى بالعهد ويحكم بالعدل ويقول الحق لا بد وأن يكون من المؤمنين الصالحين الذين كسبوا رضا الله بأعمالهم الصالحة. وسمعوا قوله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين) [سورة التوبة: الآية ۱۰۵].

من روائع حكمه

الحكمة هى ثمرة تجارب طويلة وحصيلة نظر ثاقب فى أمور الحياة، وبصيرة نافذة فى قضايا الناس وأخلاقهم. والحكمة تأمل هادئ فى سعى الإنسان وفى الغاية التى ينشدها والنهاية التى يترقبها، كما هى إحساس دقيق فى جميع فروع الحياة البشرية. والحكمة هى

إحساس بكل ما تتفتق به الحياة من ولادة أفكار تزهر وتعقد وتثمر على هذه الأرض التى منها وإليها الإنسان، وهى تأخذ زخماً فى النمو والعطاء من إبداع الإنسان وحسن فهمه لأسرار الوجود. تأخذ الحكمة غذائها من الماضى وتتلون بألوان الحاضر وتكون منارة مشعة يستضىء بنور هديها المستقبل. والحكمة فى صدر الإسلام، كغيرها من الحكم، دليل واضح على رقى عقلية العلماء، أوصياء على الأمة الإسلامية وأمناء على مسيرتها فى طريق الخير والصلاح، ولا سيما الأئمة المعصومين أئمة الهدى الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية نشر الدعوة الإسلامية وتقويم الانحراف لتسير فى الطريق الصحيح الذى رسمه الرسول الأعظم. والعلماء الحكماء هم ورثة الأنبياء منهم الإمام زين العابدين: تدل حكم الإمام (عليه السّلام) على أصالة فى الرأى، وتطور فى الفكر، وإبداع فى العطاء، وهى تحكى خلاصة التجارب التى ظفر بها الإمام فى حياته، ولا تقتصر على جانب خاص من جوانب الحياة وإنما كانت شاملة لجميع مناحيها. لقد نظر الإمام (عليه السّلام) الحكيم بعمق وشمول إلى جميع شؤون الإنسان فوضع الحلول الحاسمة لجميع قضاياه وشؤونه. وهذه بعض ما أثر عنه من غرر حكمه الحية الخالدة التى يفيد منها كل إنسان فى حياته الخاصة والعامة. قال (عليه السّلام): ١ - (من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا) [١٥٩] . حكمة رائعة تحكى واقع الأحرار فى كل زمان الذين هانت عليهم الدنيا من أجل عزتهم وكرامتهم، نفوسهم أبية ومواقفهم شريفة، فلم يخضعوا للذل والهوان ولم يسكتوا عن الظلم والطغيان بل قاوموا بكل ما لديهم من قوة، وجاهدوا بأغلى ما عندهم بالمال والبنين والأنفس، وكان على رأسهم أبو الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السّلام) الذى كرمت عليه نفسه فاستهان الدنيا وما عليها، ولم يصانع الظالمين، ولم يمالئ المنحرفين بل حمل راية الكرامة الإنسانية، راية جديه، أمير المؤمنين وخاتم النبيين حتى استشهد مرفوع الرأس، موفور الكرامة. الحسين (عليه السّلام) لبس درع الرسالة فوجد فى كل حلقة فيه نبضة قلب يتفجر عزيمة، والعزيمة تشع كضوء يتماوج بألف لون. قال الإمام الحسين كلمة ملتزمة تقول: الموت البطولى، الشهادة من أجل الحق، كلمة جده محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) التى كتبها من فوح القرآن، وقالها من بوح جسده ذى القلب السماوى ليعبر الضفة قبالة والده أمير المؤمنين، فريد الدهور فى حب الحق الأعلى. لقد قدم الإمام الحسين منهجاً جديداً فى ممارسة الحياة، منهج النضال الشريف من أجل صون حياة الإنسان. والإمام السجاد مضى على خط أبيه يناضل من أجل الحق، ويقول كما قال أخو الأوس لابن عمه عندما لقيه وهو يريد نصرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال له: أين تذهب فإنك مقتول، فقال: سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً وواسى رجالاً صالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرما فإن عشت لم أندم وإن مت لم أُلم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما [١٦٠] . ٢ - ومن حكمه (عليه السّلام) قوله: (ضل من ليس له حليم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده...) [١٦١] . قد يتعثر الإنسان فى خطاه إذا لم يكن له حليم يرشده فى المعضلات التى تعترضه فى حياته، فيتعثر فى خطاه وينزلق فى متاهات سحيقة، وقد يذل إذا لم يكن له سفيه يذب عنه ويعضده. ٣ - وقال (عليه السّلام): (ويل لمن غلبت آحاده أعشاره). سئل الإمام الصادق عن معنى هذا الحديث فقال (عليه السّلام): (أما سمعت الله عز وجل يقول: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) [١٦٢] . فالحسنة الواحدة من عملها كتبت له عشراً، والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة، فنعوذ بالله ممن يرتكب فى يوم واحد عشر سيئات ولا تكون له حسنة واحدة فتغلب سيئاته حسناته [١٦٣] . ۴ - وقال (عليه السّلام): (طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء، واستخفاف بالوقار، وهو الفقر الحاضر وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر...) [١٦۴] . إن طلب ما فى أيدى الناس خضوع لهم مما يوجب الذل والهوان وذهاب الحياء، وهو دليل ضعف فى نفس السائل أما الإنسان العزيز هو الذى يصون نفسه وكرامته ولا يطلب حاجاته إلا من ربه فهو يرزق من يشاء وبيده الخير وهو على كل شىء قدير. ۵ - وقال (عليه السّلام): (الكريم يبتهج بفضله، واللئيم يفتر بملكه..) [١۶۵] . تصف هذه الكلمة واقع الكريم واللئيم. فالكريم يفرح ويبتهج بما يسديه إلى الناس من فضل وإحسان، إحسان بالمال أو اليد أو اللسان، ذلك أن اليد العليا خير من اليد السفلى. أما اللئيم الذى لا فضل عنده من هذا فإنه يفخر بما يملكه من الأموال والأمتعة فقط التى سرعان ما تتحول إلى تراب بعد قليل أو كثير. فالذى يبقى ويدوم هو العمل الصالح والكلمة الطيبة والإحسان إلى الآخرين من قلب طيب وروح فاضلة ونفس خيرة، أما

المال والمتاع فهو غرض زائل، عمره قصير، يؤول أمره إلى تراب وصاحبه ليست لديه أية صفة كريمة أو نزعة شريفة يعتز بها ويفتخر. ۶- وقال (عليه السّلام): (خير مفاتيح الأمور الصدق، وخير خواتيمها الوفاء...) [۱۶۶] . التحلى بالصدق من أنبل الصفات وأكرمها، والصادق إنسان وقور يعيش بين قومه وأهله محبوباً كريماً. ولا نعرف صفة أفضل تكفل استقرار المجتمع الإنسانى وتضمن الثقة بين المواطنين مثل الصدق. لذلك اعتبره الدين الإسلامى أساساً ثابتاً من الفضائل التى تبنى عليها المجتمعات فى الأمم الراقية. لذلك دعا الله المؤمنين للتخلق به فقال سبحانه مخاطبهم: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) [۱۶۷] . وقد دعانا الرسول الكريم إلى قول الصدق جميع أعمالنا وأقوالنا وتصرفاتنا فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) [۱۶۸] وقال أحد الشعراء: الصدق فى أقوالنا أقوى لنا والكذب فى أفعالنا أفعى لنا وخير خواتيم الأمور الوفاء. وأفضل ما تحدث به القرآن الكريم عن الوفاء وصفة تبارك وتعالى ذاته القدسية بالوفاء فقال سبحانه: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله..) [۱۶۹] . كما نوه القرآن الكريم بسمو فضيلة الوفاء حين جعلها صفة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. فقال تعالى فى سورة النجم: (وإبراهيم الذى وفّى) [الآية ۳۷]. وللوفاء شأن يذكر وخبر يؤثر عند أئمة هذه الأمة وأعلامها المؤمنين الصادقين أمثال أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى نام فى فراش الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مسلماً نفسه للموت فى أى لحظة يهاجم بها أعداء الرسول منزله غير آبه بما سيحدث ولو كان الموت، الموت فى سبيل إنقاذ رسول الله. إنه الفداء الصادق والوفاء المخلص. قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): (إن الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جُنَّة أوفى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا فى زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل إلى حسن الحيلة. ما لهم قاتلهم الله؟ قد يرى الحوَّل القُلَّب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين) [۱۷۰] . ولهذا أكد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) على لزوم التجلى بالصدق والوفاء لأنهما من أسمى الصفات التى يشرف بها الإنسان المسلم. ۷ - وقال (عليه السّلام): (عجبت لمن يحتمى الطعام لمضرته، ولا يحتمى من الذنب لمعرته) [۱۷۱] . الجسد وعاء للروح وعلى الإنسان أن يحافظ على كليهما فالروح الطاهرة النظيفة يجب أن يحضر لها جسد طاهر نظيف والحمية من الذنوب، وما يلحقها من مآثم وعار أولى للمسلم العاقل من الحمية من الطعام المضر للجسد، ذلك أن مضرة الجسد علاجها سهل وموعدها قريب، أما مضرة الروح فإنها تجر الويل والشقاء فى دار الآخرة التى هى دار الخلود والبقاء. ۸- وقال (عليه السّلام): (إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للمقدرة عليه، فإن العفو عن قدرة، فضل من الكرم..). العفو عند المقدرة دليل شرف النفس وسعة حلمها، وهو ضرب من الكرم العظيم، أما الانتقام فإنه ينم عن لؤم وخسة فى الطبع والسلوك. ۹ - قال (عليه السّلام) فى الكلام المسموح والكلام المسموع (ليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله تعالى يقول: (ولا تقف ما ليس لك به علم) [۱۷۲] . وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) [۱۷۳] كل إنسان مسؤول عن الكلام الذى يتكلم به أمام نفسه وأمام ربه وأمام الناس. لأن الكلمة إذا تكلم بها المتكلم خرجت عن طاعته ولم تبق ملك يده، لكنه قبل التكلم بها يملكها. ورب كلمة أحدثت صلحاً ووفاقاً بين شخصين أو بين شعبين، ورب كلمة جرت حرباً وأعقبها ويلات ومصائب. من هنا كان وصفه تعالى للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة [۱۷۴] قال تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض) [۱۷۵] فالإسلام حدد الكلام المسموح به الذى يتكلم به الإنسان وذلك فيما يرجع إلى تدبير شؤونه فى معاملاته، وسائر أغراضه الأخرى المباحة. أما الكلام الذى يهدف منه صاحبه إلى ترويج الباطل وقول الزور فإنه حرام بلا ريب ويحاسب عليه. وكما حدد الإسلام الكلام المسموح حدد أيضاً الكلام المسموع. الكلام الذى يسمعه الإنسان، وهو الكلام الطيب، فاستماع الغيبة منهى عنه واستماع الفحش منهى أيضاً عنه، ذلك أن الإنسان يحاسب على

أحاسيسه القلبية ومشاعره النفسية. وقد سئل الجاحظ عن صفات الإنسان العاقل فأجاب (هو الذى يعلم متى يتكلم وكيف يتكلم ومع من يتكلم). إن الله تعالى أرسل رسله الكرام ليتكلموا وينشروا الدعوة الإسلامية فى أرجاء الأرض، وأرسل أئمة الهدى ليتكلموا ويثبتوا الحق ويجاهدوا فى سبيل الله. والعلماء فى شتى بقاع الأرض عليهم بالكلام ليعلموا الجاهلين وينشروا المعرفة. أما الذى يعلم ولا يعمل بما يعلم هو كالجاهل. لكن هؤلاء الأنبياء والأوصياء والعلماء تكلموا الكلام الطيب، الكلام المفيد الذى يرغب كل إنسان عاقل على سماعه. والكلام الطيب هو من أثمن ما يلقى على السمع، بل هو فاكهة الحياة على حد قول الإمام زين العابدين (عليه السّلام) حيث قال: (لكل شىء فاكهة، وفاكهة السمع الكلام الحسن). ١٠ - وقال (عليه السّلام) فى الحسد والحقد: (الحسود لا ينال شرفاً، والحقود يموت كمداً..) [١٧۶] . يعد الحسد من أقبح الرذائل الخلقية التى تحل فى نفس الحسود فتنكد عليه عيشه لأنه يتمنى زوال كل ما يشاهد من نعم أسبغها الله على عباده إلى نفسه وحده فلا يميز بين أخ وصديق أو جار ورفيق. يحب الخير لنفسه دون غيره. وكم نرى مثل هؤلاء النموذج الفاسد فى المجتمع المادى الصرف حيث تحل الأنانية القاتلة محل المحبة السالمة، وتسود البغضاء والحقد بدل التآلف والإيثار. والحسود فقد الثقة بنفسه واستشعر بالعجز يسيطر عليه ويحول بينه وبين تحقيق غاياته. لذلك نهى الله تعالى عن الحسد وناشد عباده فقال سبحانه: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض..) [١٧٧] . فلماذا الحسد والتحاسد، فكل إنسان وما تكسب يداه وكل فرد وما يحقق بفضل فكره وجهده واجتهاده من هنا كان التفاضل بين بنى البشر. فمن أراد السعادة فليسع إليها فلا عوائق تحول بينه وبينها إذا ما صمم بنية طيبة وقلب سليم (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) [١٧٨] وفى موضع آخر من القرآن الكريم أمر الله بالاستعاذة بالله من الحاسد قال سبحانه: (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد) [١٧٩] والحقيقة أن الحاسد يستثير منا الشفقة لما يلاقيه من ألم نفسانى الذى هو أشد وطأة عليه من الألم الجسدى. فهو قلق دائماً لا يستلذ بطعم العيش، ولا يستمتع بلذة النوم، غريب بين الناس، منعزل عن الأحباب والأصحاب، وهل تحلو الحياة بدونهم؟!. والحسد لا- يؤثر إلا- فى أصحابه كالنار تأكل بعضها البعض إن لم تجد ما تأكله. قال أحد الشعراء: إصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله فعلى الإنسان أن يستمتع بما يصادفه فى حياته من مسرات ويؤدى العمل الذى يجب عليه أداؤه بجد وإتقان دون أى مقارنة بينه وبين من هو أسعد منه حظاً، بل عليه أن ينظر إلى من هو دونه ليدرك فضل الله عليه. وفى هذا المجال قال رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم): (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه) [١٨٠] وعليه أن يدعو فيقول: يا رب: ساعدنى على أن أرى الناحية الأخرى من الصورة ولا تتركنى أتهم أخصامى بأنهم خونة لأنهم اختلفوا معى فى الرأى. يا رب: علمنى أن أحب الناس كما أحب نفسى.. وعلمنى أن أحاسب نفسى كما أحاسب الناس. يا رب: علمنى أن التسامح هو أكبر مراتب القوة، وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف، إنك سميع مجيب. وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا- تزيد المال إلا إنماءً فتصدقوا يزدكم الله). وسئل جعفر بن محمد (عليه السّلام) فى التواضع فقال: (رأس الخير التواضع وهو أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تسلم على من لقيت، وتترك المراء وإن كنت محقاً) [١٨١] . وقال الحكماء ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة. وقالوا: التواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها. إن التواضع نعمة إلهية، ونفحة طيبة، وصفة إنسانية نبيلة فطوبى لمن تحلى بالتواضع مع رفعة قدره وسموه ذاته، والجدير بكل من تحلى بهذه الصفة الكريمة أن يكون فى الصفوف الأولى من عالمنا هذا المتحضر. وما يجدر الإشارة إليه أننا أصبحنا فى عصرنا الحاضر المتحضر نرى الكثيرين من أفراد الأمة يتصدرون المجالس ليشار إليهم بالبنان، ويتبجحون فى أساليب كلامهم ليظهروا عظمتهم ويرموا بهالة من التقديس والتوقير فى نفوس مستمعيهم. والحقيقة أن التقديس منهم براء، والعظمة منهم فى عزاء، والمجد والرفعة بعيدان عنهم على حد سواء. وقال الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة) [١٨٢] . ومما روى عن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) قال: لامه عبد الملك بن مروان لأنه تزوج أم ولد لبعض الأنصار فكتب إليه الإمام (عليه السّلام): (إن الله قد

رفع بالإسلام الخسيسة، وأتم النقيصة، وأكرم به من اللؤم، فلا عار على مسلم، هذا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد تزوج أمته وامرأة عبده) [۱۸۳] . أدعو الله تعالى فأقول: (يا رب إذا أعطيتنى مالاً لا تأخذ سعادتى، وإذا أعطيتنى قوة لا تطفئ سراج بصيرتى، وإذا أعطيتنى تواضعاً لا تأخذ اعتزازى بكرامتى. ۱۱ - وقال (عليه السّلام): لا حسب لقرشى ولا عربى إلا بالتواضع) [۱۸۴] . من الأخلاق الإسلامية الفاضلة التواضع فهو كما نعلم من القرآن الكريم، نعمة سماوية تحصّن صاحبها بالجلالة والوقار، وتجنبه الوقوع فى المزالق والأخطار. لأن المتواضع يكون قد أرضى ربه سبحانه وتعالى وأرضى عباده عز وجل، فكثر محبوه، وقل مبغضوه، وارتاحت نفسه، وصفا عيشه، واستراح من التفكير فى اختيار صدور المجالس كما يفعل أهل الكبر والخيلاء فى عصرنا الحاضر، بزعمهم أن عنوان الشخص بمجلسه وليس بتقدير جلسائه له. هؤلاء قد نسوا أنه لا رافع لمن وضعه الله سبحانه، ولا واضع لمن رفعه، وكل شىء بمشيئته سبحانه قال تعالى: (اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) [۱۸۵] . والمتواضع لا بد وأن يكون لين الجانب، طيب السيرة، حسن السريرة، مثاباً من الله، محبوباً من عباد الله لذلك دعا الله جل جلاله رسوله الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليتواضع ويلين جانبه مع الناس. قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر..) [۱۸۶] . ومن عجيب الأمر أن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان من أجمع لدواعى الترفع التى كانت سائدة عند قومه آنذاك، وكان فى الوقت نفسه أدناهم إلى التواضع ذلك أنه كان أوسط [۱۸۷] الناس نسباً وأوفرهم حسباً، وأسخاهم، وأشجعهم، وأذكاهم، وأفصحهم، وهذه كلها من دواعى الترفع. ومن تواضعه أنه كان يرقع الثوب، ويجلس على الأرض، ويخسف النعل ويجيب دعوة المملوك. قال أنس بن مالك: (كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يعود المريض، ويتبع الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وقد رأيته يوم حنين على حمار خطامه ليف) [۱۸۸] . ۱۲ - البر تحفة: إنه يوصى أحد أبنائه أن يكون مطيعاً له صادقاً صالحاً، براً به فالبر تحفة كبيرة، لأن الله أوصى الابن بأبيه، ولم يوصِ الأب بابنه ولعله بذلك يشير إلى الآية الكريمة: (وبالوالدين إحساناً) فهو يقول (عليه السّلام): يا بنى إن الله رضينى لك ولم يرضك لى، فأوصاك بى ولم يوصنى بك عليك بالبر فإنه تحفة كبيرة. ۱۳ - وقال (عليه السّلام): (يا بنى أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق، فقال: من هم يا أبتاه؟ فقال: إياك ومصاحبة الكذاب فهو بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه يبيعك بأكلة وما دونها، فقال له ولده: وما دونها؟ قال: يطمع فيها ولا ينالها. وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك فيما أنت أحوج ما تكون إليه؛ وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله). يحدد لنا الإمام (عليه السّلام) فى حكمه الإصلاحية الاجتماعية كيفية المصاحبة وكيفية التعاطى مع شريحة معينة من الناس كالكذاب والفاسق والبخيل والأحمق والقاطع لرحمه، حيث ينهى أبناءه عن مصاحبة مثل أولئك الناس أو محادثتهم أو مرافقتهم. لأنه يجد الكذاب كالسراب يقرب البعيد ويبعد القريب، والفاسق يبيع صاحبه بأكلة وما دونها. والبخيل يخذل صاحبه وهو بأمس الحاجة إليه، أما الأحمق فإنه يضر بصاحبه وهو يريد منفعته. بينما القاطع لرحمه يجده الإمام ملعوناً فى كتاب الله. وفى هذا يكون الإمام (عليه السّلام) قد حدد دور هذه المصاحبة حتى يحصّن المرء نفسه من كل شائبة، وحتى لا يترك مجالاً لأصابع الاتهام بأن تشير نحوه قاصده إياه بما ليس فيه. فالابتعاد عن مثل هؤلاء البشر الفاسدين، هو صون للنفس ووقاية لها من أوبئة معنوية فاسدة تحط من قدرها اجتماعياً وإنسانياً.

افضل الكلمات

۱ - سأل رجل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) عن السكوت والكلام، أيهما أفضل؟ فقال (عليه السّلام): (لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات، فالكلام أفضل وانبرى إليه شخص فقال له: (كيف ذاك يا بن رسول الله؟..). فأجابه (عليه السّلام): (إن الله سبحانه لم يبعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت

لأعدل القمر بالشمس) [۱۸۹] . فيا سبحان الله إنه سليل أهل البيت وابن رسول الله ولا يتكلم إلا بأفضل الكلمات وأحكم الجوابات. ۲ – ومن كلماته الحكيمة: قال (عليه السّلام): (من مأمنه يؤتى الحذر، يكتفى اللبيب بوحى الحديث، وينبو البيان عن قلب الجاهل، ولا ينتفع بالقول، وإن كان بليغاً مع سوء الاستماع..) [۱۹۰] . إنها كلمة خالدة رائعة بليغة يعنى بها: أ – إن من يقيم حرساً مكثفاً للحفاظ على حياته كما يفعل الرؤساء والملوك والوزراء، فإن ما يحذرونه يأتى على الأكثر من أولئك الحراس، فإنهم هم الذين يفتكون بهم كما وقع ذلك كثيراً مع بعض الخلفاء والملوك [۱۹۱] . ب – إن اللبيب المتفتح يفهم الأمور الغامضة فى الحديث من وحى ذهنه وقرائن الأحوال ولا يحتاج إلى الشرح المستفيض والبسط فى القول. ج – البيان بعيد عن قلب الجاهل ولا يصل إليه لأنه قد ران عليه الجهل فصده عن فهم الأمور. وقد وصف تعالى هؤلاء: (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) [۱۹۲] . د – بلاغة القول وحكمته لا ينتفع بهما مع سوء الاستماع وإنما ينتفع بهما مع الإصغاء. وكما أن هناك فن القول هناك أيضاً فن الإصغاء، فالمتكلم البليغ ليس أفضل من المستمع الفهيم. ۳ – وحدة الأديان: سأل رجل الإمام (عليه السّلام) عن الإطار الجامع بين الأديان السماوية، فقال: (قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد..) [۱۹۳] . هذه القواسم الثلاثة: الحق والعدل والوفاء تشترك فيها الأديان السماوية جميعها لأنها قوام الحياة الاجتماعية وقد رفع شعارها جميع الأنبياء والمرسلين. ۴ – من حكم الإنجيل: قال (عليه السّلام) لأصحابه: (مكتوب فى الإنجيل، لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، ولا تعملوا إلا بما عُلّمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفراً، ولم يزد من الله إلا بعداً) [۱۹۴] . لا نفع لعلم محصور فى صدر صاحبه، ولا نفع لمال مخزون فى خزانة مالكه، وإنه ليس من الحق فى شىء أن يعلم الإنسان ولا يعلمه لمن حوله من الناس، فإن ذلك لا يزيده إلا بعداً من الله. ۵ – خصال رفيعة: أرفع ما يتصف به المسلم من صفات والتى يكمل بها إسلامه. قال (عليه السّلام): (أربع من كن فيه كمل إسلامه، ومحصت عنه ذنوبه، ولقى ربه عز وجل وهو عنه راض: من وفى لله عز وجل بما يجعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس وحسن خلقه مع أهله..) [۱۹۵] . المسلم الذى يتصف بهذه الصفات هو المؤمن حقاً المستكمل إيمانه، الذى يلقى الله وهو راض عنه. ۶– صفات المؤمن: قال الإمام (عليه السّلام): (علامات المؤمن خمس: فقال له طاووس اليمانى: وما هى يا بن رسول الله؟ قال: الورع فى الخلوة، والصدقة فى القلة، والصبر عند المصيبة، والحلم عند الغضب، والصدق عند الخوف) [۱۹۶] . وهذه الصفات الخمس على المؤمن أن يتصف بها ليكون بذلك من عباد الله الصالحين الذين أترعت نفوسهم بالتقوى وأشعبت عقولهم بالإيمان، وأنتجت أيديهم العمل المتقن الصالح، وملئت صدورهم بوحى العقيدة، ونطقت ألسنتهم بزيت الحكمة. ۷ – الصبر: حث الإمام (عليه السّلام) المسلمين على الصبر فقال: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له..) [۱۹۷] . لا بد لكل إنسان من أن يصادف فى حياته خطوباً كثيرة وأحداثاً صعبة تداهمه فى كل حين فعليه أن يتذرع بالصبر على هذه المكاره ويرجئ الأمور إلى الله تعالى، راضياً بما قسم له لأن ذلك من جوهر الإيمان. وقال الحكماء من صبر ظفر، وقالوا أيضاً: الصبر مفتاح الفرج. وما من خطب جلل إلا وحله بيد الله تعالى. فالمؤمن يقتنع بما يصيبه من محن ومصائب ويصبر حتى بإرادة العلى القدير. ۸– القناعة: قال (عليه السّلام) فى القناعة: (من قنع بما قسم الله فهو من أغنى الناس..) [۱۹۸] . القناعة فى الإسلام من أسمى الصفات الإنسانية، والرجل القنوع يستريح من هموم الدنيا ويرجئها إلى الله عز وجل والقناعة كنز لا يفنى، ومن قنع بما قسم الله هو من أغنى الناس وأعظمهم راحة وأقلهم هماً. لكن هناك من لا يقنع بما وصل إليه بل يجد بكل ما أعطى من قوة للاستزادة والإفادة. من هذه الشريحة الاجتماعية طلاب العلم وطلاب المال فهم دائماً فى طلب الزيادة. وقد وصفهم أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) فقال: (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال).

تحف من بعض علومه

اشاره

كان الإمام زين العابدين من أوسع الناس علماً، ومن أكثرهم دراسة فى جميع العلوم والفنون. وقد ورث هذه العلوم عن آبائه الذين ورثوا علوم النبى المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ونشروها فى جميع أنحاء الأرض فكانت نوراً يهتدى بها جميع الناس من قريب وبعيد. فعلوم الإمام السجاد (عليه السّلام) تعد امتداداً ذاتياً لعلوم آبائه. وقد روى العلماء والرواة عنه ما لا يحصى من العلوم [۱۹۹] وسوف نعرض بعض علومه ومعارفه، كان يلقيها محاضرات على العلماء والفقهاء وطلاب العلم من تلامذته.

فى رحاب القرآن

كان الإمام السجاد (عليه السّلام) شغوفاً بتلاوة القرآن الكريم لأنه يجد فيه متعة خاصة لا تعد لها أى متعة. قال (عليه السّلام): (لو مات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معى) [۲۰۰] . كما كان (عليه السّلام) من أحسن الناس صوتاً فى تلاوة القرآن الكريم فلا يكاد يسمعه أحد إلا ويتأثر به، يقول الرواة: (إن السقائين الذين يمرون ببابه كانوا يقفون لاستماع صوته) [۲۰۱] . ولا ريب أن الإمام السجاد (عليه السّلام) لم يقرأ القرآن الكريم قراءة عابرة، وإنما كان يتلو آياته بتدبر وإمعان، ويتأمل تأملاً هادئاً بما انطوت عليه من كنوز الحكمة وأنوار المعرفة. وهو القائل (عليه السّلام): (آيات القرآن خزائن كلما فتحت خزانة ينبغى لك أن تنظر ما فيها) [۲۰۲] . وعندما يختم القرآن الكريم كان يدعو الله مبتهجاً بهذا الدعاء الشريف: (اللهم إنك أعنتنى على ختم كتابك الذى أنزلته نوراً وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته، وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدى من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف [۲۰۳] عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضل من أمَّ قصد سنته، ولا تنال أيدى الهلكات من تعلق بعروة عصمته. ويتابع دعاءه (عليه السّلام): اللهم فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت جواسى [۲۰۴] ألسنتنا بحسن عبادته فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه، وموضحات بيناته، اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسراً، وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله. اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة، وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد الخطيب به، وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك حتى لا يعارضنا الشك فى تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه) [۲۰۵] . تحدث سليل النبوة عن القرآن المعجزة الكبرى فقال (عليه السّلام): إن الله عز وجل أنزل كتابه هذا نوراً يهدى به الضالين إلى الصراط المستقيم ويوضح به القصد لكل المؤمنين ويرشد به الحائرين إلى سواء السبيل. كما جعله سبحانه وتعالى مهيمناً على جميع الكتب التى أنزلها على أنبيائه المرسلين وما حدث فيها من تبديل وتحريف من قبل دعاة الضلال والمنحرفين. يُعتبر القرآن الكريم منهجاً عاماً للحياة الحرة الكريمة، ودستوراً شاملاً ـ يفرق بين الحق والباطل (فرقان) ويعرب عن شرائع الأحكام مفصلاً جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً كاملاً ـ لا لبس فيه ولا غموض. إن الذكر الحكيم أنزل وحياً على الرسول الأمين من رب العالمين بالقسط والعدل بعيداً عن المصالح الشخصية والأغراض الدنيوية الرخيصة. ثم طلب الإمام السجاد (عليه السّلام) من الله تعالى أن يتفضل عليه برعاية كتابه والتسليم لمحكم آياته، والإقرار بمتشابهاته. وأخيراً منح الله سبحانه وتعالى رسوله الأعظم خاتم النبيين عجائب ما فى كتابه المعجزة من أسرار، فألهمه القدرة على شرحه وتفسيره، كما أشاد بأئمة الهدى من العترة الطاهرة الذين رفعهم الله وأعلى درجتهم، فجعلهم خزنة علمه، وقيضهم أعلاماً يقتدى بهم ويقتص أثرهم، وبذلك كله حياة الدين وقوام الصالح العام والسعادة الكبرى للناس أجمعين. وهذه نماذج من تفسيراته لبعض آيات من القرآن الكريم: ۱ - أثر عنه أنه سئل (عليه السّلام) عن تفسير الآية الكريمة: (ورتل القرآن ترتيلا) [سورة المزمل: الآية۴]. فأجاب: بيّنه فى تلاوته تبييناً ولا تنثره نثر البقل، ولا تهذه هذى الشعر، قفوا عند عجائبه لتحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة. ۲ - روى الإمام الصادق (عليه السّلام) عن جده الإمام زين العابدين (عليه السّلام) تفسير الآية الكريمة (يقبل

التوبـة من عباده، ويأخـذ الصـدقات) [سورة التوبـة: الآية۱۰۵]. قـال (عليه السّـلام): ويأخـذ الصـدقات، إنى ضـامن على ربى تعالى أن الصدقـة لا تقع فى يـد العبـد حتى تقع فى يد الرب تعالى...وكان يقول: ليس من شـىء إلا وكل به ملك، إلا الصدقة فإنها تقع فى يد الله. ۳ – وسـئل (عليه السّلام) عن تفسير الآية الكريمة: (ادخلوا فى السلم كافة) [سورة البقرة: الآية۲۰۸]. السلم هو ولاية الإمام على بن أبى طالب أمير المؤمنين (عليه السّـلام) [۲۰۶] ولا ريب أن عهـد أمير المؤمنين، باب مدينة العلم، هو السـلم الحقيقى الذى ينعم الناس فى ظلاله بالأمن والرخاء والعدل والاسـتقرار، ولو أن المسلمين دانوا بعهده (عليه السّلام) بعد وفاة النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لما أصابهم أى مكروه ولما داهمتهم أيـة أزمات فى حياتهم السياسـية والاجتماعيـة والدينيـة والقضائيـة. لكن أكثر المسـلمين آثروا الحياة الـدنيا وعزتهم المناصب حتى حدث ما حدث. ۴ – وسـئل (عليه السّـلام) عن تفسير الآية الكريمة: (وأشرقت الأرض بنور ربها وجىء بالنبيين والشـهداء) [سورة الزمر: الآية۶۹]. فأجـاب الإمام بجواب مطول عن أهوال يوم القيامـة قال (عليه السّـلام): (إذا كان يوم القيامة بعث الله النـاس عزلاً، جرداً، مرداً، صـعيد فى واحـد يسوقهم النور، وتجمعهم الظلمـة حتى يقفوا على عتبـة المحشـر، فيزدحمون دونها، ويمنعون من المضـى، فتشـتد أنفاسـهم، ويكـثر عرقهم، وتضـيق بهم أمورهم، ويشـتد ضـجيجهم، وترتفع أصواتهم، وهو أول هول من أهوال القيامة، فعندما يشـرف الجبار تبارك وتعالى من فوق العرش، ويقول: يا معشـر الخلائق أنصـتوا، واسـمعوا منادى الجبار، فيسمع آخرهم كمـا يسـمع أولهم، فتخشع قلوبهم، وتضـطرب فرائصـهم، ويرفعون رؤوسـهم إلى ناحيـة الصوت مهطعين إلى الـداعى، ويقول الكافرين: هذا يوم عسير فيأتى النداء من قبل الجبار: أنا الله لا إله إلا أنا، أنا الحكم الذى لا يجور، أحكم اليوم بينكم بعدلى وقسطى، لاـ يظلم اليوم عنـدى أحـد آخـذ للضـعيف من القوى، ولصاحب المظلمـة بالقصاص من الحسـنات والسـيئات، وأثيب على الهبات ولا يجوز هـذه العقبـة ظالم. ولا أحـد عنـده مظلمـة يهبها لصاحبها، إلا وأثيبه عليها، وآخـذ له بها عنـد الحساب واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها فى الدنيا، وأنا شاهدكم وكفى بى شـهيداً) [۲۰۷] . ثم يعرض الإمام (عليه السّـلام) بصورة شاملة أهوال يوم القيامة بكل ما فيها من مخاوف وكل ما يعانى فيها الإنسان من إرهاق كبير وخطوب فادحـة. ۵ – وسئل (عليه السّلام) عن معنى كلمة (الصمد) فقال: الصـمد الـذى لاـ شـريك له، ولا يؤده حفظ شـىء، ولا يعزب عنه شـىء) [۲۰۸] . ۶– وسـئل (عليه السّـلام) عن تفسـير الآية الكريمة: (واشتروا بثمن بخس دراهم) [۲۰۹] فقال: بأن الثمن البخس اشتروا به يوسف كان عشرين درهماً [۲۱۰] . ۷ – وسئل (عليه السّلام) عن تفسـير الآيـة الكريمـة: (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً) [سورة المائـدة: الآية ۲۱] فأجـابه بقوله: (إن هابيـل تقرب إلى الله تعـالى بأسـمن كبش كـان فى حيـازته، وتقرب قابيل بضـغث من سـنبل فقبل الله تعالى من هابيل، ولم يقبل من قابيل، فوسوس إبليس لقابيل، بأن أولاد هابيل سـيفخرون على أولادك ويقولون: بأنهم أبناء من قبل الله قربانه، وتحكم فيه هذا الخيال حتى حسد قابيل أخاه هابيل، وعزم على قتله لئلا يكون منه نسل، ولم يدر كيف يصنع؟ فعلمه إبليس أن يضع رأسه بين حجرين ويقتله، ففعل ذلك ولم يدر كيف يواريه، حتى جاء غرابان، واقتتلا ثم حفر أحدهما للآخر وواراه، وقابيل ينظر إليه، فقام وحفر لهابيل ودفنه، وأصـبح من النادمين، وصار هـذا سـنة فى دفن الموتى. ولما سأله آدم عن أخيه هابيل، قال له: أجعلتنى راعياً له؟ ثم جاء به إلى مكان القربان فاسـتبان له أنه قتله، فلعن قابيل، وأمر بلعنه، وبكى على ولـده أربعين سـنة حتى أوحى الله إليه أنى واهب لك ذكراً يكون خلفاً عن هابيل، فولـدت له حواء غلاماً زكياً مباركاً، وفى اليوم السابع أوحى الله إليه أن سـمه (هبـة الله) فسـماه بذلك [۲۱۱] . ۸– قال عيـد بن جبير: سألت الإمام زين العابـدين (عليه السّـلام) عن القربى فى الآيـة الكريمة: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) [۲۱۲] فقال (عليه السّلام): هى قرابتنا أهل البيت [۲۱۳] . ۹ – روى الإمام محمد الباقر عن أبيه (عليهما السّـلام) فى تفسير الآية الكريمة: (الذى جعل لكم الأرض فراشاً) [۲۱۴] . قـال: لقـد جعـل الله تعـالى الأـرض ملائمـة لطبـاعكم، موافقه لأجسـادكم، ولم يجعلهـا شديـدة الحمأ [۲۱۵] والحرارة فتحرقكم، ولا شديـدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم [۲۱۶] ، ولا شديدة اللين كالمـاء، فتغرقكم، ولاـ شديـدة الصـلابة فتمتنع عليكم فى دوركم وأبنيتكم، وقبور موتـاكم، ولكنه عز وجـل جعـل فيهـا من المتانـة ما تنتفعون به، وتتماسـكون، وتتماسك عليها أبـدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لـدوركم، وقبوركم، وكثير من منافعكم، فلـذلك

جعل الأرض فراشاً لكم، ثم قال عز وجل (والسماء بناءً)، أى سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثم قال عز وجل: (فأخرج من الثمرات رزقاً لكم) يعنى مما يخرجه من الأرض رزقاً لكم (فلا تجعلوا لله أندادا) أى أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التى لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شىء. (وأنتم تعلمون) أنها لا تقدر على شىء من هذه النعم الجليلة التى أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى [۲۱۷] . حفلت هذه القطعة الكريمة من كلام الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بأروع أدلة التوحيد، فأعطت صورة مشرقة كاملة من سر خلق الله للأرض، فقد خلقها سبحانه بكيفية رائعة فليست صلبة ولا شديدة اللين وذلك ليسهل على الإنسان العيش عليها والانتفاع بخيراتها التى لا تحصى... إن الأرض بما فيها من العجائب كالجبال والأودية والبحار والأنهار والمعادن المختلفة الأنواع وغير ذلك، من أعظم الأدلة وأوضحها على وجود الخالق العظيم الحكيم، قال تعالى: (إنا كل شىء خلقناه بقدر) [سورة القمر: الآية۴۹]. كما استدل الإمام (عليه السّلام) على عظمة الخالق سبحانه وتعالى بخلقه السماء وما تحوى من شمس وقمر وسائر الكواكب التى تنير هذه الأرض بأنوارها. وكلنا يعلم ما لأشعة الشمس من أثر بالغ فى تكوين الحياة النباتية. وما لأشعة القمر من أثر على البحار فى مدها وجزرها، وكذلك الحال بالنسبة لسائر الكواكب فإن لأشعتها هى أيضاً الأثر التام فى منح الحياة العامة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية فى الأرض وما نلفت إليه أن هذه الظواهر الكونية لم تكتشف إلا فى هذه العصور الحديثة إلا أن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) ألمح إليها فى كلامه، فكان بلا ريب هو وأبناؤه وآباؤه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم وساهموا مساهمة فعالة فى تكوين الحضارة الإنسانية. ثم أشار الإمام (عليه السّلام) إلى العناية الإلهية فى سقوط المطر وكيف يتساقط بصورة رتيبة وفى أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض، وإخراج الثمرات والطيبات. ولو هطلت هذه الأمطار دفعة واحدة لأهلك الحرث والنسل. قال تعالى: (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) [۲۱۸] . بعدما أقام الإمام (عليه السّلام) الأدلة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم دعا إلى عبادته سبحانه وتعالى ونبذ الأصنام والأوهام التى تشل الفكر وتعيق حركة الوعى وتفقد أى قدرة على تصريف شؤون الحياة وإدارة هذا الكون إدارة حكيمة عادلة. ۱۰ - سأل رجل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) عن الحق المعلوم الذى ورد فى قوله تعالى: (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) [۲۱۹] . فقال (عليه السّلام): (الحق المعلوم الشىء الذى يخرجه من ماله ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين. فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال (عليه السّلام): يصل به رحماً، ويقوى به ضعيفاً ويحمل له كله أو يصل أخاً له فى الله، أو لنائبة تنوبه. وبهر الرجل من علم الإمام وراح يقول له: الله أعلم حيث يجعل رسالته فى من يشاء [۲۲۰] .

فى رحاب الحديث الشريف

لا يخفى ما للحديث الشريف من أهمية كبرى فى العلوم الإسلامية فهو يعرض بصورة موضوعية وشاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة فى القرآن الكريم، كما يعرض لمعظم الفقه الإسلامى فيذكر الواجب والحرام والمستحب والمكروه والممنوع والمباح ويوضح عموميات كتاب الله ومطلقاته فيقيدها ويخصصها. إلى جانب ذلك يتناول الحديث الشريف آداب السلوك وقواعد الأخلاق وكل ما يسعد الإنسان فى حياته الشخصية وعلاقاته الاجتماعية. والإمام زين العابدين (عليه السّلام) كان من أعظم الرواة وأهمهم فى الإسلام، ورواياته لها أهمية خاصة عند علماء الحديث وبصورة خاصة ما يرويه الزهرى عنه. قال أبو بكر بن أبى شيبة: أصح الأسانيد الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب. وقد روى مجموعة كبيرة من الأحاديث عن جديه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وعن أبيه الحسين (عليه السّلام) وغيرهم.. وسوف نورد كوكبة مشرقة من الأحاديث رواها الإمام (عليه السّلام) بسنده عن جده رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم). ۱ - روى الإمام (عليه السّلام) أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: (الإيمان قول وعمل) [۲۲۱] . لا يخفى أن الإيمان بالله تعالى وبرسله ليس ظاهرة لفظية يردده اللسان وإنما هو عمل وجهاد يترجم ما استقر فى دخائل النفس من إيمان عميق. واتحاد القول بالعمل أمر ضرورى فى نجاح الحياة وتطورها. جاء فى

كتاب (لأنك حبيبتى) للدكتور أسعد على قوله: عندما يتحد القول بالعمل ينجبان صبياً يسميانه الصدق. وعندما يتحد القول بالعمل يرزقان بنتاً يسميانها الوفاء، ويلعب الجميع لعبة أظنها الحرية. أمر مهم جداً أن يؤمن الإنسان والأمر الأهم أن يترجم هذا الإيمان إلى عمل. ۲ - روى (عليه السّلام) أن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: (الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان) [۲۲۲] . فالإيمان يترجم بثلاثة أركان: الأول: الإقرار باللسان الذى يترجم ما انطبع فى أعماق النفس. والثانى: أن يعرف القلب [۲۲۳] الشىء الذى آمن به معرفة تفصيلية فإذا لم تكن هناك معرفة، فإن الإيمان به ينتفى موضوعياً. والثالث: أن يصحب ذلك العمل بالأركان فيترجم أعمالاً صالحة. ۳ - وروى الإمام (عليه السّلام) أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: (والذى نفسى بيده ما جمع شىء إلى شىء أفضل من حلم إلى علم) [۲۲۴] العلم مع الحلم من الصفات الأصيلة التى تتغذى بها شخصية الإنسان فتنمو وتتطور وتزدهر. والعلم والحلم صنوان متلازمان لا يفيد الواحد منهما دون الآخر. فالعصر الجاهلى سمى كذلك لأنه يفتقد إلى الحلم، فقد كان النزق والطيش والحمق تسيطر جميعها على عامة الجاهليين، كما كانت الحروب تشتعل لأتفه الأسباب، كل ذلك لعدم وجود الحلم والروية. ولما بزغ نور الإسلام أنقذهم من جهلهم وطيشهم وأوصلهم إلى شاطئ الأمان بالحلم والعلم معاً. ۴ - وروى الإمام (عليه السّلام) عن أبيه عن جده أمير المؤمنين (عليهم السّلام): أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: (لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت..) [۲۲۵] . حفل هذا الحديث الشريف بعدة أمور تحذر الإنسان قبل أن يدركه ملاك الموت ويبدأ بالندم وتصعيد الحسرات. أ - فالإنسان يسأل أمام الله تعالى فى يوم حشره، يوم الحساب عن أيام عمره كيف قضاها، فهل أفناها فى طاعة الله ورضوانه حتى يثاب على ذلك، أم أنه أنفقها فى اقتراف المنكرات وفى معصية الله لينال جزاءه ويكسب رضاه؟ ب - ويسأل أيضاً عن شبابه أفضل أيام حياته وأنشطها، هل انطوت فى المعاصى والأعمال المنكرة ليعاقب عليها، أم فى طاعة الله والأعمال الصالحة ليثاب عليها؟ ج - ويسأل الإنسان يوم الحشر والنشر عن أمواله، هل اكتسبها بالطرق الحلال المشروعة، وهل أنفقها فى ما يرضى الله ليشكر فى الدنيا ويؤجر عليها فى الآخرة؟، أم أنه اكتسبها بطرق حرام غير مشروعة كأكل المال بالباطل والربا وتجارة المخدرات وغيره، وهل أنفقها فى معاصى الله ومحرماته ليعاقب عليها؟ قال تعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) [سورة المدثر: الآية۳۸]. وقال تعالى: (...لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)[سورة البقرة: الآية ۲۸۶]. وفى نهاية الحديث: يسأل الإنسان يوم الحساب عن محبته لأهل البيت أعلام الهدى وسفينة النجاة وأمن العباد وأنوار الحياة. فهم المجاهدون الأبرار الذين جاهدوا من أجل إحقاق الحق ورفع الظلم ونشر الرسالة الإسلامية فى شتى أنحاء الأرض. فمن أبغضهم فقد أبغض الحق ومن أبغض الحق فقد أبغض الله، ومن أحبهم فقد أحب الحق ومن أحب الحق فقد أحب الله. ۵ - وقال (عليه السّلام): كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول فى آخر خطبته: (طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيته، وصلحت سريرته وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، وأنصف الناس من نفسه) [۲۲۶] . دعا الإسلام إلى التخلق بالأخلاق الحسنة والالتزام بالصفات النبيلة والنبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) دعا المسلمين إلى الاتصاف بمحاسن الصفات فأوجز فى هذا الحديث الشريف أموراً عدة: أ - التخلق بالأخلاق الحسنة. ب - طهارة النفس والضمير. ج - التحلى بالفضائل النبيلة والآداب العالية. هـ - حفظ اللسان وعدم الخوض فى توافه الأمور. ح - إنصاف الناس بالحق والعدل ولو على نفسه. ۶- والأحاديث التى تحض على مكارم الأخلاق كثيرة منها قوله (عليه السّلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق) [۲۲۷] . إن التحلى بمكارم الأخلاق من أفضل ما يملكه الإنسان فى حياته، فصاحب الخلق الحسن يمتلك محبة الآخرين وتعلو قيمته بين الناس أجمعين فى هذه الدنيا. وكذلك فى الآخرة فإنه يدخر خير زاد ليوم المعاد. وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فى أهمية الخلق الحسن: أقربكم منى يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون. وقال الشاعر: أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان ۷ - ومن الأحاديث التى تشد المؤمنين إلى بعضهم البعض وتمتن الروابط الاجتماعية بينهم ما رواه (عليه السّلام) عن أبيه عن جده رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه قال: (إن أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخال

السرور على المؤمن) [۲۲۸] . حرص الإسلام كل الحرص على وحدة المسلمين وتماسكهم ليكونوا وحدة متضامنة على الخير والشر، من أجل ذلك جعل من أهم برامجه حثه المؤمنين على إدخال السرور بعضهم على بعض فى أفراحهم وأتراحهم وكل ما يحف بهم من مشاكل فى حياتهم. وهذا مما يوجب شيوع الألفة والمحبة والمودة بينهم، ومما يوحد صفوفهم ويمتن العلاقات الاجتماعية بين أفراد مجتمعهم. وللرسول الأعظم أحاديث عدة فى هذا المجال منها: (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد فإذا تداعى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر). وقال أحد الشعراء يوصى بنيه قبل موته: كونوا جميعاً يا بنى إذ اعترى خطب ولا تفرقوا آحاد تأبى العصى إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أفرادا فالمؤمن عليه أن يساعد أخاه المؤمن فيؤنسه ويساعده ويخفف عنه مصائبه ويشاركه فى كل ما يحتاج إليه، لأن الرابط بينهم هو الإيمان، والأخوة فى الإيمان تستدعى المساعدة والمشاركة وإدخال البهجة والسرور إلى قلوب جميع المؤمنين. فهنيئاً لكل من استطاع مساعدة الآخرين من إخوانه فى الدين فيكسب محبة الدنيا وسعادة الآخرة. ۸- وقال عليه السلام فى تمجيد العقل: روى (عليه السّلام) بسنده عن آبائه أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: (إن الله عز وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون، فى سابق علمه الذى لم يطلع عليه نبى مرسل، ولا ملك مقرب، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينه، والحكمة لسانه، والرأفة همه، والرحمة قلبه، فلنتأمل هذا التسلسل المنطقى العظيم: جعل العلم أول كل شىء لأنه هو أساس فهم كل الأمور (يخشى الله من عباده العلماء) (والعلماء ورثة الأنبياء) ثم ألحق العلم بالفهم، ما فائدة العلم إذا كان يخزن فى الذاكرة بلا فهم ولا وعى ولا إدراك! أبداً، إن فهم العلوم يجعلنا نستفيد منها ونستعملها فيما يسعدنا ويسعد الآخرين. وكم من العلماء العقلاء أنقذوا البشرية وطوروا الحياة الإنسانية إلى الأفضل. والزهد رأسه: وذلك حتى يبتعد الإنسان عن الطمع والجشع والأنانية. والحياء عينه: يكمن الحياء فى العين وهو صفة إنسانية تهب الإنسان قيمة وتقديراً. والحكمة لسانه: اللسان هو ترجمان العقل يعبر عنه بكل حالاته فعليه أن ينطق بالحكمة التى هى ميزان العقل وبرهان العطاء. والرأفة همه: القلب الرؤوف هو القلب الحنون الذى يشعر مع الآخرين ويعطف عليهم فى المواقف الإنسانية الحقة. والرحمة قلبه: والرحمة صفة إلهية كريمة وصف الرحمن نفسه بها: رحمة الله الكبرى التى وسعت كل شىء فالمؤمنون رحماء فيما بينهم يتعاونون ويتآلفون، ويحب الواحد منهم للآخر كما يحب لنفسه. ثم يتابع الحديث (عليه السّلام) فيقول:...ثم حشاه وقواه بعشرة أشياء: باليقين، والإيمان، والصدق، والسكينة، والإخلاص، والرفق، والعطية، والقنوع، والتسليم، والشكر. هذه الصفات العشر تقوى العقل وتزكيه وتكسبه قوة وتألقاً وعطاء خيراً يفيض بهجة وسعادة وهناء. ثم قال له عز وجل: أدبر فأدبر، أقبل فأقبل، ثم قال له: تكلم، فقال: الحمد لله الذى ليس له سند ولا ند، ولا شبيه ولا كفو، ولا عديل، ولا مثيل، الذى كل شىء لعظمته خاضع ذليل، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقاً أحسن منك، ولا أطوع لى منك، ولا أرفع منك، ولا أشرف منك، ولا أعز منك، بك أواخذ، وبك أعطى، وبك أوحد، وبك أعبد، وبك أدعى، بك أرتجى، وبك أبتغى، وبك أخاف، وبك أحذر، وبك الثواب وبك العقاب..) [۲۲۹] . حفل هذا الحديث الشريف بتمجيد العقل، وتعظيمه وماله من أهمية فى حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية والدينية. ولذلك منحه الله أفضل الخصائص وأهمها. فهو أفضل الموجودات التى خلقها الله، وقد منحه الله للإنسان وميزه على بقية المخلوقات والكائنات. ولا يخفى أن وجود العقل، هذه الهبة الإلهية العظيمة، هو شرط من شروط التكليف فى الإسلام، فالفاقد عقله هو كالحيوان الأبكم لا يصح أن يتوجه له التكليف. قال بعض الحكماء: (إذا أخذ ما وهب سقط ما وجب). ۹ - وقال (عليه السّلام)، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه..) [۲۳۰] . من الجهل الأكبر أن يتغاضى الإنسان عن عيوب نفسه ويفتش عن عيوب الآخرين فينتقد ويجرح دون أى وازع أو رقيب. وكان الأولى به أن يراقب نفسه ويصلح أخطاءه ولا يلتفت إلى عورات الآخرين. قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس أعين كما أن من عيوب المرء أن يؤذى جليسه بما لا يعنيه، فيتدخل فى شؤونه ويحرجه فى قضاياه الخاصة. فلو شاء صديقه لأفضى إليه بسره وعرض عليه ما يعانى، أما أن يكثر من أسئلته عليه فهذا ما يؤذى الجليس ويتحول من صديق حميم إلى

عـدو لئيم وهو فى غنى عن ذلك. وقـد أخذ هذا المعنى شـعراء كثيرون وبنوا عليه فى قصائدهم منهم الشاعر الفرنسـى (لافنتين) الذى سمى قصيـدته بعنوان (الخرج) La besace، فيضع عينـة على صـدره يضع فيها أخطاء الآخرين وعينـة على ظهره يضع فيها أخطاءه، فيتعامى عنها ولا يراها بينما يتأمل أخطاء غيره فينقـدها وينشـرها. وكـذلك الشاعر أحمد شوقى أخذ المعنى نفسه ونسـجه فى شوقياته. ۱۰ – وقـال (عليه السّـلام) عن رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم): (فى الجنـة ثلاـث درجـات، وفى الآـخرة ثلاث درجات: فأعلى درجات الجنـة لمن أحبنا بقلبه، ونصـرنا بلسانه ويـده. والدرجة الثانية لمن أحبنا بقلبه، ونصـرنا بلسانه. والدرجة الثالثة: لمن أحبنا بقلبه. وفى أسفل الدرك من النار من أبغضنا بقلبه وأعان بلسانه، وفى الدرك الثالث من أبغضنا بقلبه..) [۲۳۱] . إن محبة أهل البيت (عليهم السّـلام) مـدعاة إلى الفوز بأسـمى الـدرجات فى الفردوس الأعلى، ومحبتهم تعنى محبة الحق فى سبيل الله، ومحبة الخير من أجل خير عبـاد الله، ومحبـة الصـلاح من أجـل كسب رضا الله. كما أن بغضـهم من أساب الهلكـة والتردى فى أسـفل درك النار. فبغضـهم يعنى بغض الحق والبعـد عن خط رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) وخط الدعوة الإسـلامية التى أوكلوا بنشـرها والوقوف فى وجه كل من عرقل مسيرتها. ۱۱ – وقـال (عليه السّـلام) قال رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم): (سـتة لعنهم الله وكل نبى مجاب. الزائـد فى كتاب الله، والمكـذب بقدر الله، والتارك لسـنتى، والمسـتحل من عترتى ما حرم الله، والمتسـلط بالجبروت ليذل من أعزه الله، ويعز من أذله الله، والمسـتأثر بفىء المسـلمين، المسـتحل له...) [۲۳۲] . هؤلاـء الأصـناف الـذين لعنهم الله تعـالى، ولعنهم كـل نبى مجـاب، هم المنحرفون عن الحق، والرافضون لكل ما سـنه الله فى شـريعته العادلـة. من هؤلاء كان حكام الأمويين الذين ناصـبوا العداء لأهل البيت، للعترة الطـاهرة، ونشـروا الفسـاد فى البلاـد والجور والطغيـان فى بقـاع الأـرض. لكنهم لم يسـتطيعوا إطفـاء الشـعلة المنيرة وإزالـة القوة المجاهدة التى تصدت لردع الظلم ورد كيد الظالمين. والشاهد الواضح على ذلك هو سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السّلام) شهيد كربلاـء الـذى ضـحى بنفسه ودمه الطـاهر من أجـل إحقـاق الحق وتقومى الاعوجـاج. وهو القائـل: مـا خرجت لاـ أشـراً ولا بطراً وإنما خرجت من أجـل الإصـلاح فى أمـة جـدى. ۱۲ – وهـذا حـديث شـريف من أغنى الأحـاديث النبويـة الـتى ضـمت كنوز العلم الخيرة والحكمـة الهادية والعرفان الجميل. قال الإمام زين العابدين (عليه السّـلام) حدثنى أبى أن جده رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) قال: (أعبد الناس من أقام الفرائض، وأسـخى الناس من أدى الزكاة، وأزهد الناس من اجتنب المحارم، وأتقى الناس من قال بالحق فى مـا له ومـا عليه، وأعـدل النـاس من رضـى للناس بما يرضـى لنفسه، وأكيس الناس من كان أشـد ذكراً للموت، وأغبط الناس من كان تحت التراب قـد أمن العقاب، ويرجو الثواب، وأعقل الناس من يتعظ بتغير الـدنيا من حال إلى حال، وأعظم الناس فى الـدنيا خطراً من لم يجعل للدنيا خطراً، وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه، وأشجع الناس من غلب هواه، وأكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقل النـاس لـذة الحسود، وأقـل النـاس راحـة البخيـل، وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عليه، وأولى الناس بالحق أعلمهم، وأقل الناس حرمـة الفاسق، وأقل الناس وفاءً الملوك، وأقل الناس صديقاً الملوك، وأفقر الناس الطماع، وأغنى الناس من لم يكن للحرص أسيراً، وأفضل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً، وأكثر الناس عقلاً أتقاهم، وأعظم الناس حذراً من ترك ما لا يعنيه، وأورع الناس من ترك المراء، وإن كـان محقـاً، وأقـل النـاس مروءة من كـان كاذبـاً، وأشـقى الناس الملوك، وأمقت الناس المتكبر، وأشـد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب، وأحلم الناس من فرّ من جهال الناس، وأسـعد الناس من حالف كرام الناس وأعقل الناس أشدهم مداراة للناس، وأولى الناس بالتهمـة من جالس أهل التهمـة، وأعتى الناس من قتل غير قاتله أو ضـرب غير ضاربه، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأحق الناس بالذنب السفيه، المغتاب، وأذل الناس من أهان الناس، وأحزم الناس أكظمهم للغيظ، وأصلح الناس أصلحهم للناس، وخير الناس من انتفع به الناس) [۲۳۳] . كما ترى هذا الحديث الشـريف يلقى أضواء على طبائع الناس واتجاهاتهم وميولهم ومنازعهم، وقد وضـع المناهج الحية للإصلاح الشامل للعديد من القضايا النفسية والتربوية والاجتماعية. فهو منجم ثمين من مناجم المعرفة.

الجامعة هى مكان تجمع الطلاب لتناول العلم بشتى أصنافه وأنواعه. وجامعة أهل البيت كانت تجمع بين الحين والآخر المئات والآلاف من مختلف العلوم وشتى الأقطار لدراسة الفقه والحديث واللغة والتفسير والفلسفة. وقد أسسها الإمام محمد الباقر حتى نمت وتكاملت فى عهد ولده جعفر الصادق حيث باتت تضم آلاف العلماء فى مختلف المواضيع. فتدفق إليها الطلاب من الحجاز والكوفة والبصرة وواسط وتخرج منها كبار العلماء والمحدثين والرواة. وقد أحصيت مؤلفات المتخرجين من تلك الجامعة فبلغت ستة آلاف كتاب منها أربعمائة كانت تعرف بالأصول على لسان محدثى الشيعة، ولعل أكثر محتويات الكتب الأربعة: الكافى ومن لا يحضره الفقيه والوافى والاستبصار مأخوذة منها [۲۳۴] . وما نلفت إليه أن المهمة التى قام بها الإمامان الباقر والصادق فى قيام جامعة أهل البيت هامة جداً وتعنى كل فرد من أئمة الشيعة (عليهم السّلام) لكن الظروف التى تهيأت للإمامين المذكورين لم تتهيأ لغيرهما من الأئمة الآخرين (عليهم السّلام) ذلك أن الفترة الزمنية التى قضاها الإمام الباقر قد رافقتها بوادر نقمة عارمة من مختلف الأقطار على سياسة الأمويين فالجميع أحسوا بسوء صنيعهم وأرادوا التخلص منهم وبصورة خاصة ظلمهم للعلويين الذى كان سلاحاً قوياً بيد خصومهم الطامعين بالحكم. وهذا ما دعاهم ليكونوا أكثر اعتدالاً مما كانوا عليه بالأمس ولما جاء عهد الإمام الصادق كانت الدولة الأموية تلفظ أنفاسها الأخيرة وتعانى أشد المرارة من الهزائم التى تلحق بها من خصومها العباسيين الذين قوضوا أركانها وتسلموا الحكم بمساعدة العلويين والفرس. فى ظل هذه الظروف الخاصة انطلق الإمامان الباقر والصادق (عليهم السّلام) لأداء رسالتهما. وقد تم لهما ذلك بين عهدين: عهد غمرته الكوارث ودوخته الهزائم، وعهد ظهرت فيه تباشير النصر وزهو السيطرة على الحكم. فقامت الحكومة الجديدة على أكتاف العلويين وبمساندة الفرس. هذه الظروف هيأت للإمامين فرصة ذهبية لم تتهيأ لغيرهما من أئمة أهل البيت. لكن يا للأسف! لما استتب الأمر للعباسيين وتسلموا زمام الحكم تستروا بظل أهل البيت وشيعتهم ثم ظهروا على حقيقتهم فغدروا بأنصارهم ومثلوا أبشع الأدوار وأقبح المؤامرات التى فعلها الأمويون حتى قال أحد الشعراء: يا ليت جور بنى مروان دام لنا وليت عدل بنى العباس فى النار إن المشاكل التى كانت تحيط بالأمويين والأخطار المحدقة بهم من كل جانب سمحت لجامعة أهل البيت أن تنمو وتتوسع حتى أصبحت تضم أكثر من أربعة ألاف طالب، لكن ذلك حدث بعد أن مضى على المسلمين أكثر من قرن لا عهد لهم بفقه يختص بأهل البيت حتى أن الرواة كانوا لا يتجرأون أن يجهروا بحديث لهم سوى ما كان يروى عن طريق الكتابة فى الغالب. ذلك أن الأمويين فى عز سلطانهم كانوا ينكلون بهم وبكل من يتهم بالولاء لهم، جادين فى القضاء على كل آثارهم. وما نلفت إليه أنه لو أتيح للأئمة بعد الإمام على (عليه السّلام) أن ينصرفوا إلى الناحية التى اتجه لها الإمامان الباقر والصادق لكان فقه أهل البيت هو الفقه السائد والمعمول به عند عامة المسلمين. ذلك أن فقه الإمام على بن أبى طالب هو الينبوع الأصيل والغزير وقد كان صاحب الرأى الأول والأخير فى الفقه والقضاء بلا منازع ولكن خصومه عملوا بكل ما عندهم من وسائل لطمس آثاره وآثار أبنائه من بعده وكل من ينسب إليهم رأياً أو يروى عنهم حديثاً. لقد شاء الله لجامعة أهل البيت أن تعيش آمنة مطمئنة ولو لفترة يسيرة من الزمن، تلك الفترة التى لا تعد شيئاً ملحوظاً بالنسبة لما تركته من الآثار فى شرق البلاد وغربها، فترة لا تتجاوز ثلث قرن من الزمن تقريباً. كما شاء الله سبحانه وتعالى لمذهب أهل البيت وفقههم، فقه الإمام على بن أبى طالب، الذى أخذه عن الرسول مباشرة بلا واسطة، أن ينسبا إلى حفيدة الإمام جعفر الصادق الذى اشترك مع أبيه فى تأسيس تلك الجامعة المباركة ثم استقل بها بعد وفاته (عليهما السّلام). وهذا لا يعنى أن له رأياً فى أصول المذهب أو فقهه يختلف فيهما عن آبائه وأحفاده، بل إنهم جميعاً (صلوات الله عليهم) يعملون بتعاليم القرآن الكريم، وسيرة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

الولاء لأهل البيت

أكد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) ضرورة الولاء لأهل البيت والمودة لهم، واعتبر ذلك عنصراً مهماً من عناصر الإسلام. قال (عليه السّلام) لأبى حمزة الثمالى: (أى البقاع أفضل)؟ فحار أبو حمزة فى الجواب فقال: (الله ورسوله أعلم). فأجابه (عليه السّلام): (إن أفضل

البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمَّر ما عمَّر نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل فى ذلك الموضع، ثم لقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً) [۲۳۵] . وقد تواترت الأخبار عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأوصيائه (عليهم السّلام) فى أن ولاية الأئمة ضرورة إسلامية يسأل عنها المسلم فى يوم حشره ونشره، ويحاسب عليها كما يحاسب على سائر الواجبات الإسلامية، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنها شرط فى صحة العمل، لا فى قبوله، كشرائط الصحة فى الواجبات. جاء فى أحكام القرآن للجصاص: قال سعيد بن جبير: سألت الإمام زين العابدين (عليه السّلام) عن القربى فى الآية الكريمة: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) [۲۳۶] هى قرابتنا أهل البيت [۲۳۷] فالله سبحانه وتعالى قربهم منه لأنه يعلم أين يضع رسالته، وقد ذكر الإمام (عليه السلام) فى حديث آخر ما يظفر به محبو أهل البيت من الأجر الجزيل فى دار الآخرة ودار الدنيا، فقد وفد عليه جماعة من الشيعة عائدين إياه قالوا له: (كيف أصبحت يا بن رسول الله)؟ فأجابهم الإمام بلطف: (فى عافية، والله المحمود على ذلك. وكيف أصبحتم أنتم جميعاً فانبروا قائلين: (أصبحنا والله لك محبين..). فبشرهم بما يظفرون به من الجزاء الأوفى عند الله قائلاً: (من أحبنا لله أدخله الله ظلاً ظليلاً، يوم لا ظل إلا ظله ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة، ومن أحبنا لغرض دنياه آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب..) [۲۳۸] . قسم الإمام (عليه السّلام) المحبة إلى ثلاثة أقسام عند محبى أهل البيت: أ – من أحب أهل البيت لله.. المحبة الحقيقة النبيلة تكون لله وليس لأمر آخر، وأهل البيت المجاهدون فى سبيل الله، الذين ضحوا بكل ما عندهم من قوة من أجل رفع كلمة الله ومن أجل نشر رسالة الله من واجب المؤمنين أن يحبوهم محبة خالصة ومحبة نبيلة وأصيلة، وهذا واجب لا ريب فيه. هؤلاء يدخلهم الله تبارك وتعالى ظلاً ظليلاً يوم لا ظل إلا ظله. ب – ومن أحبهم مكافأة لهم. كيف نحب أهل البيت مكافأة لهم؟ لقد قدموا لنا وللناس جميعاً خدمات جلى فى جميع مجالات الحياة فبنشرهم الرسالة الإسلامية وجهادهم من أجل إعلاء كلمة الله أخرجوا الناس من الظلمة إلى النور، من ظلامة الجاهلية وظلم الجاهلين إلى نور الهداية والحياة الإنسانية الحرة الكريمة. فعلى المؤمنين أن يقدموا لهم مكافأة عرفاناً بجميلهم وذلك بإحياء ذكرهم. جاء فى الحديث الشريف: أحيوا ذكرنا رحم الله من أحيا ذكرنا. إن إحياء ذكرهم إحياء الحق وتذكير الناس بالجهاد فى سبيل الله، وتلقينهم دروساً فى التضحية والعطاء والعمل الصالح فى حياتهم الدنيا والآخرة. هؤلاء يكافئهم الله بالجنة. ج – ومن أحبهم لغرض دنياه.. حتى الذى يحبهم من أجل مصالحه الشخصية وتحقيق أغراض دنيوية يرزقه الله من حيث لا يحتسب. نخلص من هذا أن محبة أهل البيت واجب شرعى لكل مؤمن ومؤمنة لأنهم نبراس هداية ونور الإسلام والسلام.

سيادة أهل البيت على الناس

سأل أحدهم الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، فقال له: بماذا فضلتم على الناس جميعاً وسدتموهم؟ فأجاب (عليه السّلام): إعلم أن الناس جميعاً لا يخلون من أحد ثلاثة: أما رجل أسلم على أيدينا فهو مولى لنا يرجع إلينا ولاؤه فنحن سادته. وأما رجل قاتلناه، فقتلناه فمضى إلى النار وبقى ماله مغنماً لنا. وأما رجل أخذنا منه جزيته وهو صاغر، ولا رابع فأى فضل لم نجزه وشرف لم نحصله)؟ [۲۳۹] . ما نلاحظه أن الإمام (عليه السّلام) إنما ساق حديثه هذا إلى شخص لا يعترف بفضل أهل البيت (عليهم السّلام)، ولا يقر بسيادتهم المطلقة على هذه الأمة. وحسبهم فخراً أن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وفرض مودتهم على جميع المؤمنين، وقربهم الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بمحكم التنزيل وجعلهم سفينة النجاة وأمن العباد. روى (عليه السّلام) عن آبائه عن جده (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن رسول الله قال لأصحابه: (إن الله قد فرض عليكم طاعتى، ونهاكم عن معصيتى، وفرض عليكم طاعة على بعدى، ونهاكم عن معصيته وهو وصيى، ووارثى، وهو منى، وأنا منى، حبه إيمان، وبغضه كفر..) [۲۴۰] . فالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يفرض طاعة الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) على أصحابه، وإنما الله فرضها على جميع المسلمين. ولا ريب أن السبب فى ذلك عظيم اتصال أمير المؤمنين بالله تعالى ومواهبه المتعددة وعبقريته إذ ليس فى المسلمين من يدانيه فى مآثره وفضائله. قال الجاحظ: (لا يعلم رجل فى الأرض متى ذكر السبق فى الإسلام والتقدم فيه، ومتى ذكرت النجدة والذب عن الإسلام، ومتى ذكر الفقه فى الدين،

ومتى ذكر الزهد فى الدنيا ومتى ذكر الإعطاء فى الماعون، كان مذكوراً فى هذه الخصال كلها، إلا على رضى الله عنه) [۲۴۱].

اثر مجزرة كربلاء على الإمام السجاد

قبل المجزرة

نشأ الإمام زين العابدين فى بيت النبوة، بيت الوحى الذى تحمل المحن المتتالية والآلام القاسية والمصائب المؤلمة وكلها كانت فى سبيل الله. استقبل الإمام (عليه السّلام) فى طفولته المبكرة محنة جده أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو يتخبط بدمه فى مسجد الكوفة بعد أن طعنه بخنجر مسموم ابن ملجم لعنه الله. وبعدها فى سن الشباب عاش محنة عمه الحسن وهو يلفظ كبده من السم الذى دسه إليه معاوية بن أبى سفيان [۲۴۲] وتجرع فى شبابه أيضاً، وهو طريح الفراش من مرض فتك به آنذاك، مصرع أبيه الإمام الحسين (عليه السّلام) سيد الشهداء، ومصرع إخوته وبنى عمومته. كما شاهد بأم عينه سبى عماته وأخواته من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام، ورأى رؤوس الأهل والأصحاب الشهداء على الرماح يتقدمها رأس أبيه المظلوم الذى استشهد من أجل إحقاق الحق.

اثناء المجزرة

كان على بن الحسين أكبر ولد أبيه، معه (عليه السّلام) بطف كربلاء وقد أنهكه المرض، روى عنه أبو مخنف أنه قال [۲۴۳] : (إنى لجالس فى تلك العشية التى قتل أبى فى صبيحتها وعندى عمتى زينب تمرضنى، اعتزل أبى فى خباء له وعنده (جون) مولى أبى ذر الغفارى يعالج له سيفه ويصلحه وسمعته يقول: يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل وكل حى سالك سبيل ما أقرب الوعد من الرحيل لما سمعت هذه الكلمات المؤثرة فى نفسى خنقتنى العبرة، ولزمت السكوت وأيقنت أن البلاء واقع لا محالة. أما عمتى زينب (عليه السّلام) فإنها لما سمعت ما سمعت لم تملك نفسها أن وثبت تجر ذيلها حتى انتهت إليه ونادت بأعلى صوتها: واثكلاه ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم، ماتت أمى فاطمة وأبى على وأخى الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين. فنظر إليها أبى وقال: يا أخية لا يذهبن بحلمك الشيطان وأوصاها بالصبر وحفظ العيال. وفى اللحظات الأخيرة من حياة أبيه دخل عليه وأوصاه قبيل وفاته بوصاياه وسلمه مواريث النبوة وكانت آخر وصية أوصاه بها: (يا بنى أوصيك بما أوصى به جدك رسول الله علياً حين وفاته وبما أوصى به جدك على عمك الحسن وبما أوصانى به عمك، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله، ثم ودعه ومضى إلى المعركة الأخيرة التى قتل فيها. فيا لها من ساعة محزنة مؤلمة، ويا له من وداع تتفطر له القلوب إنه الوداع الأخير للأخوات والأهل وابنه الوحيد الذى لم يبق غيره من نسله. وداع الحياة الفانية ولقاء الحياة الأبدية الباقية فى جنة الخلد مع أمه الزهراء، سيدة نساء العالمين، وأبيه على أمير المؤمنين وأخيه الحسن المسموم المظلوم، وجده رسول الله خاتم الرسل والنبيين (صلّى الله عليه وآله وسلّم). وعلى بن الحسين هو الذى دفن أباه والقتلى من أهله وأنصاره. ولما دخل الكوفة بعد ذلك، بعد أن نفض يديه من تراب الشهداء الأبرار، ومعه عماته وأخواته اجتمع عليهم الناس فهالهم ذلك المشهد وجعلوا يبكون وينوحون ويندبون، ولما أجهشوا بالبكاء أومأ إلى الناس أن يسكتوا ثم وقف وقد أنهكه المرض فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وصللا عليه ثم قال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى، أنا على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبى عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً. ومضى يذكر أهل الكوفة بكتبهم ومواعيدهم وبما ارتكبوه من الفظائع حتى ضج الناس بالبكاء والعويل. ولما أدخل على ابن زياد لعنه الله قال له: من أنت؟ قال: أنا على بن الحسين، فرد عليه بقوله: أليس قد قتل الله على بن الحسين، فأجابه الإمام: كان لى أخ يسمى علياً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال الإمام: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد وقال: أبك جرأة

على رد جوابى، وأمر جلاوزته بقتله، فتعلقت به عمته زينب واعتنقته وقالت: يا بن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت والله لا أفارقه فإن أردت قتله فاقتلنى معه، فرق لها وتركه. ثم كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بإرسال رأس الحسين ورؤوس القتلى مع السبايا إلى الشام، أرسلهم إليه مع مخفر بن ثعلبة العائدى وشمر بن ذى الجوش، وجماعة من جنده، وكان كما يصفه الرواة مقيداً بالحديد، ولما بلغوا بهم الشام خرج أهلها إلى استقبالهم بأبهى مظاهر الزينة والفرح. جاء فى البحار عن سهل بن سعد الساعدى أنه قال: خرجت إلى بيت المقدس، فلما توسطت الشام فإذا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار وقد علق أهلها الستور والحجب وهم فرحون، والنساء تلعب بالدفوف والطبول، فقلت فى نفسى أرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه، فأقبلت على القوم وقلت لهم: يا قوم ألكم بالشام عيد لا نعرفه، فقالوا: يا شيخ نظنك غريباً، فقلت لهم: أنا صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سهل بن سعد الساعدى وقد رأيت رسول الله وسمعت حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبك إن السماء لتمطر دماً والأرض لتنخسف بأهلها، فقلت لهم ولم ذاك: فقالوا: هذا رأس الحسين بن على يهدى من أرض العراق إلى يزيد بن معاوية، فقلت: واعجباه رأس الحسين والناس يفرحون كما أرى، من أى باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات، فبينما نحن فى الحديث وإنا بالرايات يتلو بعضها بعضاً، وفارس بيده رمح منزوع السنان عليه رأس الحسين (عليه السّلام) من أشبه الناس وجهاً برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ووراءه نسوة على جمال بغير وطاء فدنوت من أولاهن وقلت: من أنت؟ قالت: أنا سكينة بنت الحسين. فقلت لها: ألك حاجة إلى؟ أنا سهل بن سعد ممن رأى جدك رسول الله، قالت: يا سهل قل لصاحب هذا الرأس أن يتقدم أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه عن النظر إلى حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ففعل وتم له ذلك. ثم دعا يزيد أشراف الشام ووجوهها وأجلسهم حوله وأمر بإدخال الإمام زين العابدين والرؤوس والسبايا فأدخلوهم عليه مربطين بالحبال، فقال له على بن الحسين: أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رآنا على مثل هذه الحالة، فلم يبق أحد ممن كان حاضراً إلا بكى. التفت يزيد إلى على بن الحسين وقال: أبوك قطع رحمى وجهل حقى ونازعنى سلطانى فصنع الله به ما قد رأيت، فقال على بن الحسين: ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور، فقال يزيد لابنه خالد: فلم يدر خالد ما يقول. فقال له يزيد: قل له ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير. فقال له الإمام زين العابدين: يا بن معاوية وهند وصخر لم تزل النبوة والأمرة لآبائى وأجدادى من قبل أن تولد، ولقد كان جدى على بن أبى طالب فى بدر وأحد والأحزاب فى يده راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأبوك وجدك فى أيديهم راية الكفار، ويلك يا يزيد لو تدرى ما صنعت وما الذى ارتكبت من أبى وأهل بيته لهربت فى الجبال وافترشت الرماد ودعوت بالويل والثبور أبشر بالخزى والندامة إذا اجتمع الناس ليوم الحساب. وروى الرواة أن يزيد بن معاوية أمر أحد أنصاره من المرتزقة عنده أن يصعد المنبر وينال من على والحسين والحسن ويثنى على معاوية فصعد الخطيب المنبر وأفاض فى ذلك على معاوية ونال من على والحسن والحسين (عليه السّلام)، فقال له الإمام السجاد: ويلك أيها المتكلم أتشترى مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار، ثم التفت إلى يزيد وقال: أتسمح لى أن أصعد هذه وأتكلم بكلمات فيها لله رضا ولهؤلاء الجلوس أجر وثواب، فلم يأذن له يزيد بذلك. فقال له من فى المجلس: إئذن له يا أمير لنسمع ما يقول، فرد عليهم يزيد بقوله: إذا صعد المنبر لا ينزل إلا بفضيحتى وفضيحة آل أبى سفيان، فقيل له: وما قدر ما يحسن هذا الغلام، فقال كما يزعم الرواة: إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً. فلم يزالوا حتى أذن له فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس لقد أعطينا ستاً وفضلنا بسبع. أعطينا: العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة وفضلنا بأن النبى المختار (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منا، والصديق منا، والطيار منا، وأسد الله وأسد رسوله منا والسيدة الزهراء منا وسبطا هذه الأمة منا ثم تابع قائلاً: (أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى أنبأته بحسبى ونسبى. أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردى، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى أنا ابن من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج البيت الحرام ولبى، أنا ابن من حمل على البراق فى الهوا، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من سعى به جبريل إلى سدرة

المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السما، أنا ابن من أوحى الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى وعلى المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدى رسول الله بسيفين وبايع البيعتين وطعن برحمين وهاجر الهجرتين وقاتل ببدر وحنين ولم يكفر بالله طرفة عين... ولم يزل يقول ويعدد أنا أنا... مآثر جديه رسوله الله وأمير المؤمنين وأبيه أبى عبد الله الحسين ويذكر ما جرى فى طف كربلاء حتى ضج الناس جميعاً بالبكاء والنحيب حتى خشى يزيد أن ينتفض أهل الشام عليه فأمر المؤذن بالأذان ليقطع حديث الإمام السجاد. فلما قال المؤذن: الله أكبر قال على (عليه السّلام): لا شىء أكبر من الله، ولما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال الإمام (عليه السّلام): شهد بها لحمى ودمى وبشرى وشعرى، ولما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، التفت على بن الحسين إلى يزيد بن معاوية وقال: محمد هذا جدى أم جدك، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدى فلم قتلت عترته؟! وأضاف الراوى أنه كان فى مجلس يزيد حبر من أحبار اليهود فقال ليزيد: من هذا الغلام؟ فقال: هو على بن الحسين، وسأله اليهودى عن جده وأبيه وأمه فأخبره بنسبه حتى انتهى إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال اليهودى: يا سبحان الله لقد قتلتم ابن بنت نبيكم بهذه السرعة بئس ما خلفتموه فى ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننا أنا كنا نعبده من دون الله، وأنتم قد فارقتم نبيكم بالأمس ووثبتم على ابنه فقتلتموه فسوءة لكم من أمة.

بعد المجزرة

يروى الرواة أن يزيد بن معاوية خيَّر الإمام زين العابدين بين البقاء فى الشام أو الرجوع إلى المدينة فاختار الرجوع إليها لأن له فيها ذكريات لا يمكن أن يمحى من ذاكرته ومن ذاكرة التاريخ عرج الموكب على كربلاء وكان فيها جابر بن عبد الله الأنصارى وجماعة من بنى هاشم قد شدوا الرحال لزيارة قبر الإمام الحسين فتلاقى الجميع بالبكاء والعويل وأقاموا المأتم واجتمع إليهم من كان فى جوار كربلاء من القبائل النازلة على الفرات، وبعد أيام مضى الموكب فى طريقه إلى المدينة.

الإمام زين العابدين فى المدينة

كانت المدينة تترقب أنباء سبط رسول الله بفارغ الصبر عندما خرج إلى الكوفة ملبياً نداء شيعته هناك. ولكن الذى راعها وأخذ منها صوت مناد ينادى: إن على بن الحسين قد قدم إليكم مع عماته وأخوته، إذاً يا ترى أين الإمام الحسين؟ وأين النجوم الزاهرة والصحبة الطاهرة من بنى الزهراء وآل عبد المطلب. انتشر الخبر (النعى) فى كل الأرجاء حتى بلغ سفح أحد، ثم ارتد إلى البقيع فقباء، وما لبث أن تلاشى مع صراخ النائحين وعويل النائحات، لم تبق مخدرة فى المدينة إلا خرجت من خدرها نائحة معولة. وأهل الركب الحزين يشاهدون الجموع التى خرجت لاستقباله. حزنت مدينة الرسول حزناً عميقاً على العترة الطاهرة وأقامت أياماً بلياليها تشهد المأتم الرهيب لا يعكر صفوها سوى اليتامى والأرامل والثكالى يسعين كل يوم إلى القبور فيبكى لهن الأصدقاء والأعداء. زوجة الإمام على (عليه السّلام) كانت تخرج إلى البقيع لتبكى أبناءها الأربعة: عبد الله وعثمان وجعفراً والعباس. وتندبهم بندبة حزينة تحرق قلب كل من سمعها، حتى قلب مروان بن الحكم، عدو الطالبيين. والرباب عادت بعد مصرع ابنها إلى المدينة وبقيت تنوح وتبكى سنة حتى ضعفت وماتت. وأما السيدة زينب بطلة كربلاء فدموعها غزيرة جداً لأن اللهيب فى قلبها أطفأ تلك الدموع فهبت تطلب ثأراً، لأن هذا الدم المسفوح لا ينبغى أن يضيع هدراً كان وجودها فى المدينة كافياً لأن يلهب القلوب المؤمنة بالحق على الشهداء، ويؤلب الناس على حكم الطغاة وجورهم، وهذا ما ضايق الحكام الأمويين، فكتبوا إلى واليهم فى المدينة. (إن وجودها بين أهل المدينة مهيج للخواطر وإنها فصيحة عاقلة لبيبة، وقد عزمت هى ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين) عندها أمره الطاغية يزيد أن يفرق البقية الباقية من آل البيت فى الأقطار والأمصار [۲۴۴] ولما علمت (عليها السّلام) بالخبر قالت غاضبة: (وقد علم والله ما صار إلينا قتل خيرنا وسيق

الباقون كما تساق الأنعام وحملنا على الأقتاب فوالله لا خرجنا وإن أريقت دماؤنا). لم تعش السيدة زينب (عليه السّلام) بعد مقتل أخيها الحسين الشهيد وإمام الشاهدين سوى عام ونصف العام، لكنها استطاعت فى هذه الفترة القصيرة أن تقلق مضاجع الأمويين وتغيّر مجرى التاريخ. لقد ظن حكام بنى أمية أن مقتل الحسين يسدل الستار على الفصل الأخير على المسرحية الكربلائية وما نحسبه يسدل حتى تتبدل الأرض ومن عليها! الإمام الحسين (عليه السّلام) باق فى المهج والأرواح، ومأساة الحسين مأساة إنسانية خالصة تأخذ بلب كل إنسان وتستثير مشاعر جميع الشرفاء. الحسين شهيد وإمام الشاهدين، والشاهدية حضور تام فى الذات والمجتمع والكون، تولد منها الشهادة عملاً لذلك الحضور. إن الغمامة المحملة بإيحاءات البحر، ونسمات الفلك فتحت فمها لتقول كلمة الحق، كلمة العودة إلى المنبع، مثلما تئن الأوتار والنايات وتصفر العلائم الموسيقية منسلة من الجسد لتعود إلى قلب الأرض وهى تحدو حول الشمس حداء الصيرورة، وهو فى الوقت ذاته نشيد الحب الأكبر والجمال الأعظم والجلال المطلق. كلمة الحسين الشاهدة الملتزمة تقول الموت البطولى كما لم تقله شهادة فى تاريخ الأرض، لأنها عبارة جده الرسول الأعظم التى كتبها من فوح القرآن وسوف تبقى ما بقى أنبل إنسان، ولا يستطيع أن يخفيها أو يغيّر مجراها بنو مروان أو بنو سفيان مهما تصنعوا فى الظلم والبهتان.

خطبته فى المدينة

والناس يزدحمون حول فسطاطه وكان معه بشر بن حذلم، خرج الإمام ليقابل الجموع الغفيرة المحتشدة لتقدم التعازى، ومعه خرقة يمسح بها دموعه. أخرج الخادم له كرسياً فجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، ارتفعت أصوات الناس بالبكاء من حوله فأومأ بيده إليهم أن اسكتوا وقال: (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، بارئ الخلق أجمعين الذى بعد فارتفع فى السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الغاظعة الكاظة الفادحة الجائحة. ثم تابع قائلاً: إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة فى الإسلام عظيمة قتل أبو عبد الله وعترته وسبى نساؤه وصبيته وداروا برأسه فى البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التى لا مثلها رزية. أيها الناس فأى الرجالات منكم يسرون بعد قتله أم أى فؤاد لا يحزن من أجله، أم أى عين منكم تحبس دمعها وتضن عن أنهما لها وأى قلب لا يتصدع لقتله، وأى فؤاد لا يحن إليه، وأى سمع يسمع هذه الثلمة التى ثلمت فى الإسلام ولا يصم. أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأبصار من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة فى الإسلام ثلمناها ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين إن هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تقدم إليهم فى قتالنا كما تقدم إليهم فى الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفظعها وأمرها وأفدحها فعند الله نحتسب ما أصابنا وما بلغ منا إنه عزيز ذو انتقام. عندما سمع الجماهير خطابه هذا أثر فى نفوسهم إلى حد بعيد فارتج المكان بالبكاء والعويل وشعر المسلمون بتلك الصدمة العنيفة التى أصابت الإسلام فى الصميم. مما أثار فى ضمائرهم الهامدة روح النضال والدفاع عن الحق المهدور، ودب فى نفوسهم الشعور بالإثم والتقصير، فلم السكوت عن كرامتهم التى أصبحت تداس تحت أقدام يزيد الفاجر والمجرم بعد أن أقدم على قتل سبط الرسول وريحانته وسبى نسائه. من هنا كانت ثورة التوابين والمختار بن أبى عبيدة الثقفى فقد استماتوا لأخذ ثأر الدم المهدور وذلك للتكفير عن تخاذلهم عن نصرة الإمام الحسين والخضوع للظالمين. ثم استمرت الثورات تقودها روح كربلائية حطمت عروش الأمويين الطغاة وقامت بعدها دولة العباسيين. دخل الإمام زين العابدين المدينة وهو يكفكف دموعه، فرآها موحشة يخيم على أهلها الحزن والأسى، وديار أهله خالية تنعى سكانها فانصرف عن شؤون الناس ولم يكن يعنيه شىء من الدنيا ومن فيها. فشرع يبكى على أبيه المظلوم وعلى أخوته وعمومته الشهداء حتى عده المحدثون البكائين. فماذا يعمل؟ أيأخذ بالثأر، أم يصبر وفى العين قذى؟ إن الظروف لا تسمح له بأخذ الثأر وقد شاهد تلك المصيبة الفادحة والمؤلمة فى كربلاء، وأدرك أن وقعة الطف الدامية قد كفته أعباء الحرب بإظهارها ضلال الأمويين وظلمهم وطغيانهم. وهنا بعد أن تحمل أعباء الخلافة الإلهية من أبيه وأصبح حجة على خلقه،

آثر الاعتزال والبعد عن الضجيج ليحفظ دمه الذكى ودم شيعته الأبرار. روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السّلام) قال: (البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعلى بن الحسين (عليهم السّلام). فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار فى خديه أمثال الأوديـة. وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له: (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين). وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: إما أن تبكى الليل وتسكت بالنهار، وإما أن تبكى النهار وتسكت بالليل فصالحهم على واحدة منهما. وأما فاطمة فبكت على رسول الله حتى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكى حتى تنقضى حاجتها. وأما على بن الحسين فبكى على أبيه عشرين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولاه: أما آن لحزنك أن ينقضى فقال له: ويحك إن يعقوب النبى كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله عنه واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه وشاب رأسه واحدودب ظهره من الحزن وابنه حى فى دار الدنيا وأنا نظرت إلى أبى وأخى وعمى وسبعة عشر رجلاً من أهل بيتى مضرجين بدمائهم حولى فكيف ينقضى حزنى. وكان (عليه السّلام) لا يترك مناسبة إلا ويذكر فيها ما جرى لأبيه واسرته فى كربلاء، وأحياناً كان يبحث عن المناسبة ليحدث بما جرى لأهل بيته، فيذهب إلى سوق الجزارين فى المدينة ويقف معهم يسألهم عما إذا كانوا يسقون الشاة ماءً قبل ذبحها، وعندما يسمعهم يقولون: إنا لا نذبح حيواناً قبل أن نسقيه ولو قليلاً من الماء. فيبكى ويقول: لقد ذبح أبو عبد الله غريباً عطشاناً فيبكون لبكائه حتى ترتفع الأصوات بالنحيب. كان إذا رأى غريباً فى الطريق دعاه إلى ضيافته وطعامه، ثم يبكى ويقول: لقد قتل أبو عبد الله غريباً جائعاً عطشاناً فى طف كربلاء. إلى غير ذلك من المواقف التى كان يقفها بعد مقتل أبيه فى السنين الأولى وذلك ليشحن النفوس بالحقد على الظالمين ويهيئها للثورة عندما يحين الوقت المناسب. كما ساهمت عمته زينب (عليها السّلام) فى هذا النوع من التحرك السياسى. هذا اللون من الحزن المتواصل يثير عواطف الجماهير ويغضبها ويدب فيها النقمة على يزيد الطاغية وجلاوزته المجرمين. إثر ذلك خيّم على المدينة جو من القلق ينذر بتفجير الموقف بين حين وآخر لقد استطاع الإمام زين العابدين وعمته العقيلة زينب (عليهما السّلام) تعبئة النفوس للثورة بترديدهما لتلك المأساة والنوح المتواصل الذى ألهب النفوس بانتظار الوقت المناسب للأخذ بالثأر.

مواقف الإمام من الصحابة والعلماء

اشاره

كان موقف الإمام (عليه السّلام) من أصحابه وعلماء أهل زمانه النصح والإرشاد. ومراقبة أعمالهم وتقديم المشورة لهم تجاه أنفسهم وتجاه الأمة، ليصحح الانحراف الذى يحصل عندهم ثم يدلهم على الموقف الإسلامى الصحيح للحوادث والسلوكيات وتوضيح مفاهيم الشريعة الإسلامية وأصولها حينما تلتبس عليهم الأمور، فيجلى الأمر أمامهم ويوضح لهم حكم الله فى المسائل واضحاً جلياً لا لبس فيه، ثم يحذرهم من التقرب من الملوك ومداهنتهم أو تأييد الأشخاص غير المخلصين للإسلام والذين يقومون بثورات لأجل المنصب وكرسى الحكم لا لأجل رفع كلمة الله الواحد القهار وسوف نعطى مثلين على سبيل الذكر لا الحصر.

موقف الإمام مع الحسن البصرى

عمد الإمام إلى تصحيح سلوك العلماء وتقويم أخلاقهم وتوجيه النقد لهم بكل أدب واحترام، فيحاور العالم حتى يعترف بخطئه ويقدم للإمام كل تقدير وتبجيل معترفاً له بالآية الكريمة: (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) [سورة آل عمران: الآية۲۴]. (رأى على بن الحسين (عليه السّلام) البصرى عند الحجر الأسود يقص فقال: يا هذا أترضى نفسك للموت؟ قال: لا. قال: فعملك للحساب؟

قال: لا، قال فثمَّ دار للعمل؟ قال: لا، قال: فللَّه فى الأرض معاذ غير هذا البيت؟ قال:لا، قال: فلم تشغل الناس عن الطواف!؟ ثم مضى. قال الحسن: ما دخل مسامعى مثل هذه الكلمات من أحد قط أتعرفون هذا الرجل؟ قالوا: هذا زين العابدين. فقال الحسن: (ذرية بعضها من بعض) [۲۴۵] .

موقف الإمام مع الزهرى

كان للإمام (عليه السّلام) مواقف رائعة تجاه الزهرى حيث وضح له معالم الدين وحكمة التشريع. (كان الزهرى عاملاً لبنى أمية فعاقب رجلاً فمات إثر العقوبة فخرج الزهرى هائماً متوحشاً ودخل إلى غار، فطال مقامه تسع سنين، قال: وحج على بن الحسين (عليه السّلام) فأتاه الزهرى فقال له الإمام: إنى أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بديّة مسلمة إلى أهله واخرج إلى أهلك ومعالم دينك، فقال له: فرَّجت عنى يا سيدى! الله أعلم حيث يجعل رسالته ورجع إلى بيته) [۲۴۶] . وفى رواية أخرى رواها سفيان بن عيينة عن الزهرى، يبيّن فيها الإمام للزهرى أحكام الله ويفصلها له بصورة واضحة كاملة. من ذلك القول فى الصوم أقسامه والواجب منه وغير الواجب وكل ما يتعلق بأحواله. وقد ورد تفصيل ذلك باب سابق.

موقف الإمام من الأمة

اشاره

اهتم الإمام (عليه السّلام) اهتماماً واسعاً كبيراً بشؤون أمته فاتبع أساليب متنوعة وذلك حسب الظروف والأحوال وحسب الجماعات والأشخاص نذكر من هذه الأساليب:

تفقد شؤون الأمة

اهتم الإمام بكل ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية فى حياتها المعنوية كما فى حياتها المادية. فكان (عليه السّلام) يتفقد شؤون الفقراء والمساكين لأنه كان يحبهم ويشفق عليهم فيجالسهم ويستمع إلى مشاكلهم... وكان يخرج ليلاً يحمل على ظهره الغذاء والطعام والطحين وكل ما تحتاج إليه العائلة، وقد غطى وجهه لئلا يعرفه أحد، فيطرق باب المساكين باباً باباً ويعطيهم رزق الله... وقد ترك هذا العمل آثاراً على ظهره، اكتشف بعد وفاته حين غسلوه وكفنوه (عليه السّلام). فكان الإمام بهذا العمل يعيش الهاجس الروحى مع الأمة ويستشعر المسؤولية الكبرى تجاهها إذعاناً منه لحديث جده رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (من أصبح ولم يهتم بشؤون المسلمين فليس بمسلم)... وعن عمر بن ثابت قال: لما مات على بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سود فى ظهره فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يجمل جُرُبَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة) [۲۴۷] . وعن شبيبة بن نعامة قال: كان على بن الحسين (عليه السّلام) يُقوِّت مائة أهل بيت بالمدينة، وكانوا يعيشون ولا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون بالليل...

مواجهة المشبهة والملحدين

وكما تصدى الإمام (عليه السّلام) للانحراف الأخلاق لدى الأمة الإسلامية تصدى أيضاً للانحراف العقائدى والفكرى الذى طرأ على فكر بعض قطاعات الأمة من فئات خبيثة منحرفة عن الخط الإسلامى السليم. كان (عليه السّلام) يقاوم هذا الانحراف بكل ما يملك من جهود حتى وصل به الحد إلى الارتياع من هذه الانحرافات فى الفكر والعقيدة. فنراه (عليه السّلام) فى مسجد رسول الله (صلّى الله

عليه وآله وسلّم) ذات يوم إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه ففزع لذلك وارتاع، ونهض حتى أتى قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فوقف عنده ورفع صوته يناجي ربه ومما قاله في مناجاته: (إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئة جلالك فجهلوك وقدَّروك بالتقدير على غير ما أتت به شبِّهوك، وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك إلهي ولم يدركوك فظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك وفي خلقك يا إلهي مندوحة عن أن يناولوك بل سوَّوك بخلقك فمن ثمَّ لم يعرفوك. واتخذوا بعض آياتك رباً فبذلك وصفوك فتعاليت ياآلهي عمّا به المشبهون نعتوك) [۲۴۸] . لقد حارب الإمام زين العابدين المشبهة والملحدين بالدعاء، هذا الأسلوب الذي هو الصفة المميزة له في تلك الظروف هو أسلوب غير مباشر [۲۴۹] ، وهو المفضل والمؤثر أكثر في التبليغ وقد استعمله النبي إبراهيم الخليل (عليه السّلام) في تذكير قومه بانحرافهم عن عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فعبدوا الشمس والقمر والنجوم التي سرعان ما تزول وتأفل: (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال: هذا ربي، فلما أفل قال: لا أحب الافلين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) [سورة الأنعام: الآية ۷۶-۸۰].

التربية والتثقيف

اتخذ الإمام السجاد جانب الموعظة والإرشاد ركناً أساسياً في مسيرته الحياتية في تبليغ الأمة الإسلامية، فنراه تارة يلقي الخطب والمواعظ بصورة عامة، وتارة أخرى نجده يخصص جلسات خاصة ومواعيد ثابتة لأصحابه يوجههم ويؤهلهم ويربيهم لتحمل الأمانة، والتكليف الشرعي، والتزام المسؤولية الاجتماعية، فكان له موعد مع أصحابه في كل يوم جمعة يوعظهم ويذكرهم ويبلغهم ما هم عليه قادمون، وما هم عنه مسؤولون. وقد استخدم الإمام (عليه السّلام) أسلوب الدعاء استخداماً ناجحاً في تربية الأمة وتوجيهها الوجهات الصحيحة في الأخلاق والاجتماع والسياسة والدين، وسوف نعرض في فصل لاحق أثر الدعاء في تربية الأمة وتثقيفها.

تحديد العلاقة مع أهل البيت

اختلف الناس في حبهم وفي بغضهم لأهل البيت (عليهم السّلام) فبعضهم أبغضهم حتى عدهم من الخوارج، والبعض الآخر أحبهم حتى ألههم، وقد تعرض أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) لمثل هذه الحالات، فكان يخطب بين الجموع التي تجتمع تحت منبره وتسمع ما يقول: أشهد أنك أنت الله، وفي الطرف الآخر من يقول: لله درّك كاذباً) [۲۵۰] . ويروى أنه مر بجماعة كانوا يأكلون في شهر رمضان، فسألهم أعن سفر أم مرض؟ وحذرهم من النار. فأجابوه: أندخل النار وأنت وأنت، فنزل عن دابته وسجد وقال: أنا عبد من عبيد الله... وقد شاهد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فئة من شيعته قد أوغلوا في حبهم حتى أخرجهم عن الصراط السوي وعن خط الإسلام السليم. فتحول الحب لأهل البيت (عليهم السّلام) إلى غلو ثم تأليه وبالتالي إضفاء صفات عليهم ما أنزل الله بها من سلطان. فما كان من الإمام إلا أن يقاومهم بحزم ويجابههم بكل ما يملك من أساليب، فأفهمهم وأرشدهم بأن عملهم هذا هو انحراف عن الإسلام وبعيد كل البعد عن خط أهل البيت (عليهم السّلام)، خط الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حب فيه عيب عليهم ومنقصة لهم. روى ابن شهاب الزهري قال: حدثنا علي بن الحسين (عليه السّلام) وكان أفضل هاشمي أدركناه، قال: (أحبونا حب الإسلام، فما زال حبكم لنا حتى صار شيناً علينا) [۲۵۱] أي أحبونا حباً يكون موافقاً لقانون الإسلام ولا يخرجكم عنه، ولا زال حبكم لنا حتى أفرطتم وقلتم فينا ما لا نرضى به، فصرتم شيناً وعيباً علينا، حيث يعيبوننا الناس بما تنسبون إلينا. وفي رواية أخرى (عن علي بن الحسين (عليه السّلام) قال: يا معشر أهل العراق، يا معشر أهل الكوفة، أحبونا حب الإسلام ولا ترفعونا فوق حقنا) [۲۵۲] فكلام الإمام واضح تمام الوضوح في الطلب من الشيعة أن يحبوا أهل البيت (عليهم السّلام) حب الإسلام بحيث لا يخرجهم هذا الحب عن إطار الإسلام، وعن صورة الإيمان، وحدود الشريعة الإسلامية ومن يخرج عن هذه الحدود فقد خرج بطبيعة الحال عن

الإسلام.

شعره

عرف بعض الحكماء الشعر فقالوا: الشعر إبراز العواطف النبيلة بطريق الخيال. وقال آخرون: الشعر هو الحق ينقله الشعور حياً إلى القلب فالتعريف الأول يصح أن يكون للفن الأدبى بضربيه الشعر والنثر. والتعريف الثانى يخاطب العقل والشعور معاً. فالوزن والقافية والاتصال بالشعور من الشروط اللازمة فى قول الشعر. والإمام السجاد قال الشعر صادراً عن عقله وشعوره معاً ونابعاً من تجاربه ومعاناته فى الحياة. وكل شعره جاء فى المناجاة والأخلاق والدعوة إلى الخير والفخر، والنهى عن الشر والأمر بمكارم الأخلاق. ولا غرو فالإمام زين العابدين (عليه السّلام) من الذين كرسوا حياتهم من أجل الحق والفضيلة وتقويم الانحراف والجهاد من أجل إعلاء كلمة الإسلام. وهذه مقتطفات من شعره: قال فى إحدى مناجاته التى ترتعد منها الفرائض: (يا نفس حتى مَ إلى الدنيا سكونك، وإلى عمارتها ركونك أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن رواته الأرض من ألَّافك؟ ومن فجعت به من إخوانك؟ خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم وساقتهم نحو المنايا المقابر فهم فى بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دوائر وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمتهم تحت التراب الحفائر فكم خرمت أيدى المنون من قرون، وكم غيرت الأرض ببلا ئها وغيبت فى ترابها ممن عاشرت من البشر وشيعتهم إلى القبور ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الإفلاس. ثم يتابع فى نصحه لأهل الدنيا: وأنت على الدنيا مكب منافس لخطابها فيها حريص مكاثر على خطر تمسى وتصبح لاهياً أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر وإن امرءاً يسعى لدنياه جاهداً ويذهل عن أخراه لا شك خاسر فحتى مَ على الدنيا إقبالك؟ وبمغرياتها اشتغالك؟ وقد أسرع إلى قذالك الشيب البشير، وأنذرك النذير، وأنت ساه عما يراد بك ولاه عن غدك وقد رأيت بأم عينك انقلاب أهل الشهوات، وعاينت ما حل بهم من المصائب والنكبات. وفى ذكر هول الموت والقبر والبلى عن اللهو واللذات للمرء زاجر أبعد اقتراب الأربعين تربص وشيب قذال منذ ذلك ذاعر كأنك معنى بما هو صائر لنفسك عمداً أو عن الرشد حائر فحول نظرك إلى الأمم الماضية والقرون الخالية كيف اختطفتهم عوادى الأيام فأفناهم الحمام، فأمحت من الدنيا آثارهم وأصبحوا رمماً تحت التراب إلى يوم الحشر والحساب. وأضحوا رميماً فى التراب وأقفرت مجالس منهم عطلت ومقاصر وحلوا بدار لا تزاور بينهم وأنى لسكان القبور التزاور فما أن ترى إلا قبوراً ثووا بها مسطحة تسفى عليها الأعاصر ثم يحذر (عليه السّلام) المتكبرين ويعظ الملوك الجبارين الذين نزل بهم ما لا يصد فتعالى الله العزيز القهار، مبيد المتكبرين وقاصم الجبارين الذى ذل لعزه كل سلطان، وباد بقوته كل ديان: مليك عزيز لا يرد قضاؤه حكيم عليم نافذ الأمر قاهر عنا كل ذى عز لعزة وجهه فكم من عزيز للمهين صاغر لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت لعزة ذى العرش الملوك الجبابر ويتابع (عليه السّلام) تحذيره للناس عامة من الدنيا ومكائدها، وما نصبت للناس من مصائبها، وتحلت لهم من زينتها وأظهرت لهم من بهجتها ومن شهواتها وأخفت عنهم من مكائدها وقواتلها: وفى دون ما عينت من فجعاتها إلى دفعها داع وبالزهد آمر فجد ولا تغفل وكن متيقظاً فعما قليل يترك الدار عامر فشمّر ولا تفتر فعمرك زائل وأنت إلى دار الإقامة صائر ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها وإن نلت منها غبه لك ضائر وما دام اللبيب على ثقة من زوال الدنيا وفنائها، فلماذا يحرص عليها ويطمع فى بقائها، وكيف تنام عينه وتسكن نفسه وهو يتوقع الممات فى جميع أموره!! إلا له، ولكنا نغر نفوسنا وتشغلنا اللذات عما نحاذر وكيف يلذ العيش من هو موقن بموقف عدل يوم تبلى السرائر كأنا نرى أن لا نشور، وإنما سدى ما لنا بعد الممات مصادر وبعد الوقوع فى الخطايا وانغماسه فى الرزايا يبكى على ما سلف ويتحسر على ما فاته من دنياه، فيشرع بالاستغفار حين لا ينجيه لا استغفار ولا اعتذار من هول المنية ونزول البلية: أحاطت به أحزانه وهمومه وأبلس لما أعجزته المقادر فليس له من كربة الموت فارج وليس له مما يحاذر ناصر وقد جشأت خوف المنية نفسه ترددها منه اللها والحناجر فتذكر أيها الإنسان الحالة التى أنت صائر إليها لا محالة، فإنك منقول إلى دار البلى ومدفوع إلى هول ما ترى: ثوى مفرداً فى لحده وتوزعت مواريثه أولاده والأصاهر واحنوا على أمواله يقسمونها فلا حامد منهم عليها وشاكر فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن

تدور الدوائر ولم تتزود للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيك مسافر فيا لهف نفسى كم أسوف توبتى وعمرى فان والردى لى ناظر وكل الذى أسلفت فى الصحف مثبت يجازى عليه عادل الحكم قادر تخرب ما يبقى وتعمر فانياً فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر وهل لك إن وافاك حتفك بغتة ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر أترضى بأن تفنى الحياة وتنقضى ودينك منقوص ومالك وافر روى الزهرى قال: كان على بن الحسين (عليه السّلام) يناجى ربه تعالى ويقول: (قل لمن قل عزاؤه، وطال بكاؤه، ودام عناؤه، وبان صبره، وتقسم فكره، والتبس عليه أمره، من فقد الأولاد، ومفارقة الآباء والأجداد، ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد؟ تعز فكل للمنية ذائق وكل ابن أنثى للحياة مفارق فعمر الفتى للحادثات دريئة تناهبه ساعاتها والدقائق كذا نتفانا واحد بعد واحد وتطرقنا بالحادثات الطوارق وفيم وحتى الشكاية والردى جموح لآجال البرية لاحق فكل ابن أنثى هالك وابن هالك لمن ضمنته غربها والمشارق فلا بد من إدراك ما هو كائن ولا بد من اتيان ما هو سابق فما للإنسان والخلود إلى دار الأحزان والهوان، وقد نطق القرآن بالبيان الواضح فى سورة الرحمن، (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام). فالشباب للهرم، والصحة إلى السقم، والوجود إلى العدم، فلماذا التلهف والندم وقد خلت من قبلنا الأمم: أترجو نجاة من حياة سقيمة وسهم المنايا للخليقة راشق سرورك موصول بفقدان لذة ومن دون ما تهواه تأتى العوائق وحبك للدنيا غرور وباطل وفى ضمنها للراغبين البوائق فأين السلف الماضون وأين الأهلون والأقربون، وأين الأنبياء المرسلون فقد طحنتهم المنون، وفقدتهم العيون وإنا إليهم صائرون. فإنا لله وإنا إليه راجعون. إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فإنا على آثارهم نتلاحق فكن عالماً أن سوف تدرك من مضى ولو عصمتك الراسيات الشواهق فما هذه دار المقامة فاعلمن ولو عمر الإنسان ما ذر شارق فتأمل وتبصر واسأل أين من بنى القصور وهزم الجيوش وجمع الأموال، أين ملوك الفراعنة والأكاسرة والغساسنة؟ كأن لم يكونوا أهل عز ومنعة ولا رفعت أعلامهم والمناجق ولا سكنوا تلك القصور التى بنوا ولا أخذت منهم بعهد مواثق وروى طاووس الفقيه قال: رأيت زين العابدين (عليه السّلام) يطوف بالبيت من العشاء إلى السحر ويتعبد ثم قال: (...إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلى كلما طال عمرى كثرت خطاياى ولم أتب أما آن لى أن أستحى من ربى؟ ثم أنشأ يقول: أتحرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائى ثم أين محبتى أتيت بأعمال قباح ردية وما فى الورى خلق جنى كجنايتى وحدث عبد الله بن المبارك أنه كان فى بعض السنين يساير الحاج إذ رأى صبياً سباعياً أو ثمانياً يسير فى ناحية الحاج بلا زاد ولا راحلة فقال له: مع من قطعت البر؟ فقال: مع البارى جل شأنه، فسأله عن راحلته وزاده فأجابه: بأن زاده تقواه وراحلته رجلاه وقصده إلى مولاه سبحانه وتعالى، فكبر فى عينه وازداد تعجبه فتشوق إلى استكشاف نسبه فقال: هاشمى علوى فاطمى. وكان هذا يفسر مواهبه الأدبية فسأله عن معرفته بالشعر فاستنشده من شعره فقال: لنحن على الحوض رواده نذود ونسقى وراده وما فاز من فاز إلا بنا وما خاب من حبنا زاده ومن سرنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده ومن كان غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده ثم فارقه ولم يشاهده إلا بالأبطح، فرآه جالساً وحوله جماعة يسألونه عما أبهم عليهم من الحلال والحرام وما أشكل عليهم فإذا هو زين العابدين (عليه السّلام) ومما يروى له صلوات الله عليه قوله: نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعها فى الأنام كاظمنا عظيمة فى الأنام محنتنا أولنا مبتلى وآخرنا يفرح هذا الورى بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا والناس فى الأمن والسرور وما يأمن طول الزمان خائفنا وما خصصنا به من الشرف الطائل بين الأنام آفتنا يحكم فينا والحكم فيه لنا جاحدنا حقنا وغاصبنا [۲۵۳] . ذكر الألوسى فى روح المعانى عند قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين) [۲۵۴] علم الأسرار والحقيقة ثم قال أشار إلى هذا رئيس العارفين على زين العابدين حيث قال: إنى لأكتم من علمى جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا وقد تقدم فى هذا أبو الحسن إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا فرب جوهر علم لو أبوح به لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا [۲۵۵] . وذكر ابن شهر آشوب فى المناقب أن الأصمعى قال: كنت أطوف ليلة بالبيت الحرام فإذا شاب ظريف عليه ذؤابتان وهو متعلق بأستار الكعبة ويقول نامت العيون إلى أن قال: يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم قد نام وفدك حول البيت قاطبة وأنت وحدك يا قيوم لم تنم

أدعوك ربى دعاء قد أمرت به فارحم بكائى بحق البيت والحرم إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالنعم [۲۵۶] . وقال (عليه السلام) مخاطباً الحكام الظالمين: لكم ما تدعون بغير حق إذ ميز الصحاح من المراض عرفتم حقنا فجحدتمونا كما عرف السواد من البياض كتاب الله شاهدنا عليكم وقاضياً الإله فنعم قاض [۲۵۷] . وقال (عليه السّلام) ليزيد بن معاوية: لا تطمعوا أن تهينونا فنكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا والله يعلم إنا لا نحبكم ولا نلومكم أن لا تحبونا قال: صدقت يا غلام، ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، والحمد لله قتلهما وسفك دماهما. فقال (عليه السّلام): لم تزل النبوة والأمرة لآبائى وأجدادى من قبل أن تولد [۲۵۸] . ومن الأشعار المنسوبة إلى الإمام زين العابدين مقطوعتين من المناجاة المنظومة ذكر أنهما وجدتا بخط بعض العلماء. الأولى: ألم نسمع بفضلك يا منايا دعاءً من ضعيف مبتلاء [۲۵۹] . غريقاً فى بحار الغم حزناً أسيراً بالذنوب والخطاء أنادى بالتضرع كل يوم مجداً بالتبتل والدعاء لقد ضاقت على الأرض طراً وأهل الأرض ما عرفوا دوائى فخذ بيدى إنى مستجير بعفوك يا عظيم، ويا رجائى أتيتك باكياً فارحم بكائى حيائى منك أكثر من خطائى ولى هم وأنت لكشف همى ولى داء وأنت دواء دائى وأيقظنى الرجاء فقلت ربى رجائى أن تحقق لى رجائى تفضل سيدى بالعفو عنى فإنى فى بلاء من بلاء والثانية: إليك يا رب قد وجهت حاجاتى وجئت بابك يا ربى بحاجاتى أنت العليم بما يحوى الضمير به يا عالم السر علام الخفيات اقض الحوائج لى ربى فلست أرى سواك يا رب من قاض لحاجاتى وهكذا كما ترى اختلال الوزن والركة فى المعنى والنظم ظاهرة بوضوح، والذى أراه أن كلا المقطوعتين وما يشبههما من الشعر الركيك من الموضوعات على الإمام (عليه السّلام)، إذ كيف تنسب للإمام مثل هذه الأبيات المفككة الركيكة التى تخلو من أية مسحة أدبية أو بلاغية، وهو صاحب الشأن الأدبى الرفيع يكفيه فخراً أنه صاحب الصحيفة السجادية التى لم يؤثر فى الكلام العربى مثل فصاحتها وبلاغتها. كما نسب إلى الإمام زين العابدين ديوان شعر حافل بالنصائح والمواعظ وتوجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة الإمام أمير المؤمنين بخط السيد أحمد بن الحسين الجزائرى، وقع الفراغ من كتابتها سنة ۱۳۵۸هـ وقد استنسخها عن نسخة بخط السيد محمد بن السيد عبد الله الشوشترى المتوفى سنة (۱۲۸۳هـ). وقد نشره الدكتور حسين على محفوظ فى مجلة البلاغ العدد الثامن من السنة الأولى ص۲۴ وقال فى تقديمه له: (ينسب إلى السجاد (عليه السّلام) ۳۸۷بيتاً من الشعر جمعها شيخنا المرحوم محمد على التبريزى المدرس المتوفى سنة (۱۳۷۳هـ) من كتاب التحفة المهدية المطبوع فى تبريز سنة ۱۳۵۷هـ وهو القسم الثانى من ديوان المعصومين الذى سماه: الدر المنثور، وقد أهدى إلى صديقنا الباحث الفاضل الكريم مرتضى المدرس نسخة خطية من شرح ديوان السجاد (عليه السلام) مكتوبة فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى فيه ۲۹ مقطوعة من بحر الوافر ذوات خمسة أبيات مرتبة على الهجاء عدتها ۱۴۵ بيتاً، وإذا صح أن ينسب شىء من الشعر إلى الإمام فالظن كل الظن أن فى المضامين إليه من المنظوم ما هو قيد كلماته، ونظم معانيه، واتباع منهجه، ودليل سيرته، واقتداء بهداه..). ولا يخالنى الشك فى عدم صحة نسبة هذا الديوان إلى الإمام زين العابدين (عليه السّلام) لا لمعانيه وإنما لركاكة ألفاظه وضعف صياغته. والذى يطالع للإمام ما أثر عنه من غرر الحكم والآداب يجد أن الإمام قد استعمل أفصح الألفاظ وأبلغها، وأعذب الأسلوب وأكثره جاذبية للقارئ. فقد كان (عليه السّلام) من أفصح بلغاء الأمة العربية على الإطلاق. وما أذهب إليه أنه ليس من نظم الإمام (عليه السّلام) وإنما نظمه بعض المعجبين بمواعظه وحكمه ونسبه إليه. لكن هذا الناظم لا يجيد النظم، فقد صاغ أغلب الأبيات بألفاظ ركيكة تخلو من حسن الديباجة وجمال الأسلوب. ومن آثار الإمام زين العابدين المخطوطة ذكر الدكتور حسين على محفوظ أن للإمام مصاحف تنسب إلى خطه الشريف توجد فى مكاتب شيراز وقزوين وأصفهان ومشهد [۲۶۰] .

التكافل الاجتماعى

كان الإمام (عليه السّلام) يحث أصحابه وشيعته على المواساة فيما بينهم والإحسان إلى الآخرين لأن ذلك خير ضمان لوحدتهم واجتماع كلمتهم، وقد أثر عنه وعن الأئمة الأطهار الكثير من النصائح الرفيعة فى هذا الشأن وهذه بعض منها: قال (عليه السّلام): ۱ -

(من قضى لأخيه حاجة قضى الله له مائة حاجة، ومن نفّس عن أخيه كربه نفّس الله عنه كربه يوم القيامة بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام، ومن سعى له فى حاجة حتى قضاها له فسر بقضائها، كان كإدخال السرور على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومن سقاه من ظمأ، سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كساه من عرى، كساه الله من استبرق وحرير،ومن كساه من غير عرى لم يزل فى ضمان الله ما دام على المكسى من الثوب سلك، ومن كفاه ما أهمه أخدمه الله من الوالدان، ومن حمله على راحلة بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهى به الملائكة، ومن كفنه عند موته كساه الله يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجة يأنس بها، ويسكن إليها آنسه الله فى قبره بصورة أحب أهله إليه، ومن عاده فى مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف، وتقول: طبت، وطابت لك الجنة.. والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما فى الشهر الحرام...) [۲۶۱] . يحفل هذا الحديث بتعاليم إنسانية رفيعة المستوى تدعو المسلمين إلى التعاون والتضامن والمحبة، مما يمتن أواصر المودة والرحمة والتعاطف بينهم. ويعتبر هذا الحديث وأمثاله من العناصر الرئيسية فى بناء التكافل الاجتماعى الذى أسسه الإسلام، فالمسلم أخ المسلم يشعر معه فى أفراحه ويساعده فى أتراحه ويعمل من أجل سعادته بكل ما يستطيع بالمال أو اليد أو اللسان وهو أضعف الإيمان. ۲ – وقال (عليه السّلام) فى المؤاساة والإحسان لضمان وحدة المسلمين: (إن أرفعكم درجات وأحسنكم قصوراً وأبنية [۲۶۲] ، أحسنكم إيجاباً للمؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم، إن الله ليقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة [۲۶۳] طيبة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة ألف عام يقدمه، وإن كان من المعذبين بالنار، فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره...) [۲۶۴] . فى هذا الحديث الطيب حث الإمام (عليه السّلام) المسلمين ليعملوا على مواساة الفقراء والإحسان إليهم، وذكر ما يترتب عليه من الأجر الجزيل عند الله. وعد من المواساة الكلمة الطيبة التى يقدمها الإنسان المسلم لأخيه المسلم، فإذا لم يكن لديه مالاً يساعد به المحتاجين فيمكن مساعدتهم بيده، وإذا تعذر عليه ذلك فباستطاعته مساعدتهم ومواساتهم بفكره، بكلمة طيبة تفيدهم وتهديهم وتطيب خاطرهم. وقد عد هذا الأمر واجب شرعى على المسلمين. ۳– وقال الإمام (عليه السّلام): (من بات شبعاناً وبحضرته مؤمن جائع طاوٍ فإن الله تعالى يقول لملائكته: اشهدوا على هذا العبد، أمرته فعصانى، وأطاع غيرى، فوكلته إلى عمله، وعزتى وجلالى لا غفرت له أبداً..) [۲۶۵] . فى هذا الحديث تأكيد صريح على عاتق كل مسلم تجاه إخوانه فى الإيمان، فعليه أن يشعر معهم فى محنهم ومصائبهم وحرمانهم فى مجتمعهم الظالم الذى كان يحكمه حكام طغاة. كما يمكن أن نعد هذا الحديث وأمثاله مما أثر عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) من العناصر الرئيسية فى بناء التكافل الاجتماعى الذى أسسه الإسلام، ليقضى بصورة جازمة على الفقر والحرمان فى المجتمع الإسلامى. ۴ – ولم يكتف الإسلام بحث المسلمين على مساعدة إخوانهم فى الدين، بل يحاسبهم على تقصيرهم إذا ما حصل. قال الإمام زين العابدين (عليه السّلام): (من أطعم مؤمناً حتى يشبع، لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر فى الآخرة لا ملك مقرب، ولا نبى مرسل إلا الله رب العالمين.. وأضاف (عليه السّلام): (من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان، ثم تلا قوله تعالى: (أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيماً ذا مقربة. أو مسكيناً ذا متربة) [۲۶۶] . إن إطعام الجائع ودفع السغب عنه ضرورة إسلامية ملحة يسأل عنها الإنسان المسلم ويحاسب عليها، وبصورة خاصة إذا كان الفقير بحاجة ماسة إلى الطعام. فمساعدة المعوزين توطد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتحيى فى نفوسهم المحبة، مصدر كل خير وعطاء. ثم يمكن اعتبار ما ينفق على المحتاجين فى هذا المجال من الصدقات والصدقة زكاة وهى ركن أساسى من فروع الدين الإسلامى، من هنا كان الواجب الشرعى يقضى على المسلمين المؤمنين مساعدة إخوانهم وقضاء حوائجهم. ۵ – وفى ذلك قال الإمام السجاد (عليه السّلام): (من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسى مؤمناً من عرى، لم يزل فى ستر الله وحفظه ما بقيت منه خرقه..) [۲۶۷] . يحرص الإسلام كل الحرص على شد أزر المسلمين وتضامنهم صفاً واحداً لدرء الظلم عنهم والوقوف فى وجه الظالمين، والمنحرفين، وليس لهم ذلك إلا بمساعدتهم لبعضهم البعض وسد حاجات إخوانهم فى الإيمان مهما كانت المساعدات

بسيطة. ۶ـ صلة الرحم: دعا الإسلام إلى صلة الأرحام وحث المسلمين على العلم بها وحذر من قطيعتها وذلك لما يترتب عليها من التواصل والمحبة إذا وصلت، ومن المضاعفات السيئة إذا قطعت، والإمام زين العابدين (عليه السّلام) حث على صلة الأرحام فقال: (من سره أن يمد الله فى عمره، وأن يبسط له فى رزقه، فليصل رحمه، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق تقول: يا رب صل من وصلنى، واقطع من قطعنى، فالرجل ليرى بسبيل خير إذا أتته الرحم التى قطعها فتهوى به إلى سفل قعر فى النار..) [۲۶۸] . لقد تواترت الأخبار عن الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) فى الحث على صلة الأرحام، فالذى يصل رحمه يمد الله فى عمره، ويزيد فى رزقه ويكسب الأجر الجزيل فى الدار الآخرة، وصلة الأرحام توجب تماسك المجتمع وشيوع المحبة والمودة والصفاء بين المسلمين، وذلك من أهم ما يدعو إليه الإسلام. إن هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة التى دعا إليها الإسلام ورفع شعارها تمثل الجوهر الحقيقى له، ولو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لأصبحوا سادة الأمم وقادة الشعوب ولساد الأمن والأمان والسلم والسلام على الدنيا بأسرها. الإسلام دين إنسانى يراعى مصالح الإنسان فى كل مكان ليعيش عيشة حرة كريمة، ويعمل على تنوير بصائر الناس ليكسبوا أجر الدارين الدنيا والآخرة. فهل يفقه المسلمون جوهر إسلامهم اليوم؟ وهل يعقلوا أن بعدهم عن الوحدة الإسلامية يعنى بعدهم عن الخط الإسلامى الذى رسمه لهم النبى الأكرم فى دعوته المباركة؟ إن عزة المسلمين تكمن فى تعاونهم على البر والتقوى، وفى تآلفهم ورص صفوفهم صفاً واحداً ليستطيعوا الوقوف فى وجه أعداء الله وأعداء الإنسانية عامة، وهذا أمر سهل جداً لو تنازلوا عن حبهم للمنصب وتعلقهم فى هذه الدنيا الفانية. من هنا كان نداء الإسلام لأهل الفضل وما يستحقون من خير وجزاء. ولهذا حثَّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) أصحابه ودعاهم إلى إسداء الفضل وعمل المعروف إلى الناس كافة. قال (عليه السّلام): ۷ - (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس قبل الحساب، فيقال لهم: إنطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، فإذا سألوهم عما استحقوا ذلك، يقولون: كنا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا غفرنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. ثم ينادى مناد: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس، فيقال لهم: إنطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم مثل الأول. فيقولون: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله عز وجل، فيقولون لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. ثم ينادى مناد: ليقم جيران الله عز وجل، فيقوم ناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتسألهم الملائكة عما استحقوا ذلك، وما مجاورتهم لله عز وجل؟ فيقولون: كنا نتزاور فى الله، ونتجالس فى الله، ونتبادل فى الله، فيقولون: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين..) [۲۶۹] . يدعو الإمام (عليه السّلام) فى هذا الحديث الشريف المسلمين خاصة إلى إسداء المعروف إلى الناس عامة والتحلى بمكارم الأخلاق التى توجب رفع مستوى الإنسان إلى أرفع الدرجات، وبلوغه ذروة الشرف والكمال التى أرادها له رب العالمين. قال الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..) [۲۷۰] والأمر بالمعروف حث عليه الإمام زين العابدين فقال (عليه السّلام): (التارك للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقى تقاه، فقيل له: ما تقاته؟ قال: يخاف جباراً أن يفرط عليه، أو أن يطغى..) [۲۷۱] فكما نرى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من المبادئ الإسلامية البارزة التى تبناها الإسلام بصورة إيجابية وذلك من أجل أن تسود العدالة الاجتماعية بين الناس، ويزول الظلم والطغيان عن عباد الله، فلا يبقى منكر ولا اعتداء على واقع الحياة العامة بين البشر. وقد تواترت الأخبار عن أئمة الهدى (عليهم السلام) على ضرورته ولزومه. وقد ذكر الفقهاء فى رسائلهم العملية شروط القيام بهذا الواجب الإسلامى الخطير والهام فى بناء مجتمع إسلامى عظيم يعيش موفور الكرامة عزيز الجانب.

مؤلفات الإمام زين العابدين

اشاره

إن أول من ألف فی دنیا الإسلام هم أئمة أهل البیت (علیهم السّلام) والعلماء العظام من شیعتهم، فهم الرواد الأوائل فی المیدان الأدبی والاجتماعی والدینی، الذین خططوا مسیرة الأمة الثقافیة وفجروا ینابیع العلم والمعرفة والحکمة فی البلاد الإسلامیة وغیر الإسلامیة. وما نلفت إلیه أن مؤلفاتهم وسائر بحوثهم لم تقتصر علی علم خاص، وإنما تناولت جمیع أنواع العلوم التی یحتاج إلیها الإنسان، فی حیاته الخاصة والعامة والتی تفیده فی دنیاه وآخرته. فقد ألفوا فی علوم کثیرة منها: الفقه، والتفسیر، والحدیث، والأصول، والصرف والنحو، والکلام، والفلسفة والحساب، والتاریخ والفلک... وإلی جانب هذه العلوم وضعوا قواعد هامة فی الأخلاق الإنسانیة، وآداب السلوک الفردیة والاجتماعیة وأصول التربیة الوطنیة. وکان أول الرواد الذی سبق فی هذا المضمار رائد الأمة الفکریة والعلمیة والأدبیة الإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السّلام) الذی فتق أبواب العلوم العقلیة والنقلیة والتربویة وأسس أصولها وقواعدها. یقول العلامة المعروف عباس العقاد: (إن الإمام أمیر المؤمنین (علیه السّلام) قد فتق أبواب اثنین وثلاثین علماً، فوضع قواعدها وأرسی أصولها) [۲۷۲] . ومن الذین ألّفوا من الأئمة الطاهرین الإمام زین العابدین (علیه السّلام)، فقد کانت مؤلفاته نموذجاً فریداً لتطور الفکر الإسلامی وتقدم الحرکة العلمیة والثقافیة فی العالم العربی.

الصحیفة السجادیة

اشاره

هی من ذخائر التراث الإسلامی، ومن مناجم المباحث البلاغیة والأخلاقیة والتربویة والأدبیة فی الإسلام ونظراً لأهمیتها فقد سماها کبار رجال الفکر والعلم، بأخت القرآن وإنجیل أهل البیت وزبور آل محمد [۲۷۳] . ومما زاد فی أهمیتها أنها جاءت فی عصر طغت فیه الأحداث الرهیبة فی السیاسة التی أحالت حیاة المسلمین إلی جحیم مظلم لیس فیه أی بصیص نور من هدی الإسلام وإشراقه، فالتکتل الحزبی والسیاسی الذی سعی وراءه أصحاب المصالح والأطماع الشخصیة حیث اختفی أی ظل لروحانیة الإسلام وتعالیمه السمحة وآدابه الإنسانیة وحکمه الخالدة. لقد فتحت الصحیفة السجادیة آفاقاً جدیدة للوعی الدینی، کان المسلمون قد فقدوه، ودعت إلی التبتل الروحی والصفاء النفسی والطهارة والتجرد من الأنانیة ونبذ الجشع والطمع وغیر ذلک من الرذائل والنزعات الشریرة التی نهی عنها الإسلام، کما دعت الصحیفة إلی الاتصال بالله تعالی خالق الکون وواهب الحیاة ومصدر الخیر والحق والجمال سبحانه وتعالی أحسن الخالقین.

فرادتها

تمتاز الصحیفة السجادیة بأمور بالغة الأهمیة ومیزات عدیدة، من بینها مایلی: ۱ - تمثل الانقطاع الکامل لله تعالی والاعتصام بحبله والتجرد التام من عالم المادة. ۲ - لقد کشفت عن معرفة کاملة یتمتع بها الإمام تفید عن عمق إیمانه بالواحد القهار، ولم یکن ذلک ناشئاً عن عاطفة عابرة أو تقلید قدیم، وإنما هو قائم علی العلم الیقین والعرفان الأکید. وقد أدلی (علیه السّلام) فی صحیفته هذه بکثیر من البحوث الکلامیة التی انتهل منها علماء الکلام والفلاسفة المسلمون فی ما کتبوه عن واجد الوجود. ۳ - احتوت علی کمال الخضوع أمام الله تعالی، وبذلک قد امتازت علی بقیة أدعیة الأئمة الطاهرین بما فیها من أفانین التضرعات وإظهار التذلل لله تعالی. قال الفاضل الأصفهانی: (إن الله تعالی قد خص کل واحد منهم بمزیة وخصوصیة لا توجد فی غیره، کالشجاعة فی أمیر المؤمنین وابنه الحسین (علیه السّلام) والرقة والتفجع فی أدعیة زین العابدین (علیه السّلام) لا سیما أدعیة الصحیفة الکاملة، المعروفة بین أصحابنا الإمامیة بزبور آل محمد، وأخری بإنجیل أهل البیت) [۲۷۴] . ۴ - لقد فتحت أبواب الأمل والرجاء برحمة الله تعالی التی وسعت کل شیء. فالإنسان مهما کثرت ذنوبه وعظمت خطایاه لا ینبغی له أن یقنط من رحمة الله تعالی، وعفوه وکرمه. یقول الإمام (علیه السّلام):

(إلهى وعزتك وجلالك، لئن طالبتنى بذنوبى لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتنى بلؤمى لأطالبنك بكرمك...). ۵ - أكثر ما ورد من أدعية فى الصحيفة يصلح برامج للأخلاق الروحية وآداب السلوك والفضائل النفسية التى يسمو بها الإنسان عن عالم المادة. ۶- احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفة فى عصره، نذكر منها قوله (عليه السّلام): (اللهم وامزج مياههم بالوباء وأطعمتهم بالأدواء...). لقد أشار هنا (عليه السّلام) إلى حقيقة علمية اكتشفت فى العصور الأخيرة، وهى أن جراثيم الوباء المعروفة بـ(الكوليرا) إنما تأتى عن طريق الماء، فهو الذى يتلوث بجراثيمها كما أن جراثيم هذا الوباء تنتقل إلى الأطعمة فإذا أكلها الإنسان وهى ملوثة بتلك الجراثيم فإنه يصاب بهذا الداء. هذه الحقيقة لم تعرف إلا فى هذا العصر. ۷ - إنها تمثل فلسفة الدعاء الذى هو معراج المؤمن إلى الله والبالغ به إلى أرقى مراتب الكمال، إذ ليس شىء فى هذه الحياة ما هو أسمى من الاتصال بالله تعالى خالق الكون، وواهب الحياة إلى النفوس الحائرة التى تشعر بالطمأنينة بعد القلق، وبالأمل بعد القنوط أن الدعاء الخالص ليسمو بالإنسان إلى عالم الملكوت. ۸- تعتبر الصحيفة السجادية ثورة على الفساد والانحلال الذى كان سائداً فى ذلك العصر بسبب السياسة الأموية التى أشاعت المجون والفساد والتحلل بين المسلمين. فجاءت الصحيفة ثورة على الجمود والتخلف والانحطاط فى العصر الأموى. ۹ - لقد بلغت أرقى مراتب الفصاحة والبلاغة فى اللغة العربية. فلا نجد كلاماً عربياً بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة ما هو أبلغ وأفصح من أدعية الإمام زين العابدين (عليه السّلام). قال الدكتور حسين محفوظ: (وعلى الرغم من أنه - الدعاء - المأثور عن الأئمة نثر فنى رائع، وأسلوب ناصع من أجناس المنثور، ونمط بديع من أفانين التعبير، وطرق بارعة من أنواع البيان، ومسلك معجب من فنون الكلام، والحق إن ذلك النهج العبقرى المعجز من بلاغات النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأهل البيت (عليهم السّلام) التى لم يرق إليها غير طيرهم، ولم تتسم إليها سوى أقلامهم. فالدعاء أدب جميل، وحديث مبارك، ولغة غنية، ودين قيم، وبلاغة عبقرية، إلهية المسحة، نبوية العبقة..) [۲۷۵] . وقد اهتمت الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية اهتماماً بالغاً بالصحيفة السجادية، فقد واظب جميع العلماء المسلمين الصالحين على الدعاء بها فى غلس الليل وفى وضح النهار متضرعين بها إلى الله تعالى. ولم تقتصر على العالم العربى فقط وإنما تعدت إلى غيره من شعوب العالم فترجمت إلى أكثر اللغات الأجنبية، كالفرنسية والإنكليزية والفارسية والألمانية وغيرها. ومما يدل على مدى أهميتها أن الخطاطين فى مختلف العصور الإسلامية انبروا إلى كتابتها بخط أثرى فى منتهى الروعة وقد حفلت بها الكثير من خزائن المخطوطات الإسلامية. كما عكف العلماء على دراسة الصحيفة وإيضاح مقاصدها وشرحها. والعلماء الذين قاموا بهذه المهمة زاد عددهم على السبعين عالم. كل ذلك لأنهم وجدوا فى الصحيفة نموذجاً فريداً يستفيد منه كل أديب وباحث فقد كان البارز فيها جمال الأسلوب وروعة الديباجة ورقة الألفاظ وارتياح روحى يبلسم النفوس الحائرة والقلوب الضالة. ومن مظاهر الروعة البلاغية فيها الأطناب والإيجاز حيث تدعو الحاجة. فقد أطنب (عليه السّلام) فى وصف الجنة وما فيها من نعم وترف، وقصور جميلة كل ذلك بسبب تشويق الناس إليها وترغيبهم بأعمال البر والخير ليفوزوا بنعيمها. كما أطنب فى التهويل من النار وقساوة العذاب وذلك لزجر الناس عن اقتراف الموبقات وإبعادهم عن ارتكاب المنكرات. وهو بهذا يجارى أسلوب القرآن الكريم. وقد نص علماء البلاغة على أن الأطناب فى ذلك من أرقى مراتب البلاغة وأروع صورها.

رسالة الحقوق

اشاره

وما أدراك ما رسالة الحقوق! إنها وسيلة كريمة ليفهم الإنسان نفسه وما فطرت عليه من مواهب خيرة ونزعات إنسانية. هى لعمرى سجل المعرفة بكل أنواعها الدينية والعلمية والفلسفية تفيد جميع الناس فى كسب علومهم ومعارفهم وتقويم أخلاقهم وسلوكهم وتعمل على تطوير مجتمعهم فى سائر منازعهم الاجتماعية والسياسية والتربوية والفكرية والأدبية والأخلاقية... رسالة الحقوق منبع غزير

للعلوم الإنسانية ومنهج عزيز للقيم الأخلاقية ومشرف أعلى على جميع التطورات الاجتماعية والحضارة البشرية. هى أم الرسالات تنسق تنسيقاً كاملاً بين عقائد المسلم وأعماله ومشاعره وسلوكه فتطلق روحه من عقاب الأوهام والترهات، وتوجه نفسه إلى الأعمال الصالحة والطاقات البناءة وكأنها تربط ربطاً محكماً بين نواميس الكون الطبيعية ومنازع الفطرة البشرية فى انسجام تام وتناسق كريم. ولا يخفى أن العمل برسالة الحقوق يهدى المسلم المؤمن إلى عبادة الله متى توجه العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، فهى كما وصفها الفقهاء (مشدودة إلى العروة الوثقى لا انفصام لها). ورسالة الحقوق منارة مضيئة تهدى الفرد إلى الطريق القويم فتوقظ ضميره وتحيى شعوره بالعقيدة الإسلامية الواضحة التى لا غموض فيها ولا تعقيد، كما أنها تهدى الناس الذين يعملون بها إلى الخير العام سواء أكانوا شعوباً أم دولاً- أم حكومات من شتى الألوان والأجناس فتوطد العلاقات الاجتماعية بينهم على أسس ثابتة لا تتأثر بالأغراض الشخصية ولا تميل مع الرأى والهوى، ولا غرو فهى مستقاة من المنبع الإلهى الأصيل من كتاب الله الصامت الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه). رسالة الحقوق أم الرسالات ومصدر البطولات وملهمة الحضارات تكون للحاكم أساس عدله فى حكمه، وللعامل أساس صدقه فى عمله، وللمسلم طمأنينة وإيماناً، وللمؤمن بهجة ورضا وللأمة نوراً وحقاً وعدلاً. وحسبها قيمة وفخراً أن غارس بذرتها هو من وحى الرسالة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة، من سلالة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.. قال تعالى: (...إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) [سورة الأحزاب: الآية٣٣] هو الإمام المعصوم على زين العابدين (عليه السّلام) الملقب بالسجاد لكثرة سجوده وعبادته ومع كثرة عبادته كثرة علمه الذى لا ينحصر فى هذه الرسالة فحسب فالمجال متسع كثيراً لكل عالم أراد أن يعب من معارفه المختلفة ولكل باحث أحب أن يقتبس من حكمه وأدبه. لقد ترك للإنسانية تراثاً خالداً وبحراً زاخراً بشتى العلوم والمعارف التى تفيد الإنسان فى دنياه وآخرته، وهى أشبه بالغيث تحيى النفوس بعد موتها وتبعث على طاعة الله والبعد عن معصيته؛ وبمقدار ما يبلغ الإنسان من علوم الإمام زين العابدين يبلغ حداً بعيداً من العظمة مع الخالدين. روى أبو حمزة الثمالى قال: (دخل قاضٍ من قضاة أهل الكوفة على على بن الحسين (عليه السّلام) فقال له: جعلنى الله فداك! أخبرنى عن قول الله عز وجل: (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين)، قال له (عليه السّلام): ما يقول الناس فيها قبلكم؟ قال: يقولون: إنها مكة. فقال: وهل رأيت السرق فى موضع أكثر منه بمكة؟ قال: فما هو؟ قال: إنما عنى الرجال، قال: وأين ذلك فى كتاب الله؟ فقال: أو ما تسمع إلى قوله عز وجل: (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) وقال: (وتلك القرى أهلكناهم) وقال: (واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) أفيسأل القرية أو الرجال أو العير؟ قال: وتلا عليه آيات بهذا المعنى قال: جعلت فداك! فمن هم؟ قال: نحن هم، فقال: أو ما تسمع إلى قوله: (سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين) قال: آمنين من الزيغ) [٢٧٦] . فالله سبحانه أعلم أين يضع رسالته فأهل البيت أهل العلم والمعرفة وأهل التقى والدين جاهدوا فى الله حق جهاده وعملوا على نشر العلوم الدينية والأدبية والفلسفية والعملية بكل ما زودهم سبحانه بها من طاقات. والإمام السجاد ورث العلم بكل أنواعه وألوانه عن أبيه وجديه فحفظ كتاب الله وتفقه فيه وعمل على نشره. روى الطبرسى قال: (لقى عباد البصرى على بن الحسين (عليه السّلام) فى طريق مكة فقال له: (يا على بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه، وإن الله عز وجل يقول: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) [سورة التوبة: الآية ١١١] فقال على بن الحسين: إذا رأينا هؤلاء الذى هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج). وجاء فى المصدر نفسه: (سئل الإمام زين العابدين عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال (عليه السّلام): لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات، فالكلام أفضل من السكوت. قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنما يبعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت إنما ذلك كله بالكلام وما كنت لأعدل القمر بالشمس إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت) [٢٧٧] . وتكلم الإمام (عليه السّلام) فكانت هذه

الدرر الثمينة، رسالة الحقوق التى رسم فيها معالم الشخصية الصالحة التى ينشدها الإسلام لقد وضعت حقوق الجوارح من اللسان والسمع والبصر واليد والرجل... إلى الصلاة والصوم والحج... إلى حقوق المعلم والسلطان والمالك... إلى حقوق الأرحام من الأب والأم والأخ... كما رسمت أيضاً حقوق أهل الإسلام وأهل الذمة وطلب إلينا حق رعايتها والعمل فى تأديتها لنعالج على ضوئها مشاكلنا الخاصة والعامة وما يعتور طريقنا من هفوات وأخطاء وتقصير... لقد أرادنا عناصر إنسانية صالحة تحب الخير للجميع وتعمل به وتنبذ الشر وتتجنبه. وقد كتب هذه الرسالة الذهبية (عليه السّلام) وأتحف بها بعض أصحابه، وقد رواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبى صفية، المعروف بأبى حمزة الثمالى تلميذ الإمام (عليه السّلام) [۲۷۸] ، ورواها عنه بسنده المحدث الصدوق [۲۷۹] ، وحجة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى والحسن بن على بن الحسين بن شعبة البحرانى فى تحف العقول [۲۸۰] .

الدوافع لكتابة رسالة الحقوق

كثر اللهو والطرب وانتشرت دور الميسر ومجالس الغناء طيلة حكم الأمويين، واستقدم ملوكهم الجوارى والمغنيين والمغنيات من شتى البلدان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وأغدقوا عليهم المال بسخاء. كما بذلوا الكثير من المال على الشعراء لتأييد سلطانهم فاصطنعوا به الأحزاب واستذلوا به الأعداء. وكان عبد الملك بن مروان من أكثر ملوك بنى أمية بذلاً للمال فى سبيل تأييد سلطانه، وعامله آنذاك الحجاج بن يوسف فلما حاصر الكعبة، وفيها ابن الزبير أمر رجاله أن يرموا الكعبة بالمنجنيق فتهيب جنده، فجاء بكرسى وجلس عليه وقال لهم: (يا أهل الشام، قاتلوا على أعطيات عبد الملك) ففعلوا [۲۸۱] . وكثيراً ما كان يرد أذى الأحزاب وإخماد الثورات بالمال ينثره على الناس فينشغلون به عنه. من ذلك ما فعله مع جماعة عمرو بن سعيد الأشدق لما طمع بالشام دونه. فاحتال فى استحضاره إلى ديوانه وقتله غدراً، ولما علم أصحابه بمقتله تجمهروا حول دار الخلافة مطالبين بدم زعيمهم، خاف عبد الملك العاقبة فأمر أن يرمى برأس عمرو إلى الناس ومعه المال الكثير، فنفذ ابنه عبد العزيز ذلك، وجعل يلقى بالأموال على الجماهير المحتشدة. فلما رأى الناس الرأس والأموال انشغلوا بالأموال وتفرقوا [۲۸۲] . لقد استخدموا المال والنساء وبذلوا على تلك المجالس والليالى الساهرة بسخاء، ولم يكن يدعوهم إلى هذا السلوك المنحرف والاستهتار الفاضح حبهم لملذاتهم فقط، وإنما كان هدفهم من وراء ذلك إماتة الروح الإسلامية الصحيحة فى نفوس الناس ليبعدوهم عن الدين الإسلامى وعن رسالة الأنبياء المرسلين فلا يهمهم بعد هذا أمر الخلافة والمطالبة برفع الظلم والاستهتار فالمال ميسور أمام فراغ الشباب والجوارى ودور الميسر منتشرة تستهويهم للتلهى وقتل الوقت هدراً. لقد هيأوا الأذهان أيضاً إلى قبول الرأى القائل بأن الخلافة ليست إلا ملكاً كالقيصرية والكسروية، وأن الله تعالى لم ينص على إمام بعينه كما يرى كثير من المسلمين. فى وسط هذا المجتمع المريض كان لا بد للإمام السجاد أن يداوى هذه النفوس لتتخلص من أمراضها وتعرف حدودها وترجع إلى الأخلاق الإسلامية السامية التى تعيد للأمة تعاليم الإسلام القومية والسليمة التى كاد الأمويون أن يقضوا على معظمها بأعمالهم الباطلة وآرائهم الفاسدة وتصرفاتهم التى لا تليق بأمة مرموقة بين الأمم تعرف مكانتها السامية بين الدول المتحضرة أجل لقد تفسخت الأخلاق وتردت حتى أصبحت تهدد بخطر عظيم الأمر الذى دعا الغيارى على الدين أن يهتموا الاهتمام الكبير لصد هذا التيار الجارف، ومن أحرى بأهل البيت الذين اختارهم سبحانه وتعالى لردع الظلم عن أعناق المستضعفين، وهداية الناس إلى الحياة الحرة الكريمة. قال محمد صادق الصدر: (وكان أول من لفت الأنظار إلى هذا الخطر المحدق بالناس جميعاً الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فقط نشط فى جهاده نشاطاً عظيماً منقطع النظير فكان يلقى على الأمة بآرائه الإصلاحية تارة عن طريق المناجاة، وطوراً عن طريق القلم، وهذه (رسالة الحقوق) أملاها (عليه السّلام) دستوراً عاماً يتضمن كل ما تحتاجه البشرية من حقوق، فلم يترك حقاً من حقوق الله على عباده، أو حقوق العباد أو حقوق العباد بعضهم على بعض إلا ذكره ونبه عليه، وقد قدم الأهم فالأهم من هذه الحقوق ببيان رائع، ومنطق لا يقبل الرد ولا أعرف أسلوباً أروع من هذا الأسلوب، وفكراً صالحاً للمجتمع أصلح من هذا الفكر، وهى مواضيع عامة منبعثة عن حاجات المجتمع الإنسانى يصلح تطبيقها، والسير على نهجها فى كل زمان، وهى تكفل

للناس السعادة والهناء فى الدارين) [۲۸۳] . رسالة إصلاحية يحتاجها الفرد فى حياته الخاصة ليصلح أموره ويعرف حدوده، كما يحتاجها المجتمع البشرى بكل أفراده وطبقاته، يحتاجها الراعى ليحكم بالعدل وتحتاجها الرعية لتقاوم الظلم والقهر وتعيش حياة كريمة هنية. أما الدوافع التى دفعت الإمام السجاد إلى كتابة هذه الرسالة الخالدة ونشرها فهى دوافع إنسانية أملتها عليه الظروف السياسية والتدهور الأخلاقى والفساد المستشرى فى البنية الحاكمة. لقد تعلم من أبيه الإمام الحسين (عليه السّلام) سيد الشهداء الذى خرج (لا أشراً ولا بطراً وإنما ليصلح رسالة جده) النبى المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

عرض الموجز لرسالة الحقوق

حق الله

اول هذه الحقوق التى بلغت خمسين حقا (حق الله)

قال الإمام (عليه السّلام): (فأما حق الله الأكبر عليك فإنك تعبده لا تشرك به شيئاً، فإن فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منهما). إن من أعظم حقوق الله تعالى على عباده أن يعبدوه بإخلاص، ولا يشركوا بعبادته أحداً، لا إله إلا الله محمد رسول الله، الرفض المطلق لكل الألهة التى صنعتها الأيدى البشرية والعقول الضالة، وبمقدار هذا الرفض يتأكد التوجه للإثبات، فالله واحد أحد فى ذاته، واحد أحد فى صفاته، واحد أحد فى خصائصه: (ليس كمثله شىء وهو اللطيف الخبير). الإيمان القلبى العميق يطهر القلوب من الزيغ ويحرر العقول من الرق والتبعية، أما عبادة غير الله من الأصنام والأزلام والأوثان فإنها ذل وعبودية، وقضاء على كرامة الإنسان وعزته. والإيمان بالله يفرض على الإنسان أن ينظر إليه سبحانه وتعالى نظر الربوبية المطلقة التى تملك الحياة كما تملك الموت، وتملك الأعمار كما تملك الأرزاق. قال تعالى: (اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) [۲۸۴] . التوحيد بالله وعدم الشرك به أساس من الأسس التى لا تقبل المساومة وقد حسم القرآن الكريم هذه القضية فقال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به وغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [۲۸۵] . والإمام زين العابدين جعل فى هذه الرسالة أكبر حقوق الله على الإنسان أن يعبده ولا يشرك به شيئاً، وفى مقابل هذه العبادة بإخلاص تكون كفاية الله له لأمرى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا يشعر بالسعادة النفسية والاطمئنان القلبى فى الآخرة، وفى رحاب الله يفوز بالخلود الأبدى ورضوان الله أكبر ما يتوق إليه الإنسان ويسعى من أجله.

حقوق الجوارح – من عرف نفسه فقد عرف ربه – حق النفس

(وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها فى طاعة الله عز وجل فتؤدى إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه وإلى يدك حقها وإلى رجلك حقها، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك). تركزت دعوة الإمام (عليه السّلام) إلى إصلاح النفس البشرية إصلاحاً ربانياً شاملاً كى تؤدى دورها المطلوب فى طاعة الله تعالى وإعانة عباد الله لأن منها المنطلق لعملية الإصلاح الشاملة فمتى صلحت النفس صلح غيرها واستقام. ولذا ورد الحث من الإمام (عليه السّلام) لأن يقف الإنسان موقف الحذر واليقظة، والمراقب والمحاسب يترصدها فى ميولها وحركاتها فيحاسبها فى كل خطوة من خطواتها ليحملها على الحق فى طاعة الله تعالى ويدفعها نحو الخير. وهذا ما عناه النبى الأكرم فى حديثه الشريف عندما أرسل سرية من الجيش إلى القتال فى سبيل الله، ولما رجعوا قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقى عليهم الجهاد الأكبر. فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الجهاد الأكبر: جهاد النفس. ومعنى جهاد النفس أن يلزمها المرء بأحكام الإسلام فلا ينحرف لميل أو هوى ولا يميل لمصلحة شخصية ذاتية على حساب الدين فيضعف أمام المحرمات، ويتهاون بترك الواجبات فيجعل للشيطان

عليها سبيلاً. وذكر الإمام أن لكل جارحة فى بدن الإنسان حقاً عليه فبدأ باللسان آلة النطق.

حق اللسان

(وأما حق السان فإكرامه عن الخنى، وتعويده على الخير، وحمله على الأدب، وإجمامه إلا لموضع الحجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التى لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها وبعد شاهد العقل والدليل عليه، وتزين العاقل بعقله وحسن سيرته فى لسانه، ولا قوة إلا بالله العلى العظيم). من المعروف أن اللسان آلة النطق والمترجم عن العقل هو من أهم الجوارح فى بدن الإنسان، كما أنه من أخطرها على حياته، سلاح ذو حدين، بأحدهما نساهم فى توفير السعادة لنا ولمجتمعنا وبالآخر نقضى على سعادتنا ونجلب الخراب والدمار للعباد والبلاد. والإنسان يسمو أو يهان بمنطقه، فإن تكلم بكلام طيب صان نفسه من الزلل وعاش محترماً بين أهله وأفراد مجتمعه، وإن تكلم بكلام خبيث أهان نفسه وبات محتقراً مهاناً. فالإمام (عليه السّلام) يطلب للإنسان أن يكون صالح النطق، لا فحش ولا لغو ولا عبث، بل نظيف اللسان مهذب الكلام. قال تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) [۲۸۶] . لقد دعا الإمام الحكيم (عليه السّلام) الإنسان إلى السيطرة على لسانه وإلزامه بمراعاة الأمور التالية ليعزز مكانته ويرفع من شأنه: أ - البعد عن الخنى - أى الفحشاء - لأنها توجب مهانة الإنسان. ب - حملة على التكلم بالكلام الطيب الذى يرفع إلى الله تعالى. ج - إمساكه عن الكلام إلا لموضع الحاجة من أمور الدين والدنيا. د - تعويده على مقالة الخير وما ينفع الناس. هـ - إبعاده عن الخوض فى فضول القول الذى لا يعود عليه وعلى الناس بالخير. والكلمة الطيبة فى الإسلام صدقة، قال تعالى: (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم) [۲۸۷] .

حق السمع

(وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث فى قلبك خيراً، أو تكسب خلقاً كريماً، فإنه باب الكلام إلى القلب، يؤدى إليه ضروب المعانى على ما فيها من خير أو شر ولا قوة إلا بالله...). جهاز السمع هو التركيب البديع للإنسان أبدعها الله تعالى كى يصل بها إلى مرضاته فيسمع بها المسموح وكل ما يصلح النفس ويهذبها. إنه الجهاز الذى ينقل المعلومات إلى الدماغ فيبدل كيان الإنسان ويحوله من حالة إلى حالة فإذا سمع فكرة رسالية قيمة وتفاعل معها تحوله إلى إنسان صالح يحب الخير ويعمل به. أما إذا سمع فكرة هدامة ملوثة بالإلحاد فقد تحوله إلى مجرم يعمل المحرمات دون أى رادع أو وازع. فمجالس الانحلال الخلقى والمفسدين فى الأرض منعها الإسلام وحرمها لأنها ستنقل إلى القلب عن طريق الأذن ما يفسد خلق الإنسان ويجره إلى الهاوية. ولذا نهى الله عن ذلك بقوله تعالى: (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً) [۲۸۸] . كما أن الله مدح الذين يستمعون إلى دعاة الخير والمحبة والإيمان قال تعالى: (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا...) [۲۸۹] . فعلينا جميعاً أن نصغى إلى كلمة الحق ونعمل بها ونقبل الحقيقة مهما كانت قاسية ومرة من أى إنسان وفى أى زمان. وأن نجعل الجهاز السمعى بريداً صالحاً لنقل الآداب الكريمة والفضائل الحسنة والمزايا الحميدة لتكون من صفاتنا وخصائصنا.

حق البصر

(وأما حق بصرك فغضه عما لا يحل لك، وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً فإن البصر باب

الاعتبار). إن للبصر حقاً على الإنسان، وهو حجة على النظر إلى ما حرمه الله الذى هو مفتاح الولوج فى اقتراف الآثام، فينبغى للمسلم أن يغض بصره عما لا يحل له. والإنسان مسؤول أمام البارى عز وجل عن بصره إذا انطلق فى غير رحابه وحدوده المسموح بها. قال تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) [۲۹۰] . والفائدة التى يستفيدها الإنسان من نعمة البصر يعود إليه بالذات فإذا نظر إلى آثار الماضين وتأمل كيف كانت معيشتهم وأحوالهم وأخذ من ذلك كله العبرة والعظة يكون نظره نعمة له يستفيد منها فى تصحيح مساره فى الدارين الدنيا والآخرة. أما إذا استعمل بصره فى الحرام والمنكرات فإن الإسلام يعد ذلك خيانة لهذه الأمانة العظيمة وانحرافاً عن الخط السليم، فكم من نظرة أورثت صاحبها حسرة دائمة لأنها استعملت فى غير المجال المسموح بها. فينبغى للمسلم أن يغض بصره عما لا يحل له وعليه أن يستفيد ببصره علماً يهذب به نفسه، وينفع به مجتمعه. من هنا أمر الله المؤمنين من عباده بغض الأبصار عن الأشياء المحرمة. قال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...) [۲۹۱] . والحقيقة أن البصر نعمة كبرى لا يعرف قيمتها إلا من فقدها فهى تكشف للإنسان معالم طريقه فتعرفه على كل أمور حياته وتطل به على مباهج الدنيا وجمالاتها. فهل يرعى الإنسان هذه النعمة حق رعايتها ويصونها من التجاوز والابتذال؟

حق الرجلين

(وأما حق رجليك فأن لا تمشى بهما إلى ما لا يحل لك ولا تجعلهما مطيتك فى الطريق المستخفة بأهلها فيها، فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين والسبق لك ولا قوة إلا بالله) [۲۹۲] خلق الله الرجلين للإنسان نعمة عظيمة يسعى بهما إلى قضاء حوائجه لينال الأهداف البعيدة التى تتطلب حركة ومشياً لكن عليه أن يستخدم هذه النعمة فى طاعة الله ومعونة عباده. فقد يقطع المسافات الطويلة من أجل إعانة فقير وقضاء حاجة إنسان مؤمن ينفس عنه كربه. وقد يقطع الصحراء ليؤدى فريضة الحج التى أوجبها الله على القادرين من عباده، وقد يسعى برجليه للجهاد فى سبيل الله والدفاع عن حقوق عباد الله المؤمنين ضد الطغاة المغتصبين. كما يستطيع برجليه أن يعتدى على اعراض الناس وأموالهم ويفسد بين المتحابين منهم أو يقتل مسلماً من عباد الله الصالحين دون حق. فبهما يمكنه تحصيل الحسنات كما أن بهما يستطيع أن يكتسب المحرمات. والسعيد من الناس من تتحرك قدماه فى طاعة الله ورضوانه، ينظر مواطن الثواب فييمم وجهه نحوها، ويدرك مواطن الشر فيجنب قدميه عنها. والمؤمنون يعرفون أن هذه الأرجل ستشهد عليهم يوم الحساب إذا انحرفوا عن الخط الإسلامى السليم. قال تعالى: (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) [۲۹۳] . فهنيئاً لمن عرف مواقع أقدامه أين تقع فاختار لها طاعة الله وابتعد بها عن معاصى الله.

حق اليدين

(وأما حق يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك، فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة فى الآجل ومن الناس بلسان اللائمة فى العاجل ولا تقبضها مما افترض الله عليها ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يحل لها، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها، فإذا هى قد عقلت وشرفت فى العاجل ووجب لها حسن الثواب من الله فى الآجل...). وعرض الإمام (عليه السّلام) لليدين وما عليهما من حقوق، فمن حقهما أن لا يبسطهما فى ما حرمه الله تعالى. فمن امتدت يده إلى أموال الغير سمى عند الله والناس سارقاً ويترتب عليه آثار الفعل الشنيع فيقام عليه الحد فى تشريع الله وتأخذه أعين الناس بالازدراء والتصغير لأنه وسم بميسم السارق الوضيع. ومن امتدت يده إلى أجساد الغير اعتداءً منه واعتداداً بقوته يؤدب فى قانون الإسلام المثل بالمثل. وليس فى قانون الإسلام التسلط على الضعفاء فالكل سواسية أمام العدالة الإسلامية وصاحب الحق هو سيد الموقف فاليد يجب أن تكون فى إطارها المحدد لها وهذا ما بينه الإمام فى رسالته الخالدة، حيث يعاقب المعتدى من الله فى الآجل ومن الناس باللائمة فى العاجل، وهذه اليد جعل لها حقاً أن لا تبسط إلى ما لا

يحل لها ولا يجوز لها أن تقبض عن إعطاء الحق إلى أصحابه ولا تقوم بمساعدة المساكين وقضاء حاجة المحتاجين. اللهم ساعدنى لتكون يدى أمينة عفيفة فى الدنيا لا تهمل ما عليها من الواجبات لتنال شرف العاجل وثواب الآجل فى الدار الآخرة.

حق البطن

(وأما حق بطنك فأن لا تجعله وعاءً لقليل للحرام، ولا لكثير، وأن تقتصد له فى الحلال، ولا تخرجه من حد التقوية إلى حد التهوين، وذهاب المروءة، وضبطه إذا همَّ بالجوع والظمأ فإن الشبع المنتهى بصاحبه إلى التُخم مكسلة، ومثبطة، ومقطعة عن كل بر وكرم، وأن الرى المنتهى بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروة..) [۲۹۴] . يدلى الإمام (عليه السّلام) فى هذه الفقرات بحقوق البطن على الإنسان وهى عديدة منها: أ – أن لا نجعل البطن وعاءً للحرام فتتغذى بمال مغصوب حرام وما ينتج عن ذلك من مضاعفات سيئة مما يؤدى بنا إلى الانحراف عن الطريق القويم. ب – الاعتدال فى الأكل وعدم الإسراف فى تناول العديد من المآكل الدسمة والمتنوعة حتى الإصابة بالتخمة، فعلى المسلم الاقتصاد فى تناول الطعام الحلال، لأن التخمة تسبب الإصابة بالكسل والابتعاد عن البر والكرم؛ كما أنها تعطل جميع القوى العقلية، بالإضافة إلى ما تحدثه من أضرار صحية كالإصابة بضغط الدم والسمنة ومرض السكر وغير ذلك من الأمراض الأخرى. والإسلام لم يحرم الطيبات إذا كانت من باب الحلال بل يبيحها للمسلمين دون إفراط ولا تبذير. إن شهوة البطن إذا أرسل لها العنان فإنها تقود صاحبها إلى ارتكاب الموبقات وتفتح أمامه شهوة الجنس والشبق وهاتان الشهوتان الطعام والجنس يستتبعهما الرغبة فى تحصيل المال والبحث عنه بشتى الطرق دون الالتفات إلى الحرام منه أو الحلال. من هنا نستطيع أن نقدر حكمة الصوم التى بينها الإسلام على لسان الأئمة المعصومين. وندرك الأبعاد الحقيقية التى تجعل الصائم رقيق الشعور مرهف الحس تجاه الفقراء والمعوزين فيخفف عنهم آلامهم ويغدق عليهم من يده الكريمة لا يريد منهم لا جزاء ولا شكوراً. ثم إن المسلم لا يهتم بطعامه إلا ليقوى به على الحياة والعمل فى خدمة نفسه وخدمة عباد الله ونشر العدل والحكمة فى التوجه إلى الله تعالى. أما الملحد أو الكافر لا يهمه سوى بطنه وما يتغذى به من أشهى المأكولات. ولذلك نرى كيف ذم الله الكافرين وشبههم بالأنعام قال تعالى: (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) [۲۹۵] . والإسلام أحل للإنسان الكثير من الطيبات وحرم عليه الخبائث ووضع له حدوداً مرسومة لا يجوز له أن يتعداها. والذى حرمه الإسلام من الأطعمة والأشربة فإنما حرمه أما لخبثه أو لإفساده وإخلاله بالروح الإنسانية فأكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الخمر وأنواع المسكرات والمخدرات كلها من المحرمات التى تتقزز النفس منها لما تجر على صاحبها من الضرر والمهانة.

حق الفرج

(وأما حق فرجك فحفظه مما لا يحل لك، والاستعانة عليه بغض البصر، فإنه من أعوان الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدد لنفسك بالله، والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد، ولا حول ولا قوة إلا به...). الحياة الجنسية فى الإسلام تتركز على العفة والفضيلة، وصيانة النفس من اقتراف الزنا والفحشاء، والطرق التى يتوقى بها الإنسان من الانزلاق فى شهوات منكرة وتحجبه عن اقتراف مثل هذه الجرائم فهى كما أدلى بها الإمام (عليه السّلام): أ – غض البصر عن المحارم لأن النظر هو العامل الأول للوقوع فى الحرام، وقد عبروا عنه فى بعض الأخبار بزنى العين. ب – الإكثار من ذكر الموت، ذلك أنه يزهد الإنسان فى طلب الملذات ويطفئ من جذوته حب الشهوات، كما أن ذكر الموت يقضى على هيجان الشهوة الجنسية. ج – التخويف من عقاب الله العظيم فإنه من عوامل القضاء على جريمة الزنا. والإسلام لا يريد القضاء على الشهوة الجنسية لأن ذلك يفوت الكثير من المنافع التى لا يمكن تحقيقها بدونها فإذا ماتت غريزة الجنس فى الإنسان انقرضت السلالة البشرية وانعدم الوجود الإنسانى وانتهى دور الإنسان كخليفة الله على الأرض عمارة ورقياً وحضارة. لكن الإسلام يعمد إلى تهذيب هذه الشهوة وضبطها وردها إلى حد الاعتدال إذا أرادت الخروج عما وضعت من أجله، وقد

تبلغ ذروتها فى سن المراهقة. إن العلاقة غير الشرعية بين الرجل والمرأة منعها الإسلام وعاقب عليها كما حاربت هذه العلاقة كل الأديان وعدتها من أكبر الخطايا وأعظمها لما فى هذا التعدى من ظلم وما له من انعكاسات سيئة على الفرد وعلى المجتمع. الزنا جريمة شرعية وأخلاقية وانحراف عن السنن الطبيعية والآداب الاجتماعية. ولذلك نهى الله تعالى عن الاقتراب من هذه الفاحشة ويحرمها على المؤمنين قال تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) [۲۹۶] وقال تعالى أيضاً: (الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) [۲۹۷] . ولما كان الزنى من المحرمات فقد فتح الإسلام أمام الإنسان سبيلاً شرعياً محبباً رغب فيه ودعا إليه المسلمين إلى ممارسته ألا وهو الزواج الشرعى الذى يلتقى الرجل والمرأة على أساسه وينشأ منه أسرة شرعية طاهرة وهذا أشرف حل جعله الإسلام من أجل القضاء على الرذيلة والانحراف. فالمسلم مطالب أمام الله وأمام الناس بحفظ فرجه عما لا يحل له وقد مدح الله الحافظين لفروجهم وقرنهم بالمسلمين المؤمنين والصادقين الصابرين والصائمين. قال تعالى: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصديقين والصديقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) [۲۹۸] . وبعد حقوق الجوارح باشر الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بحقوق الأفعال فشرحها وبين حدودها.

حقوق الأفعال

حق الصلاة

(فأما حق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى الله، وأنك قائم بها بين يدى الله، فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب، الراهب، الخائف، الراجى، المسكين، المتضرع، المعظم من كان بين يديه، بالسكون والإطراق وخشوع الأطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة له فى نفسه، والطلب إليه فى فكاك رقبتك التى أحاطت به خطيئتك، واستهلكتها ذنوبك ولا قوة إلا بالله..). هذه صورة الصلاة كما يريدها الله وكما يحب أن يكون عليها صاحبها، صورة العبد الكادح إلى ربه، الوافد عليه، صورة الإنسان الضعيف الصغير، يقف بين يدى الله العزيز الكبير. صورة توحى بعظمة البارى عز وجل فيها التوبة والإنابة والخضوع والخشوع. إنها لقاء الشوق والمحبة يعترف المصلى لخالق الكون بالربوبية والإلهية بكل أوصافها: العلم والقوة والرحمة والحكمة والعزة... الصلاة هى قربان كل تقى وعمود الدين ووجهة يعرج بها المسلم إلى الله ويسأل عنها يوم القيامة، فإن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها... والإمام زين العابدين (عليه السّلام) أعطانا لوحة جميلة فى التعليم والتوجيه، يريد أن يصلنا بالله ومن خلال هذه الصلة يعلمنا الأدب مع عزته وجلاله. فعلى المسلم أن يصلى بسكينة ووقار، خاشع الأطراف، حسن المناجاة، لا يشغل فكره بأى شأن من شؤون الدنيا، وعليه أن يسأل الله العلى القدير لينقذه من التبعات والخطيئات، وفك رقبته من النار، فعلى المصلى أن يكون راغباً فى ثواب الله، راهباً من عذابه، متضرعاً خاشعاً، خائفاً، فلا يترك لليأس مدخلاً إلى قلبه ولا يترك للرجاء أن يقف مانعاً عن التوجه إلى الله والازدياد من الأعمال الصالحة. فعلينا أن نؤدى صلاتنا بشروطها وآدابها وخشوعها وأن نؤديها بفاعليتها وروحانيتها وسموها لتكون هذه الصلوات محطات من أجل الوصول إلى رضا الله وطاعته.

حق الصوم

(وأما حق الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ليستركَ به من النار وهكذا جاء فى الحديث (الصوم جُنّة من النار) [۲۹۹] فإن سكنت أطرافك فى حجبها رجوت أن تكون محجوباً وإن أنت تركتها تضطرب فى حجابها وترفع جنبات الحجاب، فتطلع على ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقية لله، لم تأمن أن تخرق الحجاب،

وتخرج منه، ولا قوة إلا بالله..). الصوم هو من العبادات المهمة فى الإسلام، هو رياضة روحية يتجرد الإنسان فيه من كل شهوات الدنيا ليحلق فى أجواء من الصفاء والروحانية. تتجسد فى الصوم المساواة بين جميع المسلمين يجمعهم شهر رمضان المبارك ويوحد نفوسهم ومشاعرهم، وهو لا- يعنى الامتناع عن الطعام والشراب فحسب بل هناك وراء ذلك ما هو أعمق وأدق. فعلى الصائم أن يمسك لسانه عن الكذب وقول الباطل، ويمسك سمعه عن سماع الغيبة، وفرجه مما لا يحل له، وبطنه عن تناول الحرام، وبهذا يكون الصوم (جنة) من النار ومنجى من عذاب الله وعقابه. أما إذا تعدت هذه الجوارح والأعضاء وظائفها الشرعية وانحرفت عن خطها السوى فإنها توصل بصاحبها إلى ما لا تحمد عقباه.

حق الصدقة

(وأما حق الصدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك، ووديعتك التى لا تحتاج إلى الأشهاد، فإذا علمت ذلك، كنت بما استودعته سراً أوثق بما استودعته علانية، وكنت جديراً أن تكون أسررت إليه أمراً أعلنته وكان الأمر بينك وبينه فيها سراً على كل حال، ولم تستظهر عليه فيما استودعته منها بأشهاد الأسماع والأبصار عليه بها كأنها أوثق فى نفسك لا كأنك لا تثق به فى تأدية وديعتك إليه. ثم لم تمنن بها على أحد لأنها لك فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه لأن ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها ولو أردت نفسك بها لم تمتّن بها على أحد ولا قوة إلا بالله..). لقد رغب الإسلام بكل الصدقات والهبات والتبرعات والمسلم إذا عاش مع الناس بحاجاتهم وقضاياهم وتفاعل معهم عاطفياً وعملياً سوف يتحول إلى عنصر عطاء. والعطاء إذا خرج عن نفس طيبة يتحسس بآلام الناس وينفس عنهم كربتهم ويرفع عنهم عوزهم سوف يتحول العمل إلى عبادة تعادل الصلاة والصوم. لذلك أكد الإمام على الصدقة واعتبرها ذخراً عند الله للمتصدق وهو إنما يقدمها لنفسه، فإنه يجدها حاضرة يوم لا ينفع فيه لا مال ولا- بنون. كما أكد الإمام (عليه السّلام) على ضرورة إعطاء الصدقة فى السر، وأن تكون خالية من المن لأن ثوابها يعود على منفقها ولا- يضيع عند الله تعالى وهى لا- تحتاج إلى الأشهاد ولا- إلى الوثائق وكلما كانت سراً كانت أكثر ثواباً وأبعد عن الظهور والكبرياء، أما إذا أعطيت جهاراً وأمام الملأ- من الناس فإنها تخرج عن هدفها المحدد لها وهو التوجه نحو الله والتماس رضاه. قال تعالى: (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [٣٠٠] . ونظراً لأهمية الصدقة فى السر فقد كان الإمام (عليه السّلام) يعول مائة بيت فى يثرب، وهم لا يعلمون من هو الذى يعيلهم.

حق الهدى

(وأما حق الهدى فأن تخلص بها الإرادة إلى ربك والتعرض لرحمته وقبوله ولا تريد عيون الناظرين دونه، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفاً ولا متصنعاً وكنت إنما تقصد إلى الله واعلم أن الله يراد باليسير ولا يراد بالعسير كما أراد يخلقه التيسير، ولم يرد بهم التعسير، وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن [٣٠١] لأن الكلفة والمؤونة فى المتدهقنين، فأما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما، ولا مؤونة عليهما، لأنهما الخلقة، وهما موجودان فى الطبيعة ولا قوة إلا بالله...). الهدى من فريضة الحج تمتاز بطابعها السياسى العبادى وهو ما يذبحه حجاج بيت الله الحرام من الأنعام فى مكة أو فى منى وقد أكد الإمام (عليه السّلام) على أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى غير مشفوع بأى سبب آخر ومظاهر فاسدة كالرياء وطلب السمعة لأن الله تعالى يتقرب إليه باليسير من الأعمال لا بالعسير وبالتذلل لا بالتكبر. والحاج يهرق دماً ضحية تعبيراً عن تتويج تلك الأعمال العبادية المأمور بها بثورة دامية ينفذها المسلم إذا احتاج هذا الدين دماءً طاهرة من أجل الجهاد فى سبيل الله. والهدى يرمز إلى العطاء الكريم والفداء العظيم والمسلم على استعداد دائم لهذا العطاء والفداء.. يقدمه خالياً من كل الشوائب التى تفسد قبوله. ثم بيّن لنا الإمام قاعدة إسلامية هامة وهى اليسر استمدها من القرآن الكريم. قال تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر...) [٣٠٢] . ومن حقوق الأفعال تحدث (عليه السّلام) عن حقوق الأئمة.

حقوق الأئمة

حق الأئمة

(فأما حق سائسك بالسلطان فأن تعلم أنك جعلت له فتنة، وأنه ابتلى فيك، بما جعله الله له عليك من السلطان، وأن تخلص له فى النصيحة، وأن لا تماحكه [۳۰۳] وقد بسطت يده عليك فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه. وتذلل وتلطف لإعطائه الرضى ما يكفّه عنك ولا يضر بدينك وتستعين عليه فى ذلك بالله. ولا تعازه [۳۰۴] ولا تعانده فإنك إن فعلت ذلك عققته وعققت نفسك [۳۰۵] فعرضتها لمكروهه، وعرضته للهلكة فيك، وكنت خليقاً أن تكون معيناً له على نفسك، وشريكاً له فى ما أتى إليك، ولا قوة إلا بالله..). ومن الشؤون الدينية إلى الشؤون السياسية. ففى التشريع الإسلامى الحاكم هو الله جل جلاله، فهو الذى يملكنا تكويناً من أنه خلقنا وصورنا وأخرجنا إلى عالم الوجود. قال تعالى: (إن الحكم إلا لله) [۳۰۶] وقد اختار سبحانه رسلاً كراماً حملهم أمانة تبليغ الرسالة الإسلامية، فهم ينقلون إرادة الله وينفذون أوامره ونواهيه. لقد تولوا المهمتين: التبليغ والتنفيذ. فالرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قام بإبلاغ الناس بوحى الله المتجسد فى القرآن والسنة وكان الحاكم المطلق الذى نفذ هذه الأحكام فأعلن الحروب وفتح البلاد ونظم الجيش وحكم فى الحدود وهكذا كانت السلطة بيده ولا يجوز مخالفته. ولأنه كان يعلم أن الله سبحانه سيختاره إلى جواره كما اختار الأنبياء من قبله أبلغ الأمة عن الخليفة بعده وعينه باسمه وأشار إليه بأوصافه فكان الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) نص عليه صريحاً بأمر من الله فى حديث المنزلة وحديث الدار. قال تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم..) [۳۰۷] . وقد تأكد حديث تعيين الإمام على (عليه السّلام) فى حديث الغدير الذى بلغه النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للأمة فى حجة الوداع ثم تتابعت السلسلة الطاهرة من أهل البيت فكانوا اثنا عشر إماماً مع الإمام على (عليهم السّلام). آخرهم الإمام الحجة محمد ابن الحسن العسكرى الذى شاءت حكمة الله أن يغيب عن الأبصار وإن كان حاضراً فى الأمصار. وهناك شروط ومواصفات من اجتمعت فيه كان الحاكم الذى يقوم فى تدبير شؤون الأمة الإسلامية. وأهم هذه الشروط: ۱ - الإيمان: على الحاكم أن يكون مؤمناً يعتقد بالشريعة الإسلامية أصولاً وفروعاً، عقائداً وأحكاماً. ۲ - العدالة: فلا يترك واجباً ولا يرتكب حراماً دون عذر شرعى، لأن الفاسق يجعل نفسه حجة بأيدى الأشرار والفاسقين، وبهذا يطعن بالشريعة الإسلامية ويقتدى به أصحاب المصالح الشخصية. ۳ - العلم: على الحاكم فى الإسلام أن يكون أعلم الناس بالشريعة لأن وظيفته القيادية تحتم عليه حفظها وبيانها، وشرحها لا يكون إلا على أيدى العلماء الفقهاء. قال الإمام على (عليه السّلام): (ألا وإن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه). إن القيادة الشرعية الصالحة التى تهتم بشؤون المسلمين وتحافظ على كرامة الناس وعزتهم هى التى تقلب مفاهيم الناس وتحولهم إلى أعضاء صالحين يتمسكون بالفضيلة وينشدون الخير. فإن كان الحاكم ورعاً تقياً صالحاً عالماً انعكس ذلك على مجتمعه كله فتسود الفضيلة وينتشر العدل ويعم الرفاه. أما إذا كان غاضباً فاسداً فاسقاً منحرفاً انعكس ذلك على مجتمعه فانتشر الفساد وساد الظلم واضطربت أمور الناس. وما نراه اليوم من مظالم وما نعيشه من نكبات واستغلال واستعباد، كل ذلك نتيجة للانحراف عن الإسلام. والإمام زين العابدين (عليه السّلام) فى رسالته المباركة وضع الحاكم أمام واجبه ومسؤولياته ويضع المواطن أمام واجبه أيضاً فإذا أخطأ الحاكم الظالم عليك إرشاده بأيسر الطرق بحيث تخرج عن تبعة ما يلحقك من وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

حق المعلم

(وأما حق سائسك بالعلم فالتعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، والمعونة له على نفسك فى ما لا غنى بك عنه، بأن تُفرِّغ له عقلك، وتحضره فهمك، وتذكى له قلبك، وتجلى له بصرك، بترك اللذات ونقص الشهوات، وأن تعلم أنك فى ما ألقى إليك رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه إليهم، ولا تخنه فى تأدية رسالته، والقيام بها عنه إذا

تقلدتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله..). المعلم من أكرم رجال الأرض الذين ساهموا فى نشر العلم وفك عقال الجهل، إنه صانع الفكر والحضارة، ينير دروب السالكين للوصول إلى الحقيقة وشاطئ السلامة. لقد ارتفع عن الأنانية البغيضة ليفتح قلوب الآخرين المغلقة ويزرع فى نفوسهم حب الخير ونداء التقدم وثورة التحرير، يدفع طلابه نحو الأمجاد العظيمة فى كل مجالات العلم والأدب والأخلاق. وبالعلم والأخلاق قامت الحضارات الإنسانية. فله أياد بيضاء على الإنسانية عامة، وعلى المتعلم خاصة. وقد أشاد الإمام (عليه السّلام) بمكانة المعلم فأثبت له حقوقاً على المتعلم وجعله مسؤولاً عن رعايتها والقيام بها. وهذه الحقوق هى: ١ - احترام المعلم وتعظيمه وتقدير عطائه لما له من عظيم الفضل على المتعلمين فى تنوير طريقهم وإنقاذهم من ظلام الجهل وظلم الجاهلين. ٢ - توقير مجلسه واعتماد الحشمة والأدب فيه. ٣ - حسن الاستماع لمحاضراته والإقبال عليها بجدية واهتمام. ۴ - تفريغ العقل وتحضير الفهم وإذكاء القلب وإجلاء البصر ومن الطبيعى أن طالب العلم إذا لم يقبل على معلمه برغبة واهتمام فإنه لا يستفيد فى مدرسته أو جامعته. ۵ - ترك اللذات والابتعاد عن الشهوات لأنهما شرطان أساسيان فى تحصيل العلوم عامة، والدينية خاصة. فطالب اللذات لا يحصل غالباً على شىء من العلوم. ۶- على المتعلم أن ينشر جميع العلوم والمعارف التى تلقاها عن أستاذه لأن ذلك واجب شرعى عليه فى استمرار رسالة العلم ونشره بين جميع الناس. هذه الأصول التربوية التى دعا إليها الإمام تمثل التربية السليمة التى يجب على طلابنا اليوم الاقتداء بها لأنها تعاليم علمائنا الأبرار الذين قدموا للبشرية كل خير وصلاح وتعاليم الإسلام العظيم الذى دخل إلى القلب والروح فقلب الموازين وغير المفاهيم الجاهلية ونقل الناس من الظلام إلى النور فصاغهم صياغة ربانية خالصة.

حق المالك

(وأما حق سائسك بالملك فنحوٌ من سائسك بالسلطان إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك، تلزمك طاعته فى ما دق وجل منك إلا أن تخرجك من وجوب حق الله، ويحول بينك وبين حقه وحقوق الخلق، فإذا قضيته رجعت إلى حقه، فتشاغلت به، ولا قوة إلا بالله..). اهتم أهل البيت (عليهم السّلام) بالرق وعملوا كل ما لديهم على فك رقاب العبيد، ولو أنهم تولوا قيادة الأمة بعد النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مباشرة لقضوا على الرق بشتى صوره ولم يبق أى أثر له. والإمام زين العابدين (عليه السّلام) تمشياً مع خط الإسلام فى تحبيذ العتق أعتق الألوف من العبيد. قال سيد الأهل: (فهو يشترى العبيد لا لحاجة به إليهم ولكن ليعتقهم، وقالوا: إنه أعتق مائة ألف [۳۰۸] . لقد عمل الإمام (عليه السّلام) على إنقاذ الإنسان من العبودية وعامل الأرقاء كما يعامل أبناءه باللطف والرحمة واللين فلم يجعل الرق يحمل العبودية والذل، عملاً بقول جده أمير المؤمنين: (إن لم يكونوا إخوة لك فى الدين فهم أسوة لك فى الخلق). وقد تعرض الإمام (عليه السّلام) إلى حق المالك على رقه، فأوجب طاعته إلا أن يدعو مولاه إلى معصية الله فلا طاعة له.

حق الرعية

(فأما حقوق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنك إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم، فإنه إنما أحلهم محل الرعية لك ضعفهم، وذلهم، فما أولى من كفافه ضعفه وذله حتى صيره رعية، وصير حكمك عليه نافذاً، لا يمتنع منك بعزة ولا قوة، ولا يستنصر فى ما تعاظمه منك إلا بالله، بالرحمة والحياطة والأناة [۳۰۹] ، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضله هذه العزة والقوة التى قهرت بها، أن تكون لله شاكراً، ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ولا قوة إلا بالله..) [۳۱۰] . نظر الإمام (عليه السّلام) إلى الحكومات القائمة فى عصره فرأى الطواغيت والفراعنة وأنصاف الآلهة الذين توصلوا إلى كرسى الحكم بالقوة والقهر فقتلوا ونهبوا وأجرموا دون وازع من دين أو رادع من ضمير، لقد تجردوا من إنسانيتهم ولبسوا ثياب الذئاب الكاسرة وحكموا على أشلاء الناس وجماجم البشر فكان فرعون وهامان ويزيد وابن زياد والوليد والحجاج...واليوم فى عالمنا المعاصر يوجد أمثالهم ممن يسومون الناس بالذل والهوان ويحاسبونهم على التهمة والظن كل ذلك فى سبيل الحفاظ على عروشهم ومصالحهم. هؤلاء الطواغيت يدّعون الحكم باسم الإسلام،

والإسلام منهم برىء كل البراءة، إنهم عبء على الإسلام والمسلمين، تولوا عروشهم الدنيئة بمعونة أسيادهم المستعمرين، والإسلام لا يعترف بشرعية حكمهم ولا يسمح للشعب أن يتقيد بما يأمرون وينهون. على الحاكم فى الإسلام أن يكون كالأب الرحيم على رعيته يرعاهم ويتفقد شؤونهم ويعيش آمالهم وآلامهم، عليه أن يتمثل بوصية أمير المؤمنين لمالك الأشتر عندما ولاه على مصر. جاء فى الوصية: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ فى الدين أو نظير لك فى الخلق! تفرض منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك...). والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يوصى الحكام برعاية الشعوب والرحمة بها، والحياطة لشؤونها، والأناة فى التصرف فى أحوالها، وقد وضعهم وجهاً لوجه أمام الله كى يقوموا بأداء شكر هذه النعمة التى استطاعوا من خلالها أن ينفذوا حكم الله وإرادته ويجعلوا كلمته هى العليا.

حق المتعلمين

(وأما حق رعيتك بالعلم فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم فى ما آتاك من العلم، وولاك من خزانة الحكمة فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك، وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه فى عبده، الصابر المحتسب الذى إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التى فى يديه، كنت راشداً، وكنت لذلك آملاً معتقداً، وإلا كنت له خائناً ولخلقه ظالماً، ولسلبه عزه متعرضاً). حث الإسلام على العلم ودعا إليه وأمر بطلبه ولو كان فى أبعد البلاد وأقصاها. وقد رفع الله المؤمنين والمتعلمين درجات. قال تعالى: (...يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) [۳۱۱] . وعن أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال: (ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا). فنشر العلم أمر ضرورى وواجب على المعلمين وذلك حتى يقضى على الجهل وتمنع البدع وتستقيم الأمور فى الحياة. وكما أخذ الله على الجاهل أن يتعلم أخذ على العالم أن يبذل علمه. والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يوجه حديثه إلى المعلم فيقول له: إن الله سبحانه وتعالى بما أعطاك من العلم جعلك محط حاجة طلابه فإن أحسنت فيما توليت وقمت بما يدعوك إليه الواجب من نشر العلم وبذله للمتعلمين، فالله تعالى فيما رزق العلماء من العلم والحكمة، قد جعلهم خزنة عليها، فإن بذلوه إلى الناس فقد قاموا بواجبهم وأدوا رسالتهم وإلا كانوا خائنين وظالمين وتعرضوا لنقمة الله وسخطه.

حق المملوكة أو حق رعيتك بملك النكاح

(وأما حق رعيتك بملك النكاح فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً، وكذلك كل واحد منكم يجب أن يحمد الله على صاحبه ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله، ويكرمها ويرفق بها، وإن كان حقك عليها أغلظ، وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت، ما لم تكن معصية، فإن لها حق الرحمة، والمؤانسة، وموضع السكون إليها قضاء اللذة التى لا بد من قضائها، وذلك عظيم ولا قوة إلا بالله..). أوصى الإسلام بالزواج الشرعى وحدد مواصفات المرأة ومواصفات الرجل كى يستمر الزواج ويعطى ثماره التى يرغبها. ففى مقام الدعوة إليه قال تعالى: (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إِنْ يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم) [۳۱۲] . وقال تعالى أيضاً: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [۳۱۳] فالمراة سكن للرجل وهدوء وراحة ضمير من هنا قول الإمام زين العابدين (عليه السّلام): (فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية). وقال تعالى: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن). فالمرأة تستر عيوب الرجل وعوراته كما تسترها الثياب، وكما أن الإنسان يختار من الثياب المناسب واللائق به وهذه نعمة يجب على كل منهما أن يؤدى شكرها. يقول الإمام زين العابدين (عليه السّلام): (وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه ويعلم أن ذلك نعمة منه

علیه ووجب أن یحسن صحبة نعمة الله ویکرمها ویرفق بها..). هذه المعاشرة الحسنة تتجسد فی مسیرة المرأة المسلمة والرجل المسلم علی حد سواء ولکل منهما الأجر والفضل وعلی الزوجة أن تطیع زوجها وتحافظ علی شؤونه وما ملکت یداه ولا تعصی له أمراً إلا إذا کان فیه معصیة لله فعندما تسقط طاعته. (إذ لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق).

حق رعیتک بملک الیمین

(وأما حق رعیتک بملک الیمین فأن تعلم أنه خلق ربک ولحمک ودمک وأنک تملکه لا أنت صنعته دون الله، ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً، ولا أجریت له رزقاً، ولکن الله کفاک ذلک بمن سخره لک، وائتمنک علیه، واستودعک إیاه لتحفظه فیه، وتسیر فیه بسیرته فتطعمه مما تأکل، وتلبسه مما تلبس، ولا تکلفه مما لا یطیق، فإن کرهته خرجت إلی الله منه، واستبدلت به، ولم تعذب خلق الله، ولا قوة إلا ـ الله..). ملک الیمین هم العبید والإماء الذین تحت ید إخوانهم من بنی البشر، وقد جهد الإسلام منذ یومه الأول فی سبیل تحریرهم وإخراجهم من ذل الرق والعبودیة إلی عز الانطلاق والحریة. وهذا الإمام زین العابدین ما من سنة إلا وکان یعتق فیها فی آخر لیلة من شهر رمضان الکثیر من العبید. وهذه الوصیة منه (علیه السّلام) تمثل موقفاً رائعاً من مواقفه. لقد نظر الإمام (علیه السّلام) إلی المملوک نظرة رحیمة مستمدة من جوهر الإسلام وواقعه، فالمملوک کالحر هو من صنع الله، خلق له السمع والبصر، وأجری له الرزق کما صنع ذلک للحر، فلیس للمالک أن یتکبر علیه، أو یحمله فوق طاقته. ولیعلم المالک أن الله سبحانه سخره له وائتمنه علیه واستودعه إیاه فحق له أن یحفظ الأمانة والودیعه فلیطعمه مما یأکل ولیلبسه مما یلبس ولا یعذب خلق الله. وهذه لفتة کریمة من الإمام کی یعود المالک إلی ضمیره وعقله.

حقوق الرحم

اشاره

وفی استعراضه للحقوق وجه الإمام (علیه السّلام) نظرة صائبة نحو الأرحام وأدلی بحقوقهم.

حق الأم

(فحق أمک أن تعلم أنها حملتک، حیث لا یحمل أحداً أحداً، وأطعمتک من ثمرة قلبها ما لا یطعم أحد أحداً، وأنها وقتک بسمعها وبصرها، ویدها ورجلها وشعرها وبشرها، وجمیع جوارحها، مستبشرة بذلک، فرحة موبلة [۳۱۴] محتملة لما فیه مکروهها، وألمها، وثقلها وغمها حتی دفعتها عنک ید القدرة، وأخرجتک إلی الأرض، فرضیت أن تشبع وتجوع هی، وتکسوک وتعری، وترویک وتظمأ، وتظلک وتضحی وتنعمک لبؤسها، وتلذذک بالنوم بأرقها، وکان بطنها لک وعاء وحجرها لک حواء [۳۱۵] . وثدیها لک سقاءً، ونفسها لک وقاءً، تباشر حر الدنیا وبردها لک ودونک، فتشکرها علی قدر ذلک، ولا تقدر علیه إلا بعون الله وتوفیقه..). الأم: هذه الکلمة العذبة، الطیبة التی تفیض عطفاً وحناناً، وحباً وإخلاصاً، وتضحیة وإیثار. وإنها تمثل العطاء بمدلوله الإسلامی الإنسانی فیها تتجسد کل معانی الخیر، ومن نفسها تقدم أعلی ما عندها راغبة فی العطاء، تقدم سعادتها وراحتها وقلبها ونفسها وکل ما تطاله یدها دون منٍّ ولا جزاء. حملت ولیدها وهناً علی وهن وأطعمته من ثمرة قلبها وروته من صدرها، فکانت تضعف لیقوی وتبذل لیشتد. لقد أشغلت سمعها وبصرها ویدها ورجلها وبشرها وجمیع جوارحها، کل ذلک قدمته راغبة لئلا یتأذی أو یتضرر ولیدها. وبعد الحمل والخروج إلی عالم النور لم تکتف الأم الحنون عن تقدیم عطایاها بل سلکت مسلک الإیثار بأجمل صوره وأجلها، فبذلت جمیع طاقاتها للحفاظ علیه والسهر علی راحته إلی أن یکبر ویأخذ طریقه فی الحیاة والإمام زین العابدین فی رسالته الکریمة شرح واقع الحال

عندها ودفع الولد إلى شكرها على ما قدمته من جميل وهذه كانت وصية الله فى كتابه الكريم. قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) [۳۱۶] . ما أعجز الإنسان عن أداء حقوق أمه، وإذا قدم لها جميع الخدمات والمبرات لما أدى أبسط شيء من حقوقها (فيا رضا الله ورضا الوالدين).

حق الأب

(وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك، وأنك فرعه، وأنك لولاه لم تكن فمهما رأيت فى نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله..). أولى الإسلام ركنا الأسرة اهتماماً كبيراً، وأما حق الأب على الولد فهو كبير أيضاً كحق الأم. فالأب يسعى فى تحصيل لقمة العيش له ولأسرته فيبذل جهداً كبيراً يتحمل مشقات كثيرة من أجل إسعاد أولاده. الأب يمثل الأصل والابن يمثل الفرع، ولا وجود للفرع دون الأصل لأنه السبب فى وجوده ونموه وازدهاره. وما نراه اليوم أن الفرع قد يطغى على الأصل، فيرى الابن نفسه أكبر من أبيه وأكثر فهماً وتطوراً فيتطاول على الوالدين وينال من كرامتهما ناسياً أنه من تربية أيديهما ونتاج فضلهما وثمرة لوجودهما. هذا النوع من الأبناء هو الإنسان عاق منحرف ابتعد عن الصواب وغفل عن وصية الله له التى تحث الأولاد على طاعة الوالدين واحترامهما. قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) [۳۱۷] . والإسلام دعا إلى تمتين روابط الرحم بين أفراد الأسرة الواحدة فالولد البار يقوم بأداء حق الوالدين ويطيعهما ويوفر لهما كل أسباب الرضا فلا يفحش فى الكلام لهم ولا يغلظ وإنما المعاملة بالعطف والرقة وخفض الجناح والكلام الطيب ولئن كانت الكلمة الطيبة صدقة فإنها فى حق الوالدين أكبر من الصدقة وأنبل. ورد فى أحكام القرآن لأبى بكر ابن عربى الأندلسى ج۲ ص۳۵، أن شيخاً قال أبياتاً يعتب فيها على ولده قرأها على النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهى: غذوتك مولوداً وقد كنت يافعاً تعل بما أحنى عليك وتنهل إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أتململ كأنى أنا المطروق دونك بالذى طرقت به دونى فعينى تهمل تخاف الردى نفسى عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل فلما بلغت السن والغاية التى إليك مدى ما فيك كنت أؤمل جعلت جزائى غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل فليتك إذ لم ترع حق أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل فلما سمع النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذه الأبيات قال للولد: (أنت ومالك لأبيك).

حق الولد

(وأما حق ولدك فتعلم أنه منك، ومضاف إليك، فى عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة على طاعته فيك وفى نفسه فمثاب على ذلك، ومعاقب، فاعمل فى أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه فى عاجل الدنيا المعذور إلى ربه فى ما بينه وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه ولا قوة إلا بالله..). الولد قطعة من الكبد بل هو الكبد كله. قال أمير المؤمنين فى وصيته لابنه الحسن (عليهما السّلام): (ووجدتك بعضى بل وجدتك كلى، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابنى وكأن الموت لو أتاك أتانى، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى) والولد هو امتداد لحياة أبيه، واستمرار لوجوده هو بعضه بل هو كله. من هذا المنطلق يبادر الأب إلى الحفاظ على أولاده فيقوم بإعالتهم من مأكل ومطعم وكساء. وهذا العمل هو جزء كبير من الواجبات المطلوبة من الوالد. ولم يقتصر واجبه عند هذا الحد من الواجبات المادية بل عليه واجب أكبر فى تربية أولاده تربية إسلامية فاضلة، فيغرس فى أعماقه النزعات الكريمة، ويعوده على العادات الحسنة ويجنبه الرذائل ويقيم له الأدلة على الخالق العظيم الذى يملك كل شيء وبذلك يكون قد أدى واجبه نحو أسرته ونحو مجتمعه فالأسرة الصالحة لبنة فى بناء مجتمع صالح وإن أخفق فهو مسؤول أمام الله تعالى، ومعاقب على ذلك. والإمام زين العابدين يبين أن القضية ليست نتاج فحسب بل هى مسؤولية وحساب فالولد يعيد وجود

أبيه فإن كان صالحاً براً تقياً نسب إلى أبيه، وإن كان شقياً طالحاً نسب أليه أيضاً فالإمام (عليه السّلام) يستثير فى الوالد مكامن العز ويحرك فى نفسه حب الاستمرارية فى الحياة فإن أحسن تربيته يكون قد حقق لنفسه السمعة الطيبة والأحدوثة الحسنة، من هنا كان القول المأثور: (الولد سر أبيه).

حق الأخ

(وأما حق أخيك فتعلم أنه يدك التى تبسطها، وظهرك الذى تلتجئ إليه، وعزك الذى تعتمد عليه، وقوتك التى تصول بها فلا تتخذه سلاحاً على معصيته، ولا عدة للظلم بحق الله [۳۱۸] ، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوه، والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه فى الله، فإن انقاد لربه وأحسن الإجابة له، وإلا فليكن الله آثر عندك [۳۱۹] ، وأكرم عليك منه..). الإسلام كدين إنسانى اجتماعى جاء ليشد أواصر القربى ويقوى العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، فشرع قانون الأخوة الإسلامية، الأخوة فى الله، فمهما تباعدت البلاد ونأت الديار نجد المسلم العربى يفرح للقاء أخيه الهندى أو الإيرانى أو المصرى أو السورى أو العراقى أو الجزائرى... أو أى أخ من بلد عربى مسلم آخر. وذلك تحت ظلال الأخوة الإسلامية (وإنما المؤمنون إخوة). هذه الأخوة تتوثق أكثر إذا انضمت إليها أخوة النسب فإنهما تتآلفان وتتساندان فى طريق الحق والإيمان، لكن أخوة النسب لا يقيم لها الإسلام وزناً إذا لم تكن ضمن الخط الإسلامى وفى طريق تقوى الله. والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يلقيننا درساً من دروس الإسلام فى التربية الاجتماعية فبلغت أنظارنا أن الأخ يد لأخيه وعز ومنعة وقوة له، هو سنده فى الملمات وشريكه فى السراء والضراء وله من الحقوق مايلى: ۱ – أن لا يتخذه سلاحاً على المعاصى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ولا يستعين به على ظلم الناس والاعتداء عليهم بغير حق. ۲ – أن يرشده إلى سبل الخير ويهديه إلى طريق الرشاد. ۳ – أن يعينه على (الوسواس الخناس) ويحذره منه، ويخوفه من عقاب الله تعالى، يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا ما أتى الله بقلب سليم. ۴ – أن ينصحه فى أمور آخرته ودنياه، فإن أطاعه وانقاد للحق فذاك، وإلا فليعرض عنه، ولا يتصل به لأنه عصى الله وليكن سبحانه وتعالى أكرم عليك منه وآثر لديك.

الحقوق العامة

حق المنعم عليك بالولاء

(وأما حق المنعم عليك بالولاء فتعلم أنه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذل حق الرق ووحشته إلى عز الحرية وأنسها، وأطلقك من أسر الملكة وفك عنك حلق العبودية، وأوجدك رائحة العز، وأخرجك من سجن القهر، ودفع عنك العسر، وبسط لك لسان الإنصاف، وأباحك الدنيا، فملكك نفسك، وحل أسرك، وفرغك لعبادة ربك، واحتمل بذلك التقصير فى ماله، فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولى رحمك فى حياتك وموتك، وأحق الخلق بنصرك ومعونتك ومكافأتك فى ذات الله فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك). كان الرق سائداً فى المجتمع الجاهلى ولما جاء الإسلام عمد إلى ترغيب الناس فى تحرير العبيد وتخليصهم من نير الاستعباد، وقد شجع النبى الأكرم والأئمة الأطهار من بعده على تحرير الرقيق بشتى صوره وأشكاله. فتسابقوا جميعهم (عليهم السّلام) إلى عتق العبيد فالإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) أعتق ألف مملوك من كد يمينه وعرق جبينه، وحفيده الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كانت إحدى خصائصه عتقه للعبيد حيث كان يشتريهم ويقوم بتعليمهم وتهذيبهم ثم يحررهم لوجه الله، فكان العبد عنده لا يستقر أكثر من ستة أشهر إلى سنة. إن هذا التصرف العظيم ينطلق من قاعدة أساسية وهى إرادة الحرية لجميع الناس وينسجم مع نظرة الإسلام إلى كون الناس أحراراً والرق حالة طارئة يجب أن تزول، وقد جعل تحرير العبيد كفارة لبعض الذنوب. فعلى الإنسان

الـذى عادت إليه حريته أن يشـعر بهذه النعمة الكبيرة التى تمت على يد هذا المنعم الذى أطلق سـراحه وأعتق رقبته. وليعلم أن تحريره نعمـة تفرض عليه الشـعور بـأن هـذا المنعم هـو أولى النـاس به بعـد أهله وأرحـامه فى حيـاته وموته، لأـنه أطلقـك من سـجن العبودية وملككك نفسك وفرغك بعبادة ربك واحتمل ذلك التقصير فى ماله لذلك لا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك.

حق المولى

(وأما حق مولاك، الجارية عليه نعمتك، فأن تعلم أن الله جعلك حامية عليه، وواقية وناصـراً، ومعقلاً، وجعله لك وسـيلة، وسبباً بينك وبينه، فـالحرى أن يحجبك عن النار فيكون فى ذلك ثواب منه فى الآجل ويحكم لك بميراثه فى العاجل إذا لم يكن له رحم مكافأة لمـا أنفقته من مالـك عليه وقمت به من حقه بعـد إنفاق مالك، فإن لم تخفه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه، ولا قوة إلا بالله..). دعـا الإمـام (عليه السّـلام) المسـلمين إلى مراعـاة حقـوق أرقـائهم فـإن الله قـد جعلهم عليهم وكلاء، فاللازم عليهم مراعـاة حقـوقهم، ومعـاملتهم معاملـة كريمـة، والإحسـان إليهم بكـل مـا يمكن إحسـانه، فـإن فعلوا ذلـك وقـاموا به فإن الله يجازيهم على ذلك ويجعل إحسانهم إليهم وقاية لهم من النار فى الآخرة لما يحققونه من أجر وثواب.

حق صاحب المعروف

(وأما حق ذى المعروف عليك، فأن تشـكره وتـذكر معروفه وتنتشـر له المقاله الحسـنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سـبحانه، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قـد شـكرته سـراً وعلانيـة. ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته وإلا كنت مرصـداً له موطناً نفسك عليها..) [۳۲۰] . فاعـل المعروف رجل خيّر طابت نفسه وسـخت كفه حتى أصـبح فعل الخير سـجية من سـجاياه، يبادر إلى فعله عنـدما يعلم به دون سؤال ولا التماس طلب. يقوم بعمله هـذا وهو يشـعر بلـذة وارتياح نفسـى. وحسن هذا المعروف أن يبقى طى الكتمان لا يعرف به إلا صاحبه أما إذا أراد صاحب المعروف أن يكسب شـهرة بمعروفه طمعاً بتحقيق مصالح شخصية ومآرب خاصة فإنه لا يستحق المدح ولاـ الثناء ويـذهب معروفه باطلاً مهما كان كبيراً. قال تعالى: (يا أيها الـذين آمنوا لا تبطلوا صـدقاتكم بالمن والأذى كالـذى ينفق ماله رئاءَ الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صنوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شىء مما كسبوا) [۳۲۱] . أما إذا كانت نفوس أهل الخير طاهرة تريد الخير لوجه الله تعالى فعلى المحسن إليه تقديم الشـكر لهم ونشره بين أفراد المجتمع حتى يتسابق أهل الخير إلى الخيرات فيما بينهم. ثم من واجب المحسن إليه أيضاً المبادرة بالدعاء إلى من أحسن إليه اعترافاً منه بالجميل ثم يترقب الفرص المناسبة ليرد لهم إحسانهم وجميلهم عند استطاعته.

حق المؤذن

(وأما حق المؤذن فأن تعلم أنه مـذكرك بربك، وداعيك إلى حظك، وأفضل أعوانك على قضاء الفريضـة التى افترضـها الله عليك، فتشـكره على ذلـك شـكرك للمحسن إليـك وإن كنت فى بيتك متهماً لـذلك، لم تكن لله متهماً فى أمره، وعلمت أنه نعمـة من الله عليك، لا شك فيها فأحسن صـحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال، ولا قوة إلا بالله..). الله أكبر.. نشـيد من أناشيد السماء يرتله المؤمنون على هـذه الأـرض المباركـة فينعش قلوبهم المفعمـة بالإيمـان ويحرك فيها الصـلة بالله تعالى. بهـذا النشـيد الربانى تحطمت عروش السـلاطين الظالمين وزالت دول الجبارين الفاسـدين إلى غير رجعة. بهـذا النشـيد السـماوى نشط المجاهدون الأبطال وأحرزوا الانتصـارات البـاهرة، وفتحوا الفتوحـات الزاهرة، وأرشـدوا الناس إلى الحياة الحرة الكريمـة. (أشـهد أن لا إله إلا الله) شـهادة وجـدانية تتجسد فى رفض كل الآلهة البشـرية ما عدا الله الواحد الأحد وله الحكم والمحيى والمميت. وأشهد أن محمداً رسول الله: شهادة إقرار أن محمـداً رسول من الله المبلغ لكلامـه المتلقى منه الوحى والبيان. إنه المبلغ عن الله أحكامه ولا يجوز التوجه إليه عن الطرق الأخرى

المخالفة له. حى على الصلاة: الصلاة التى ترفع بالمصلى إلى أرقى درجات الكمال والفضيلة، وهى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وتبنى الإنسان ليعيش عزيزاً كريماً عظيماً. حى على الفلاح: يريد الله لعباده المؤمنين أن يتسلموا مقاليد الحياة ويقودوا العالم نحو الخير والصلاح. حى على خير العمل: تجعل المسلم يتفاعل مع أحكام الله وتشد عزيمته إلى المسيرة الحياتية الكريمة. والرافع لهذا النشيد السماوى هو المؤذن المذكر بالله تعالى والمحرك لهذا الإنسان نحو الصلاة فحق له أن يشكر ويحسن إليه.. هذه هى وصية الإمام (عليه السّلام) إلى المسلمين ليحسنوا إلى الذى يعلمهم بدخول وقت الصلاة وهى من أهم الفرائض الدينية فى الإسلام.

حق إمام الجماعة

(وأما حق إمامك فى صلاتك فأن تعلم أنه تقلد السفارة فى ما بينك وبين الله، والوفادة إلى ربك، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وطلب فيك ولم تطلب فيه، وكفاك هم المقام بين يدى الله، والمسألة له فيك، ولم تكفه ذلك، فإن كان فى شىء من ذلك تقصير كان به دونك، وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه، ولم يكن لك عليه فضل، فوقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته فتشكر له على ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله..). صلاة الجماعة فيها أجر كبير وسر دقيق وبالخصوص إذا كانت خلف إمام اكتملت فيه شروط الإمامة. وصلاة الجماعة لها دلائل عدة منها: المساواة بين المسلمين فلا يفضل شخص على آخر مهما كان مركزه وظروفه، فمن سبق إلى المكان يكون أحق به. وتدل أيضاً على وحدة المسلمين فى الكلمة والموقف، فالجميع ينضمون تحت لواء التوحيد لله والطاعة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما أنها تدل على حسن النظام فى الإسلام، فالصفوف كلها خلف إمام واحد ينوب عنهم فى قراءة الفاتحة والسورة ويبلغ مرادهم. والجميع يثقون بعدالته وتقواه والتزامه بمنهج الإسلام. ولإمام الجماعة فضل كبير على المؤمنين به، وذلك لما يترتب من الثواب الجزيل على الجماعة. وقد تضافرت الأخبار باستحباب صلاة الجماعة وأنه كلما ازداد عدد المصلين جماعة ازداد ثوابهم وتضاعف أجرهم. ومن المعلوم أن ما يظفر به المأموم من الثواب الجزيل إنما هو بسبب إمام الجماعة الذى تقلد السفارة فى ما بين المأموم وبين الله تعالى فهو مندوب عن المصلين يحمل أفكارهم ومشاعرهم بين يدى الله يخاطبه عنهم. وبذلك فقد تحمل الإمام عنهم أعباء القراءة فى حين أن المأموم لم ينب عنه بشىء. ولهذه الجهة وغيرها فحق له الشكر وهذا ما أشار إليه الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فى رسالته الكريمة هذه ذلك إن قصّر أثم هو دونك ولحقته جريرة ذنبه دونك فبصلاته وقى صلاتك وبنفسه وقى نفسك من النار فهو المسؤول والمحاسب عنك فحق له الشكر والثناء.

حق الجليس

(وأما حق الجليس فأن تلين له كنفك وتطيب له جانبك وتنصفه فى مجاراة اللفظ ولا تفرقه فى نزع اللحظ إذ لحظت وتقصد فى اللفظ إلى إفهامه إذا نطقت، وإن كنت الجليس إليه كنت فى القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار، ولا تقوم إلا بإذنه ولا قوة إلا بالله). راعى الإسلام جميع الآداب الاجتماعية ومنها أدب المجالس فمن أدب الجالسين أن يفسحوا للقادم إليهم مهما كان ضيق المكان ليشعروه بالتقدير والاحترام عملاً بقول الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم..) [۳۲۲] . ومن أدب الداخل إلى المجلس أن يجلس حيث يجد فراغاً ملائماً طبقاً لقول الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (إجلس حيث انتهى بك المجلس) ومن أدب الجالسين بعضهم مع بعض أن يشعروا أنفسهم باحترام بعضهم البعض فلا يتكلم أحدهم بخشن الكلام أو وهو غير ملتفت إلى مخاطبه أو بعبارات نابية. لأن المجالس فى الإسلام لها آدابها واحترامها، والإمام زين العابدين يتحفنا من هذه الآداب بما يلى: ۱ – أن يلين الجليس جانبه لجليسه ولا يتلفظ بكلام فيه غلظة وشدة تنفر منها الطباع. ۲ – أن يطيب له جانبه وذلك بتقديره وتكريمه. ۳ – أن ينصفه إذا خاض معه الحديث ولا يظهر الاستعلاء عليه. ۴ – أن لا يبالغ كثيراً فى أمره. ۵ – أن يقتصد بإفهامه عندما يوجه إليه الكلام. ۶– إذا جاء قبله فعليه الاستئذان منه إذا أراد القيام وإذا جاء بعده فهو بالخيار فى

المقام. قال الإمام (عليه السّلام): (وإن كنت الجليس إليه كنت فى القيام عنه بالخيار وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ولا تقوم إلا بإذنه). ما نلفت إليه أن هذه الآداب لو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لسادت المحبة والوئام فى ما بينهم وزالت الحزازات التى تفرق بينهم وتباعد بين جماعاتهم.

حق الجار

(وأما حق الجار فحفظه غائباً، وكرامته شاهداً، ونصرته ومعونته فى الحالين جميعاً، لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف، كنت لما علمت حصناً حصيناً، وستراً ستيراً، لو بحثت الألسنة عنه لم تتصل إليه لانطوائه عليك، لا تستمع إليه من حيث لا يعلم، لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمة. تقيل عثرته وتغفر زلته، ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلماً له، ترد عنه الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله..). اهتم الإسلام بالجار اهتماماً بالغاً وجعل له حقوقاً كثيرة تنطلق من حب التعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان. والله تعالى أوصى بالإحسان إلى الجار. قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب) [۳۲۳] . وقد تضافرت الأخبار عن أئمة الهدى (عليه السّلام) بالوصاية والعناية فى أمور الجار وذلك لإيجاد التضامن الاجتماعى بين المسلمين. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام): (وأوصانا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالجار حتى ظننا أنه سيورثه) وحتى لو كان الجار كافراً فرض له الإسلام حقوقاً. قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق وجار له حقان وجار له حق واحد. فأما الجار الذى له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب له حق الجوار، وحق القرابة وحق الإسلام. والجار الذى له حقان فهو الجار المسلم فله حق الإسلام وحق الجوار. والجار الذى له حق واحد، الكافر له حق الجوار. ولهذا يتوجه الإمام زين العابدين(عليه السّلام) فى رسالته ليلقى الأضواء الكاشفة على حقوق الجار. وهى: ۱ – أن يحفظ الجار جاره فى حال غيابه، فلا يستغل غيابه للنيل منه والاعتداء على كرامته. ۲ – أن يكرمه فى حال حضوره وينصره ويعينه فى حال غيابه. ۳ – أن لا يتتبع أى عورة أو منتقصة له ولا يبحث له عن سوءة وعليه أن يحفظ له حريمه ومعايبه وإن عرف بشىء من ذلك ستره ضمن أسراره. ۴ – أن لا يستمع لحديثه اختياراً بدون علمه ولا يجوز له أن يسترق السمع ليأخذ منه ما لا يرضى، لأن الإسلام يريد من الجار أن يمتنع عن كل ما يعكر صفو الود والوفاق ويلتقى المسلم مع المسلم بقلب طاهر ووجه باسم دون أن يكون هناك أى حذر يسىء الظن. لأن ذلك يفرق بين الناس والإسلام يدعو إلى الإلفة والتضامن ورص الصفوف. ۵ – ومن حق الجار أن لا يسلم جاره عندما تنزل به شدة أو تلم به مصيبة بل عليه أن يعينه بنفسه وماله وما ملكت يداه وإذا حصلت له نعمة فليفرح معه ولا يحسده عليها. ۶– الحلم عنه إذا بدرت منه بادرة سوء، وعدم مقابلته بالمثل. ۷ – صد من يشتمه أو يذكره بسوء. ۸– يعيش معه بترفع وإباء فيصفح عنه إذا زل أو أخطأ ويحلم عليه حتى يرجع إلى رشده، ولا يصدق أية وشاية أو كلمة سوء ممن يريد أن يلقى بينهما العداوة والبغضاء. لقد دعانا الإمام زين العابدين لنتمسك بتعاليم الدين الإسلامى العظيم وشريعته الكريمة حيث لا نجد دعوة فى العالم تتبنى ما تبناه الإسلام فى حق الجار ولا نظن أن هناك شريعة أعطت للجار من الحقوق ما أعطاه الإسلام.

حق الصاحب

(وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً وإلا فلا أقل من الإنصاف، وأن تكرمه كما يكرمك، ونحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فى ما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقك كافأته، ولا تقصر به عما يستحق من المودة تلزم نفسك نصيحته وحياطته، ومعاضدته على طاعة ربه ومعونته على نفسه فى ما لا يهم به من معصية ربه ثم تكون عليه رحمة، ولا تكون عليه عذاباً، ولا قوة إلا بالله..). ليست الصحبة فى الإسلام تعارفاً عابراً وجاذبياً بل لها حقوقها التى يجب مراعاتها على كل صاحب تجاه صاحبه.

فالصاحب يكتسب من صاحبه عاداته وأخلاقه، وتقاليده وأفكاره، وكما قال المثل: قل لى من تعاشر أقل لك من أنت. وقد أمر الإسلام باختيار الأصحاب الذين يقربونه من الله ويعينونه عند الضيق. وعلى الإنسان أن يتمهل فى اتخاذ الصديق كما عليه أن يتمهل فى تركه. قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): (لا تصحب إلا عاقلاً تقياً ولا تخالط إلا عالماً زكياً ولا تودع سرك إلا مؤمناً وفياً). وقد حدد الإمام زين العابدين حقوق الصاحب على صاحبه وهى: ١ - أن تكون المصاحبة على الفضل والمعروف وليس لغايات خاصة. ٢ - أن يحفظ كل منهما صاحبه فى حضوره وفى غيابه. ٣ - أن تقوم المصاحبة على المودة الصادقة والإخاء الصافى والمحبة الخالصة. ۴ - أن يقدم كل صاحب لصاحبه النصيحة ولا يقصر به عما يستحق من المساعدة. ۵ - أن يعضد كل منهما صاحبه على طاعة الله تعالى والتجنب عن معاصيه فيعينه فى دنياه وفى آخرته. ۶- أن تكون الصداقة نعمة ورحمة فلا يغير على صاحبك سلطة تسلمها أو مال حصل عليه.

حق الشريك

(وأما حق الشريك فإن غاب كفيته، وإن حضر ساويته، ولا تعزم على حكمك دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، وتنفى عنه خيانته فى ما عز وهان فإنه بلغنا إن يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوة إلا بالله). لقد أباح الإسلام الشركة فى العقود وعمل بها المسلمون وقد حدد الفقهاء شروطها وذكروا موانعها. واختيار الشريك أمر هام ذلك أن العاقل يعرف كيف يختار الشريك الأمين التقى، الورع الذى يخاف الله فإذا كان الشريك بهذه المواصفات من الأمانة والعفة والنزاهة عندئذٍ يأتى دور التربية الإسلامية التى تنبه الشريك كيف يجب أن يعامل شريكه. والإمام زين العابدين (عليه السّلام) تحدث عن صفات الشريك وواجباته تجاه الشريك الآخر منها: ١ - إذا غاب عليه أن يكفيه فى عمله وينوب عنه فى أداء حقه وإذا حضر معه عليه أن يساويه بنفسه فلا يتميزعنه. ٢ - فلا يمضى رأياً دون رأيه ولا ينفذ ما يريده دون علمه، بل عليه مشاورته وأخذ رأيه فيما يقدم عليه من عمل يكون مشتركاً بينهما حتى يتحمل مسؤولية كاملة نحو ماله. ٣ - على الشريك أن ينفى تهمة الخيانة عن شريكه فلا يتهمه بعد أن كان مصدر ثقة ولا يتصرف إلا ضمن موازين الشرع والحق. ذلك أن نفى الخيانة هى مرحلة مهمة للود والصفاء بين الشركاء. فالثقة أهم شرط فى دوام الشركة، وما نجده من الاختلاف بين الشركاء إنما كان فى أكثر الأحيان نتيجة عدم التكافؤ بين الشريكين، ففى حين يكون أحدهما مؤمناً يكون الآخر مستهتراً أو فاسقاً، أو أنه مستبد برأيه فلا يعطى لشريكه الفرصة للتعبير عن رأيه. ولو عمل الشركاء بنصائح الإمام زين العابدين (عليه السّلام) لما وقع الخلاف بينهم ولنجحوا فى شركتهم وحققوا هدفهم.

حق المال

(وأما حق المال فأن لا تأخذه إلا من حله، ولا تنفقه إلا فى حله، ولا تحرفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه، وسبباً إلى الله، ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمدك، وبالحرى أن لا يحسن خلافته فى تركتك ولا يعمل فيه بطاعة ربك، فتكون معيناً له على ذلك، وبما أحدث فى مالك، أحسن نظراً لنفسه فيعمل بطاعة ربه فيذهب بالغنيمة، وتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة، ولا قوة إلا بالله). لا يخفى ما للمال من دور هام فى ترفيه الإنسان وسعادته. هو وسيلة لقضاء حاجات الإنسان وليس هدفاً مقصوداً بذاته والإسلام لا يدعو الناس إلى الابتعاد عن لذات الحياة ولا يحارب المال، فالله جعله والبنين زينة حياة الإنسان. (المال والبنون زينة الحياة الدنيا). كما أنه يكره الفقر والمسكنة ويجعل اليد العليا خير من اليد السفلى التى تمتد لتأخذ. لكن المال سلاح ذو حدين ويعود نفعه أو ضرره لجهة استعماله. فصاحبه يمكن أن يسعد به ويمد الإنسانية بأروع المشاريع، كما يمكنه أن يحول هذا المال إلى سيف قاطع يحول سعادة الإنسان إلى شقاء ودمار. وما نراه اليوم من أكثر المتمولين الذين أمدهم الله بالمال، يحولون هذا المال إلى معصية الله، حيث يستعملونه فى سائر المحرمات كالخمر والقمار والربا وحفلات اللهو وغير ذلك من الأعمال المنكرة

التى مجها الإسلام وعاقب عليها. والإسلام يشجع على إنفاق المال فى سبيل الله، فيصرف على الفقراء والمحتاجين ويتصدق به على المعوزين من إخواننا المسلمين وغير المسلمين. وذلك عملاً بقول الله عز وجل: (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم...) [۳۲۴] . والذى ينفق المال بهذه الطريقة فى سبيل الله لا مناً ولا أذى يكسب رضا الله وتعود الفائدة عليه. قال تعالى: (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم..) [۳۲۵] . ولا يخفى أن صلة الناس بالمال والتصدق عليهم من أبرز مصاديق الإحسان الذى يتبرع به الإنسان به الإنسان على الفقراء، من هنا سأل سائل الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: إنا لنحب الدنيا ونحب أن نؤتاها. فقال الإمام (عليه السّلام): تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسى وعيالى وأصل بها وأحج وأعتمر. قال الإمام: ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة.. فإن صلة الناس بالمال والتصدق عليهم أبرز مصاديق الإحسان المحض الذى يتبرع به الإنسان على الفقراء والمحتاجين. والإسلام يريد أن يكون المال الذى يجنيه الإنسان من الطرق الشرعية المحللة، لذلك وضع طرقاً لاكتساب المال إذا تجاوزها الإنسان لم يكن المال شرعياً. من هنا يوضح الإمام زين العابدين (عليه السّلام) حيث يقول: (وأما حق هذا المال فأن لا نأخذه إلا من حله) ينفق فى الوسائل المحللة والمشاريع الخيرية التى يثاب عليها كإنشاء المستشفيات ومعاهد التعليم وتأسيس المكتبات العامة وما شابه ذلك من المشاريع التى تفيد كافة الناس. أما إذا جمعه صاحبه وادخره لورثته، فإن أنفقوه فى طاعة الله فقد كسبوا رضى الله دونه وذهبوا بالغنيمة وإن أنفقوا فى معصية الله فإثمه عليه لإعانته إياهم على المعاصى والحرام، وباء هو بالحسرة والخسران. من هنا قال الإمام زين العابدين (عليه السّلام): (ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمدك وبالحرى أن لا يحسن خلافته فى تركك ولا يعمل فيه بطاعة ربك فتكون معيناً له على ذلك..) [۳۲۶] .

حق الغريم

(وأما حق الغريم المطالب لك فإن كنت موسراً أوفيته وكفيته، ولم ترده، وتمطله، فإن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: (مطل الغنى ظلم) وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، وطلبت منه طلباً جميلاً، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً، ولم تجمع عليه ذهاب ماله، وسوء معاملته، فإن ذلك لؤم، ولا قوة إلا بالله..). جاء الإسلام ونظم كل ما يحتاجه الإنسان فى حياته الدنيا تنظيماً شاملاً ليكون جسر عبور سليم له إلى الآخرة. هذا التنظيم شمل جميع المعاملات واستوعب جميع ما يجرى فى الحياة من أبواب التجارة كالبيع والشراء، وأبواب الزراعة والجعالة، وأبواب الإجارة والسبق والرماية، وأبواب الشركة والمضاربة والوديعة، إلى آخر أبواب المعاملات. هذه المعاملات نظمها الإسلام حسب الأصول هادفاً منها تمتين العلاقات بين المسلمين وتوثيق الروابط الاجتماعية من هذه المعاملات كان القرض وهو من الأمور المستحبة التى نادى بها الإسلام بعد أن حرم الربا وكل ما يسلب الفقير ماله. والقرض قربة إلى الله تعالى يوطد الصلة بين الأخوة ويزرع المحبة فى قلوبهم لأنه يفك أسر المحتاج وينقذه من ضيق يضنيه ويغنيه عن أرباب المال المستغلين. والقارض أعطى للمستقرض فرصة واسعة حتى يؤدى دينه فلم يحصرة بأجل معين أو يضغط عليه فى الوفاء. بل عليه أن يرد المعروف لصاحبه ولا يسوف فى الأداء. أما إذا لم يتوفر مال القرض فعلى أربابه أن يراعوا أحوال المستقرض حتى تتيسر الأمور. قال تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة..) [۳۲۷] . وقد أشار الإمام زين العابدين أن على المستدين أن يتلطف إلى أرباب المال ويقابلهم بالكلمة الطيبة ويردهم رداً جميلاً (فإن كنت موسراً أوفيته وكفيته ولم ترده وتمطله) ثم يتابع الوجه الآخر: (وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول) إن لم ترضه بأداء الدين. وإذا لم يسلك الدائن هذا السبيل فإن ذلك لؤم.

حق الخليط

(وأما حق الخليط فأن لا تغره ولا تغشه ولا تكذبه ولا تغفله ولا تخدعه ولا تعمل فى انتقاصه عمل العدو الذى لا يبقى على صاحبه وإن اطمأن إليك استقصيت على نفسك وعلمت أن غبن المسترسل رباً، ولا قوة إلا بالله..). الخليط كالشريك والجليس وليس عابر

سبيل فعليك أن تحافظ عليه ولا تغشه عملاً بقول الرسول الأعظم (من غشنا فليس منا) فالغش لعامة الناس أمر سيء ومرذول فكيف به للخليط كما لا يجوز لك تكذيبه لأن ذلك يعد من الطعن فيه وعدم الثقة. ومن شروط المخالطة أن يكون الخليط قوى الإيمان، صادق اللهجة محباً للحق ملتزماً بأوامر الله تعالى؛ وإلا كان الخليط منحرفاً عن الحق سيئاً لا يقيم وزناً لدين أو إيمان، فالبعد عنه خير من الاقتران به، لأن من يكون مسلكه كذلك فإنه يضل صاحبه ويحرفه عن جادة الاستقامة والقرآن الكريم للذين يتخذون خليلاً غير صالح. قال تعالى: (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلنى الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً) [۳۲۸] . والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يحذرنا من اتخاذ المغفل والمخادع خليلاً ـ ويطلب إلينا أن لا نعيبه ولا ننقصه لأن ذلك ليس من فعل الخلطاء بل هو من فعل الأعداء، لأن العدو هو الذى يتحين الفرص للنيل من عدوه.

حق الخصم

(وأما حق الخصم المدعى عليك فإن كان ما يدعيه عليك حقاً لم تتفسخ فى حجته ولم تعمل فى إبطال دعوته وكنت خصم نفسك له والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود فإن ذلك حق الله عليك وإن كان ما يدعيه باطلاً رفقت به وردعته وناشدته بدينه وكسرت حدته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغطه الذى لا يرد عنك عادية عدوك بل تبوء بإثمه وبه يشحد عليك سيف عداوته لأن لفظة السوء تبعث الشر والخير مقمعة للشر ولا حول ولا قوة إلا بالله..). النظم الإسلامية من أرقى ما جاءت به الشرائع فى العالم فأين هى القوانين الوضعية المنحرفة من القوانين الإلهية المنزهة؟ وقد تعرّض الأئمة الصالحين والفقهاء العالمين للقضاء فحللوا مسائله وحددوا مواصفات القاضى وآدابه وبينوا المنهج الذى يكون عليه القضاء. والإمام زين العابدين يريد فى رسالته هذه أن يدخل إلى أعماق النفس ليحررها من الشذوذ ويعود بها إلى طاعة الله ورسوله. فيذكر الإنسان الذى أقيمت عليه الدعوة. فإن كانت صادقة من صاحبها فعليه أن لا يبطلها ويبطل الحق الذى تعلق بها، فيرده إلى أهله. كما عليه أن يحاسب نفسه فى هذا الموقع فيخاصمها إن جنحت به عن الحق فيحكم بالحق دون أن ينظر إلى الشهداء كى يدلوا بشهاداتهم عليه، لأن ذلك هو حق الله ولا يجوز للمسلم أن ينقض حقاً من حقوق الله. أما إذا أراد أن يأخذ أموال الناس بالباطل من خلال فصاحة لسانه فإنه سيحاسب على فعله الشنيع ويعاقب على تصرفه الضال. ذلك أن كل حق يأخذه من الناس فى غير موضعه إنما هو قطعة من النار تحرقه يوم القيامة. إن من يأكل أموال الناس بالباطل إنما يجنى على نفسه لأنه سوف يقف أمام حاكم عادل لا يحتاج إلى بينة أو شهود، لأنه يعلم ما فى السرائر وما تكنه الصدور أما إذا كانت الدعوى الموجهة ضدك باطلة فالإسلام يأمر أن يرده بالرفق والموعظة الحسنة التى ترده إلى دينه وتحرك فيه إيمانه الذى يربطه بخالقه، ولا يجب أن نستعمل اللغط واللجاج لأن ذلك لا ينفع ولا يقطع الدعوى من مجاريها بل ربما يجنى على الشريف الشر والغم.

حق المدعى عليه

(وأما حق الخصم المدعى عليه، فإن كان ما تدعيه حقاً أجملت فى مقاولته بمخرج الدعوى، فإن للدعوى غلظة فى سمع المدعى عليه، وقصدت قصد حجتك بالرفق وأمهل المهلة وأبين البيان وألطف اللطف ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال فتذهب عنك حجتك ولا يكون لك فى ذلك درك، ولا قوة إلا بالله..). لقد شدد الإسلام على منع الترافع إلى الظلمة الذين انحرفوا عن العدل والحق وسلكوا طرقاً فاسدة يتبرأ منها الدين. وعن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه حكماً بينكم فإنى قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه). والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يعطينا درساً مفيداً فى كيفية الترافع وكيف نقدم حجتنا. فإذا كان المدعى عليحق فى دعواه، فأوصاه أن يتجنب

الكلمات النابية مع خصمه، بل يقابله بالبيان الواضح والحجة الظاهرة والكلمة الطيبة، كما عليه تجنب القيل والقال لأنهما لا يجديان شيئاً، ولا يرجعان حقاً بل ربما يذهب ذلك بالحق ويضيع ويخرج عن الهدف الرئيسى الذى من أجله كانت الدعوة.

حق المستشير

(وأما حق المستشير فإن حضرك له وجه رأى جهدت له فى النصيحة وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به وذلك ليكن منك فى رحمة ولين فإن اللين يؤنس الوحشة وإن الغلظ يوحش موضع الأنس. وإن لم يحضرك له رأى، وعرفت له من يثق برأيه، وترضى به لنفسك دللته عليه، وأرشدته إليه فكنت لم تأله [۳۲۹] خيراً ولم تدخره نصحاً ولا حول ولا قوة إلا بالله..). ورد عن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعن الأئمة المعصومين الحث على الاستشارة وعدم الاستقلالية فى الرأى. فعلى المستشير أن يقف على عقول الآخرين ليدرك وجوه الحسن والقبح فيها. ورد عن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (ما ندم من استشار ولا خاب من استخار). وقال الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام): (من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها فى عقولها). فالاستشارة يجب أن تكون من رجل اجتمعت فيه شروط أهلته لذلك أولها وأهمها: العقل، يعقل الأمور ويحلها بروية بعيداً عن الميل والهوى. والشرط الثانى: الالتزام الدينى، أن يكون ملتزماً إسلامياً، ورعاً تقياً حتى لا يقوده انحرافه إلى مخالفة الحق والصواب. والشرط الثالث: المعرفة والخبرة. فإذا اجتمعت فيه هذه الشروط حق له أن يستشار وحق للناس أن يسمعوا له. أما إذا فقدت هذه الشروط فإن الاستشارة قد تسبب الضرر. والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يطلب من المستشير على المشير أن يؤدى نصيحته له بلطف ولين لا شدة فيه، لأن الشدة تنفر منها الطباع وتستوحش منها القلوب، وإن عرف من يثق برأيه فليدله عليه، ويرشده له وبهذا يكون قد أدى واجبه اتجاهه وأسدى إليه خيراً ومعروفاً.

حق المشير

(وأما حق المشير عليك فلا تتهمه فيما لا يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك فإنما هى الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم فكن عليه فى رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه، فأما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة ولا تدع شكره على ما بدا لك من أشخاص رأيه وحسن وجه مشورته، فإذا وافقك حمدت الله، وقبلت ذلك من أخيك بالشكر، والإرصاد بالمكافأة فى مثلها إن فزع إليك، ولا قوة إلا بالله..). من الآداب الإسلامية التى يعلمها الإسلام لاتباعه، أدب المشاورة والوقوف على آراء الآخرين فى القضايا التى يبغى حلها، فالإسلام فى الوقت الذى يجعل للإنسان الاستقلالية فى الرأى والاعتدال بالنفس يأمره أن يقرن رأيه برأى غيره ثم يوازن بين كل هذه الآراء ليرى وجه الصواب. والعاقل يختار أسلم الطرق وأنفعها وهذا ما يحصل عند الذين يملكون التجارب فى الحياة والممارسة فى حل مشاكل الناس عامة. أما حق المشير على المستشير فلا يتهمه فى رأيه ولا يزهد فى نصيحته وإذا اتهمه فى رأيه فإنه غير ملزم بالأخذ به وإذا تطابق الرأيان فيجب أن يحمد الله ويقبل رأيه مقروناً بالشكر، كما عليه أن يرد هذا الموقف بموقف مماثل له فتشير عليه إذا فزع إليك.

حق المستنصح

(وأما حق المستنصح فإن حقه أن تؤدى إليه النصيحة على الحق الذى ترى له أنه يحمل، ويخرج المخرج الذى يلين على مسامعه، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله، فإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه، وليكن مذهبك الرحمة، ولا قوة إلا بالله..). يريد الإمام زين العابدين أن يعطى درساً للمستنصح كيف يكون الأسلوب الذى تصاغ به النصيحة؟ وكيف يكون الحديث؟ فيطلب إلينا أن نقابل المستنصح بمر الحق والصراحة القاسية إذا لزم الأمر ولا نسايره بما يتفق مع حاجاته ورغباته وكل شخص وله أسلوبه الذى يجب

أن نتعامل معه، فالعالم له أسلوبه الخاص به والجاهل له أسلوبه والعامل له أسلوبه والأمي له أسلوبه والأستاذ له أسلوبه والتلميذ له أسلوبه فكل واحد من هؤلاء له خطابه الخاص يخاطب به. ثم إن من حق طالب النصيحة أن تؤدى إليه بما يستطيع حمله وتقبله. وكما قال الرسول الأعظم: خاطبوا الناس على قدر عقولهم. والنصيحة يجب أن تقدم بأسلوب مرن وسلس لئلا يشق على المستنصح ذلك فيرفض النصيحة. وكم من نصيحة رفضت لأنها لم تستوف شروطها الموضوعية وكم من رجل صالح مخلص أصيب بخيبة أمل فى رد النصائح التى أسدى بها إلى الآخرين وذلك لقساوته وعدم دراسته لحالة الطرف الآخر فتذهب عندها نصيحته أدراج الرياح.

حق الناصح

(وأما حق الناصح فأن تلين له جناحك، ثم تشرئب له قلبك [۳۳۰] ، وتفتح له سمعك، حتى تفهم عنه نصيحته، ثم تنظر فيها، فإن وفق فيها للصواب حمدت الله على ذلك وقبلت منه، وعرفت له نصيحته، وإن لم يكن وفق لها فيها رحمته، ولم تتهمه، وعلمت أنه لم يألك نصحاً إلا أنه أخطأ إلا أن يكون عندك مستحقاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على كل حال. ولا قوة إلا بالله..). الناصح هو إنسان حكيم صقلت فكره التجارب وأكسبته الأيام خبرة واسعة أما لتجربة قام بها بنفسه أو لخبرة اكتسبها من ناصحين مخلصين. فمن حقه على السامع أن يصغى إليه لأنه يحمل له الإخلاص ويلقنه لباب الود الذى فيه نجابة. ومن حق الناصح أيضاً على المستنصح أن يكون معه لين الجانب متواضعاً، فيتوجه إليه بقلب متفتح يستمع الحديث ويحلله بوعى ودقة فلا يحوج الناصح إلى الإعادة والتكرار. وبعد الاستماع الجيد بالسمع والقلب ينظر فيما يعرض عليه من النصيحة فيقومها بإمعان ويحللها بموضوعية، فإن رأى وجه الصواب قد اكتمل فيه معالم الصحة فذلك توفيق من الله تعالى، يجب أن يحمده عليه ويقبله منه ثم يقبل النصيحة ويحفظها. وأما إذا عرضها على نفسه وحللها ولم يجدها موافقة للصواب فإن كان ممن يتهم عنه أما لدينه أو أمانته وإخلاصه له فيجب عندها أن يرحمه ويستر عليه، ذلك أنه لم يقصر اتجاهك وإنما قد أخطأ عن غير عمد ففسر الأمر تفسيراً مخالفاً للواقع. أما إذا كان متهماً عندك لأنه لم يستقص كل جوانب الموضوع أو أنه لا يريد لك الخير والفلاح فعليك أن تهمله ولا تعبأ بشيء من أمره بل تكله إلى الله فهو الذى يتولى الحساب.

حق الكبير

(وأما حق الكبير فإن حقه توقير سنه، وإجلال إسلامه. إذا كان من أهل الفضل فى الإسلام بتقديمه فيه، وترك مقابلته عند الخصام ولا تسبقه إلى طريق، ولا تؤمه فى طريق [۳۳۱] ولا تستجهله، وإن جهل عليك تحملت وأكرمته بحق إسلامه مع سنه، فإنما هى حق السن بقدر الإسلام، ولا قوة إلا بالله..). لقد سن الإسلام آداباً اجتماعية رائعة لا تقاس ولا من أى وجه بالآداب التى أفرزتها الحضارة المادية. وذلك من أجل بناء مجتمع أصيل تسود فيه المحبة والاحترام والتقدير فاحترام الشيخ الكبير واجب احترامه إذا كان من أهل الفضل والسابقة فى الإسلام. أما مظاهر تكريمه فقد عرضها علينا الإمام (عليه السّلام) وهى: ۱ - ترك مقابلته عند الخصام وفى المسائل التى توجب الجدل. ۲ - إذا سار معه فى طريق فلا يسبقه أو يتقدم عليه. ۳ - إذا خفى على الشيخ بعض المسائل فلا يظهر جهله فيها. ۴ - وإذا اعتدى عليه الشيخ فليتحمله ويكرمه من أجل إسلامه وكبر سنه. هذه الآداب التى دعا إليها الإسلام ونفذها أئمة الهدى (عليهم السّلام) توطد العلاقات الاجتماعية بين الناس وتصفى قلوبهم وتطهر نفوسهم، إنها آداب إنسانية يمدح فاعلها فى الدنيا ويؤجر ويثاب فى الآخرة.

حق الصغير

(وأما حق الصغير فرحمته، وتثقيفه، وتعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائر حداثته، فإنها سبب

للتوبة والمداراة له، وترك مماحكته فإن ذلك أدنى لرشده..) [۳۳۲] . الطفولة صورة ملائكية فى الطهارة والبراءة وقد تظهر فى عينيه الصافيتين وفى حركاته العفوية وفى جوارحه الناصعة؛ وفى كلماته البيضاء. والطفل كالعجين بين يدى مربيه يستطيعان صوغه رجلاً صالحاً عظيماً وبعيداً عن كل سوء وغش، رجلاً عقائدياً يؤثر الحق ويدافع عنه فى كل آن. أما إذا أهمل الوالدان تربية ولدهما فسوف تسود الصفحة البيضاء وتتحول القوة الإيجابية إلى قوة سلبية تخرب وتهدم وتعتدى على الآخرين بغير حق. قال سيد البلغاء والحكماء أمير المؤمنين فى وصيته لولده الحسن (عليهما السّلام): (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شىء إلا قبلته). والإسلام يعتبر الطفل أمانة بين يدى والديه كما يعتبره أمانة فى يد المجتمع المتمثل بالشارع والمدرسة والجامعة فعلى هذه العناصر جميعاً رحمة هذا الطفل الطرى العود وقد أعلن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) حقوق الصغير على الكبير التى تعد من ركائز التربية الإسلامية وهى: ۱ - رحمة الصغير والعطف عليه وعدم استعمال الشدة والقسوة لأنهما يخلقان فيه العقدة النفسية ويوجبان انحرافه عن الخط السليم. ۲ - تعليمه وتثقيفه وفتح آفاق المعرفة أمام عينيه. ۳ - الرفق به وإعانته فى كل ما يحتاج إليه. ۴ - الستر على جرائر حداثته وعدم نشرها. ۵ - مداراته وترك مخاصمته لأن ذلك أفضل لرشده. هذه الأصول التربوية التى أعلنها الإمام (عليه السّلام) توجب صلاح النشء وتهذيبهم وإصلاح المجتمع وترقيته إلى الأكمل والأفضل.

حق السائل

(وأما حق السائل فإعطاؤه إذا تهيأت صدقة، وقدرت على سد حاجته، والدعاء له فى ما نزل به، والمعاونة له على طلبته، وإن شككت فى صدقه، وسبقت إليه التهمة، ولم تعزم على ذلك لم تأمن من أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدك عن حظك ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك، تركته بستره ورددته رداً جميلاً- وإن غلبت نفسك فى أمره، وأعطيته على ما عرض فى نفسك منه، فإن ذلك من عزم الأمور..). فى الواقع السؤال ذل ولم يسمح به الإسلام إلا فى أوقات الضرورة التى يتوقف عليها حفظ النفس من الهلاك. يد المسلم عزيزة مترفعة تأبى أن يتصدق أحد عليها. والإسلام دعا إلى العمل الجاد والكفاح الشريف وعدّ الكاد على عياله كالمجاهد فى سبيل الله. والمسلم الكريم يكسب قوته بعرق جبينه وكد يمينه من صنوف الموارد المحللة التى تؤمن العيش الرغيد. ولا يخفى أن الأرزاق بيد الله يرزق من يشاء وبغير حساب ولكن على الإنسان السعى والتحصيل والعمل الجاد، وبعد ذلك يأتى دور الله عز وجل فى الإنجاح والتوفيق. وعلى المؤمن أن يسأل مؤمناً مثله لأن السؤال إلى غير أهله مذلة ومهانة. وفى هذا قال أمير المؤمنين (عليه السّلام) مخاطباً المؤمن: (ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره). والإمام زين العابدين (عليه السّلام) يعلم المسؤول كيف يجب أن يتعامل مع السائل، يعلمه كيف يواجه الموقف بنفس راضية فيقول: وأما حق السائل فإعطاؤه إذا تهيأت صدقة. وأما إذا شك المسؤول فى صدق السائل فلا يقابله بالجفاء بل يعامله بالعقل والورية والكلمة الطيبة، فلعل الوسوسة والشك إنما هما من الشيطان الذى يوسوس فى صده ويمنعه عن ممارسة الخير وفعله وإذا لم يستطيع مقاومته وحال بينه وبين العطاء فلتكن كلمة المواساة والستر عليه وليكن الرد الجميل اللين.

حق المسؤول

(وأما حق المسؤول فحقه إن أعطى قبل منه ما أعطى بالشكر له والمعرفة لفضله وطلب وجه العذر فى منعه وأحسن به الظن وأعلم أنه إن منع فماله منع، وإن ليس التثريب فى ماله، وإن كان ظالماً فإن الإنسان لظلوم كفار..). يتعرض الإمام هنا إلى حق المسؤول الذى أعطى وبذل ووهب والذى يمر بأشكال مختلفة ووجوه متعددة فتارة غنى مترف وأخرى فقير مسكين، وتارة كريم سخى وأخرى بخيل غنى والمسؤول يعطى عن طواعية ويشعر مع المحتاج همومه وآلامه ويمد يده ليقدم ما منحه الله من خير وعطاء. فمن أوليات حقوق السائل أن يقابل المسؤول بالشكر والدعاء له فيما إذا أكرمه وأعطاه، وإذا منعه فليحسن الظن به. أما الإنسان القادر الذى يمنع السائل

مع القدرة على عطائه فإنما يحجب ماله عن نفسه ويحرمها منه لأن الله قد أعد للمتصدقين الثواب الجزيل والأجر العميم.

حق من سرك الله به

(وأما حق من سرك الله به وعلى يديه، فإن كان تعمدها لك حمدت الله أولاً ثم شكرته على ذلك بقدره فى موضع الجزاء، وكافأته على فضل الابتداء، وأرصدت له المكافأة، وإن لم يكن تعمدها حمدت الله وشكرته، وعلمت أنه منه، توحدك بها [۳۳۳] ، وأحببت هذا إذا كان سبباً من أسباب نعم الله عليك، وترجو له بعد ذلك خيراً، فإن أسباب النعم بركة حيث ما كانت، وإن كان لم يعتمد، ولا قوة إلا بالله..). إن المسلم الذى يلتزم بالأخلاق الإسلامية يعيش مع الناس بأخلاق الرسل المصلحين والأئمة الطاهرين، فيصفح عنهم زلاتهم ويستر عوراتهم، ويبتسم فى وجوههم، ويتواضع لهم ويتجنب إهانتهم وإذلالهم. والإمام زين العابدين يرتفع بنفسية المسلم عن الإساءة إلى أخيه المسلم ليدخل فى عداد العاملين على مسرته وانشراحه ومن يبادر إلى إدخال السرور على قلوب الناس هو من خيار الناس فقد أسدى إلى أخيه يداً بيضاء فالواجب يقضى عليه بأن يقوم بشكره، ويذكر إحسانه. ولا يخفى أن إدخال السرور على قلب المسلم يجعله يشعر أنك تهتم بسعادته كما يضفى جواً من الود والمحبة والصفاء...لكن هذا السرور يجب أن يتخذ الطريق الشرعى المباح دون ما يكون محرماً كما هو الحال عند بعض المتهاونين بالدين والمستهزئين بغيرهم. أما إذا أقدم من سرك لله مختاراً فعليك شكره على هذه النعمة وإذا جاءت مسرتك عن يديه صدفة فإن الله تعالى هو الذى منَّ عليك بمثل هذه النعمة وعليك أن ترجو له الخير لأنها على أى حال عند صدرت عنه وكان سبباً لهذه النعم. وبالشكر تدوم النعم. والحمد الله رب العالمين الذى منّ علينا بنعم لا تحصى.

حق من أساء القضاء

(وأما حق من أساء القضاء على يديه بفعل أو قول فإن كان تعمدها كان العفو أولى بك، لما فيه من القمع وحسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق فإن الله يقول: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل... إلى قوله من عزم الأمور) [۳۳۴] وقال تعالى أيضاً: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير الصابرين) [۳۳۵] . وهنا يتعرض الإمام (عليه السّلام) للقضاة فيقول: إذا جاروا على أحد بقول أو فعل، وكان ذلك عن عمد، فالأولى الصفح والعفو عنهم عملاً بالآداب الإسلامية العالية التى حثت على العفو عن المسيء أما إذا صدرت الإساءة منهم عن خطأ فلا ينبغى مؤاخذتهم لأنهم لم يتعمدوا الظلم والجور.

حق أهل الملة

(وأما حق ملتك عامة فإضمار السلامة، ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم وتألفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك فإن إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك، إذ كف عنك أذاه، وكفاك مؤونته، وحبس عنك نفسه، فعمهم جميعاً بدعوتك، وأنصرهم جميعاً بنصرتك، وأنزلهم جميعاً منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أَتاك تعاهدته بلطف ورحمة، وصل أخال بما يجب للأخ على أخيه..). لقد كرّم الإسلام الإنسان من أى ملة أو أصل كان ودعا إلى كرامته واحترامه عملاً بقوله تعالى: (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) [۳۳۶] . فهذا التكريم من الله للإنسان يفرض بأى حال تكريم الإنسان للإنسان، والمسلم من واجبه تكريم المسلم الآخر، وللمسلمين حقوق عامة عليهم جميعاً رعايتها وهى حسب ما أعلنها الإمام زين العابدين (عليه السّلام): ۱ - إضمار السلامة وترجمتها بدرجة أعلى من السلامة والمودة والإخاء. ۲ - على المسلم أن ينشر للمسلمين جناح الرحمة فلا يستعلى عليهم ولا يأخذهم بالعنف بل يعفو عنهم عملاً بأمر الله: (وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون خبير) [۳۳۷] . ۳ - أن يرفق بمسيئهم ولا يقسو عليه

وذلك لإصلاحه وتقويمه. ۴ - أن يعمل على تآلفهم ووحدة كلمتهم ورص صفوفهم. ۵ - أن يشكر كل محسن منهم على إحسانه ويشجعه على هذه الظاهرة الكريمة التى تعود فائدتها على المجتمع بأسره. ۶- أن يعمل على نصرتهم عندما تدعو الحاجة إلى الدفاع عن حقهم. ۷ - أن يحترم الجميع ويعطى كل واحد منهم قدره فينزل كبيرهم بمنزلة والده، وصغيرهم بمنزلة ولده، وأوسطهم بمنزلة أخيه. ولا ريب لو أن كل مسلم طبق هذه الحقوق على واقع حياته لكانوا يداً واحدة قوية تجاهد فى سبيل الحق وتنتصر بإذن الله تعالى ولما وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من التفرقة والتخاذل والخسران.

حق أهل الذمة

(وأما حق أهل الذمة فالحكم أن تقبل منهم ما قبل الله، وتفى بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه فى ما طلبوا من أنفسهم وأجروا عليه، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فى ما جرى بينك وبينهم من معاملة، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله، والوفاء بعهده، وعهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حائل فإنه بلغنا أنه قال: (من ظلم معاهداً كنت خصمه)، (فاتق الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله..). فهذه خمسون حقاً محيطاً بك، لا تخرج منها فى حال من الأحوال يجب عليك رعايتها والعمل فى تأديتها، والاستعانة بالله جل ثناؤه على ذلك ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين..). لقد رعى الإسلام أهل الذمة، اليهود والنصارى، من الذين دخلوا فى ذمة الإسلام فعاملهم بالحسنى كما عامل سائر المسلمين فمارسوا حرياتهم الفكرية والعملية والدينية وعاشوا بأمن ورخاء واستقرار ضمن شروط معينة ودخلوا فى عهد مع الإسلام عندما أرادوا أن يبقوا على دينهم. وبموجب هذا العهد أصبحوا أهل ذمة تجرى عليهم أحكام معينة. ومن واجباتهم: ۱ - دفع الجزية ويرجع تقديرها للإمام وهى عبارة عن قدر معين من المال يدفعه اليهودى والنصرانى عن نفسه فى ظل حماية الإسلام له وهى تسقط عن النساء والصبيان والعاجزين والمجانين. ۲ - أن لا يقوموا بأى عمل ينافى الأمان للدولة الإسلامية مثل إمداد المشركين أو العزم على حرب المسلمين لأن ذلك كان ينقض العهد ويخالفه. ۳ - أن لا يؤذوا المسلمين بسرقة أموالهم والتعرض لنسائهم وإيواء المشركين والتجسس لهم فإن فعلوا شيئاً من ذلك كان نقضاً لعهدهم. ۴ - أن لا يتظاهروا بالمنكرات كالزنى وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر علناً لأن المجتمع الإسلامى مجتمع نظيف يرفض المنكرات المحرمة ويعاقب عليها، فلا يسمح لأى إنسان أن يتعامل بها جهراً لأنها تؤدى إلى الاستهانة بالدين. ۵ - أن يجرى عليهم ما يجرى على المسلمين. فإذا التزم أهل الذمة بهذه الشروط كانوا فى ذمة الله وذمة رسوله لا يجوز ظلمهم والتعدى عليهم وتجاوز أموالهم وأعراضهم. ويقضى بينهم وبين المسلمين بحكم الله. من هنا حذر الإمام زين العابدين أن ينقض هذا العهد أو ينحرف عنه المسلمون فنبه أن يتقبل فيهم ما قننه الله وشرعه لهم من أحكام، والوفاء بحقوقهم والحكم فيهم بما أنزل الله وعدم الاعتداء عليهم بغير حق. هذه هى رسالة الحقوق الخالدة التى حبرها قلم الإمام السجاد من فوح القرآن وبوح فكره وأفاض بها على الأمة الإسلامية التى كابد فى إنقاذها من جور الحكام الطغاة واستبداد الملوك القساة ومتردیات الجاهلية الأولى. فى هذه الرسالة رسم الإمام (عليه السّلام) معالم الشخصية الإنسانية الصالحة التى يتبناها الإسلام ويفتخر بها كل مسلم لما من فوائد خاصة بكل إنسان ومنافع عامة لإصلاح المجتمع من الانحرافات الأخلاقية والدينية وإرجاعه إلى الخط الإسلامى السليم الذى رسمه جده المصطفى الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم). إنها رسالة يتيمة فى موضوعها وفريدة فى أسلوبها تضمنت حقوق المسلمين كما تناولت حقوق أهل الذمة بموضوعية كاملة والآداب الإسلامية شاملة والأخلاق الإنسانية عامة يريد من خلالها الإمام أن يساهم فى صنع الشخصية الإسلامية السليمة التى تعمل فى سبيل الله وتحب وتبغض فى الله وتساعد بلا أذى أو من عباد الله. فعلى جميع المسلمين رعاية هذه الرسالة العظيمة والعمل فى تأديتها ليعالجوا على ضوئها جميع ما يعترض حياتهم من مشاكل وأزمات ويعيشوا عيشة كريمة وعناصر صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحب الخير وتعمل به وتكره الظلم وترفضه بكل ما لديها من وسائل مناسبة. هذه هى رسالة الحقوق الخالدة والكريمة ذات المضامين العالية نسأل الله سبحانه وتعالى الهداية للعمل بها خالصة لوجه الكريم وينفعنا بها فى الدارين يوم لا ينفع مال

ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين المعصومين

پاورقی

[۱] الإمام الحسين، ص۳۳۹.

[۲] ثورة الحسين للشيخ محمد مهدى شمس الدين/ عن شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ص۷۰ وما بعدها.

[۳] ثورة الحسين للشيخ محمد مهدى شمس الدين، ص۱۰۰.

[۴] المصدر نفسه، ص۱۰۳.

[۵] الإمام الحسين، ص۶۴.

[۶] من قصيدة لابن الزبعرى.

[۷] المصدر السابق، ص۱۱۲.

[۸] المصدر السابق، ص۱۱۲.

[۹] المصدر نفسه، ص۱۲۴.

[۱۰] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۱۴۳.

[۱۱] سورة التوبة: الآية ۱۱۱.

[۱۲] سورة التوبة: الآية ۱۱۲.

[۱۳] الكافى الكلينى، ج۵، ص۲۶.

[۱۴] حياة الحيوان للجاحظ، ج۵، ص۲۹۷.

[۱۵] القوهى: الثوب من الخز الفاخر.

[۱۶] الأغانى، ج۱، ص۳۱۰.

[۱۷] طبقات ابن سعد، ج۵، ص۲۴۶.

[۱۸] الأغانى، ج۹، ص۲۶۲.

[۱۹] الأغانى، ج۱۷، ص۸۹.

[۲۰] الأغانى، ج۹، ص۱۷۲.

[۲۱] الأغانى، ج۹، ص۸.

[۲۲] الأغانى، ج۱، ص۲۹.

[۲۳] الأغانى، ج۱، ص۵۵.

[۲۴] الأغانى، ج۵، ص۱۱۱.

[۲۵] الأغانى، ج۴، ص۱۰.

[۲۶] الأغانى، ج۴، ص۴۰۰.

[۲۷] الأغانى، ج۸، ص۲۴۴.

[۲۸] العقد الفريد، ج۳، ص۲۳۳.

[۲۹] العقد الفريد، ج۳، ص۲۴۵.

[۳۰] الأغانى، ج۶، ص۲۱.

[۳۱] الأغانی، ج۴، ص۲۲۲.

[۳۲] الشعر والغناء فی المدینة ومکة، ص۲۵۰.

[۳۳] الأغانی، ج۸، ص۲۲۷.

[۳۴] الأغانی، ج۱۰، ص۵۷.

[۳۵] الأغانی، ج۸، ص۲۰۶.

[۳۶] الأغانی، ج۸، ص۳۴۳.

[۳۷] الأغانی، ج۸، ص۳۴۳.

[۳۸] الأغانی، ج۸، ص۳۲۴.

[۳۹] الأغانی، ج۳، ص۲۲۶.

[۴۰] الأغانی، ج۳، ص۳۰۷.

[۴۱] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۱۲۳.

[۴۲] المصدر نفسه، ص ۹۵.

[۴۳] المصدر نفسه، ص۱۱۹.

[۴۴] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۱۱۹.

[۴۵] البدایة والنهایة لابن کثیر، ج۹، ص۱۰۴.

[۴۶] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۱۳۳.

[۴۷] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۱۲۲.

[۴۸] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۱۱۴. عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص۱۸۹ طبع النجف.

[۴۹] المصدر نفسه، ج۴۶، ص۹۴. عن الطبری ج۸ ص۶۱.

[۵۰] إعلام الوری للشیخ الطبرسی، ص۲۵۶.

[۵۱] مطالب المسؤول لمحمد بن طلحة الشافعی، ص۲۰۳.

[۵۲] الإرشاد للشیخ المفید، ص۲۳۷.

[۵۳] أعلام الوری، ص۲۵۶.

[۵۴] الکافی، ج۱، ص۲۴۱ وما بعد.

[۵۵] البحار، ج۱۱، ص۶.

[۵۶] الإرشاد، ص۲۴۴، قارن بالفصول المهمة لابن الصباغ والطبقات لابن سعد.

[۵۷] الإرشاد للمفید.

[۵۸] المصدر نفسه.

[۵۹] راجع طبقات ابن سعد.

[۶۰] سیرة الأئمة الاثنی عشر، ص۱۹۸.

[۶۱] ولد حمله الحسین (علیه السّلام) نحو جماعة عمر بن سعد قائلاً لهم: لم یبق لی سوی هذا الطفل الرضیع فاسقوه، فقد جف اللبن من ثدی أمه، فاختلف الجند فیما بینهم، منهم من قال: اسقوه، ومنهم من قال: لا تسقوه فقال ابن سعد لحرملة بن کاهل الأسدی: اقطع نزاع القوم، فرماه حرملة بسهم بنحره فذبحه، فبسط الحسین سید الشهداء کفه تحت نحر الطفل، فلما امتلأت دماً رمی به نحو السماء

وقال: رب هون علی ما نزل بی أنه بعین الله. اللهم لا یکن علیک أهون من فصیل ناقة صالح. ثم عاد به إلی المخیم وقیل طرحه بین القتلی من أهل بیته.

[۶۲] اسعاف الراغبین: ۲۱.

[۶۳] ادب الطف ۱ / ۱۶۴.

[۶۴] زین العابدین للمقرم، ص۳۶۳. عن الخصال، ج۱، ص۱۳۱.

[۶۵] حیاة الإمام الباقر، ج۱، ص۵۱.

[۶۶] الصواعق المحرقة، ص۵۳.

[۶۷] زین العابدین للقرشی، ص۴۲۱.

[۶۸] زین العابدین للقرشی، ص۴۲۱.

[۶۹] زین العابدین للقرشی، ص۴۲۲، عن روضة الکافی.

[۷۰] حیاة الإمام محمد الباقر، ج۱، ص۵۴.

[۷۱] حیاة زین العابدین، ص۴۲۳.

[۷۲] باب الخشوع فی الصلاة، ص۳۰۰.

[۷۳] علل الشرائع للشیخ الصدوق، ج۱، ص۲۳۱.

[۷۴] المناقب لابن شهر آشوب، ج۴، ص۱۵۰.

[۷۵] المصدر نفسه.

[۷۶] المصدر نفسه.

[۷۷] وسائل الشیعة، ج۴، ص۸۱۴، باب تکرار الآیة.

[۷۸] مناقب ابن شهر آشوب، ج۲، ص۲۵۱. ومصباح التهجد للشیخ الطوسی، ص۵۱۰. ومستدرک النوری، ج۱، ص۲۴۸.

[۷۹] عن کامل الزیارة، ص۲۶۸.

[۸۰] المقبولة الحسینیة للشیخ هادی کاشف الغطاء، ص۸۹.

[۸۱] أمالی الشیخ الطوسی، ص۴۷. وبشارة المصطفی، ص۸۰.

[۸۲] الخصال، ج۲، ص۱۰۱.

[۸۳] علل الشرائع، ص۸۸.

[۸۴] الکافی، ج۳، ص۱۱۹.

[۸۵] حلیة الأولیاء، ج۳، ص۱۳۳.

[۸۶] علل الشرائع، ص۸۸.

[۸۷] المناقب، ج۴، ص۱۵۵.

[۸۸] المصدر نفسه.

[۸۹] علل الشرائع للشیخ الصدوق، ص۲۳۲.

[۹۰] سورة آل عمران: الآیة ۹۷.

[۹۱] کشف الغمة فی معرفة الأئمة، ج۲، ص۷۸. والحرة: أرض ذات حجارة.

[۹۲] المناقب، ج۴، ص۱۳۶.

[۹۳] حياة الحيوان، ج۱، ص۱۳۹.

[۹۴] البحار: ج۴۶، ص۱۷، عن أمالى الصدوق، ص۱۴۴. وراجع أيضاً أئمتنا لعلى محمد على دخيّل، ص۲۶۰.

[۹۵] البحار: ج ۱، ص۱۸. عن الكافى للكلينى، ج۱، ص۳۰۳.

[۹۶] البحار: ج۲، ص۱۹. عن كفاية الأثر، ص۳۱۸بتفاوت. وأئمتنا، ص۲۶۱ عن كفاية الأثر أيضاً.

[۹۷] كفاية الأثر، ص۳۱۸.

[۹۸] الإمام زين العابدين لعبد الرزاق الموسوى المقرم، ص۳۴. عن كفاية الأثر، ص۳۱۱ لعلى بن محمد بن على الخزار القمى.

[۹۹] المصدر نفسه عن معانى الأخبار للصدوق، ص۳۵. [

[۱۰۰] الإمام زين العابدين للمقرم عن المختصر للحسن الحلى، ص۱۲۸.

[۱۰۱] المصدر السابق عن الغيبة للشيخ الطوسى، ص ۱۰۵. ومختصر البصائر، ص۳۹.

[۱۰۲] أعيان الشيعة، ج۵، ص۵۵۱.

[۱۰۳] الحميصة: هى ثوب خز أو صوف معلم.

[۱۰۴] راجع طبقات الشافعية، ج۱، ص۱۵۳.

[۱۰۵] راجع أيضاً الأغانى، ج۲۰، ص۴۰.

[۱۰۶] مطالب السؤول، ص۲۰۲.

[۱۰۷] المناقب، ج۴، ص۱۵۱.

[۱۰۸] مستدرك الوسائل، ج۲، ص۱۴۳.

[۱۰۹] المناقب لابن شهرآشوب: ج۴، ص۱۵۲.

[۱۱۰] حياة الحيوان، ج۱، ص۱۳۹. ونور الأبصار، ص۱۶۲.

[۱۱۱] الصواعق المحرقة، ص۱۲۰.

[۱۱۲] ابن الخيرتين: لقوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (إن لله تعالى من عباده خيرتان: فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس). راجع: وفيات الأعيان، ج۲، ص۴۳۱.

[۱۱۳] كشف الغمة، ص۲۰۹.

[۱۱۴] البداية والنهاية، ج۹، ص۱۰۴.

[۱۱۵] المناقب، ج۲، ص۲۵۸.

[۱۱۶] بحار الأنوار، ج۱۱، ص۱۸.

[۱۱۷] كشف الغمة، ص۱۹۹.

[۱۱۸] أعيان الشيعة، ج۴، ص۴۴.

[۱۱۹] زين العابدين لسيد الأهل، ص۴۳.

[۱۲۰] الفصول المهمة، ص۲۰۱.

[۱۲۱] بحار الأنوار، ج۱۱، ص۱۹.

[۱۲۲] تاريخ اليعقوبى، ج۳، ص۴۶.

[۱۲۳] زين العابدين للقرشى، ص۶۱. عن روضة الكافى، ص۱۵۸.

[۱۲۴] سورة المائدة: الآية۱۱۲.

[۱۲۵] الهامد: البالی.

[۱۲۶] لعل الأصح ورهبة السلطان.

[۱۲۷] سورة فاطر: الآیة۲۵.

[۱۲۸] تحف العقول، ص۲۵۲ وما بعدها. وأمالی المفید، ص۱۱۷. وروضة الکافی، ص۱۳۸.

[۱۲۹] زین العابدین للقرشی، ص ۵۰.

[۱۳۰] البیان والتبیین، ج۱، ص۸۴. وزهر الآداب، ج۱، ص۱۰۲.

[۱۳۱] سورة الشعراء: الآیة۸۸.

[۱۳۲] سورة الإسراء: الآیة۳۷.

[۱۳۳] سورة لقمان: الآیة۱۸.

[۱۳۴] سورة الرعد: الآیة۱۱.

[۱۳۵] سورة المائدة: الآیة۳۱.

[۱۳۶] العتمة هی وقت صلاة العشاء.

[۱۳۷] معانی الأخبار للصدوق، ص۷۸.

[۱۳۸] زین العابدین للقرشی، ص۷۵ عن الاحتجاج، ج۲، ص۱۷۵.

[۱۳۹] زین العابدین للقرشی، ص۷۵ عن سفینة النجاة.

[۱۴۰] بحار الأنوار، ج۱۷، ص۳۱۵. وسائل الشیعة، ج۱۱، ص۲۷۲. وتحف العقول، ص ۲۸۰.

[۱۴۱] أصول الکافی: باب ذم الدنیا.

[۱۴۲] معانی الأخبار للصدوق، باب۱۳۶.

[۱۴۳] أصول الکافی، باب ذم الدنیا.

[۱۴۴] سورة الحدید: الآیة۵۷.

[۱۴۵] کشف الغمة، ص۲۰۷.

[۱۴۶] سورة الحجرات: الآیة ۱۰.

[۱۴۷] أصول الکافی فی باب ذم الدنیا وزین العابدین للمقرم، ص۱۵۲. وأئمتنا لعلی محمد علی دخیّل، ص۳۰۴.

[۱۴۸] زین العابدین للمقرم، ص ۱۶۰.

[۱۴۹] بحار الأنوار، ج۳، ص۲۴۲.

[۱۵۰] زین العابدین للمقرم، ص۱۴۵.

[۱۵۱] کشف الغمة، ص۲۰۷.

[۱۵۲] أعیان الشیعة، ج۴، ص۵۲۷. وکشف الغمة، ص۲۰۷.

[۱۵۳] زین العابدین للمقرم، ص ۳۷۰.

[۱۵۴] صوم الوصال: أی یصوم یوماً ولیلة. وصوم الصمت: أن ینوی أن یصوم ساکتاً، وصوم الدهر: محرم لأنه یتضمن صیام الأیام المحرمة کالأعیاد.

[۱۵۵] الخصال، ص ۵۲۷.

[۱۵۶] المناقب، ج۲، ص۲۵۹.

[۱۵۷] فضائل الإمام على للشيخ محمد جواد مغنية، ص۲۱۹.

[۱۵۸] الخصال، ص۱۱۳.

[۱۵۹] تحف العقول، ص۲۷۸.

[۱۶۰] أعيان الشيعة، ج۴، ص۱۸۶. وتاريخ الطبرى، ج۳، ص ۲۸۰.

[۱۶۱] زين العابدين للقرشى، ص۱۰۱.

[۱۶۲] سورة الأنعام، الآية ۱۶۰.

[۱۶۳] معانى الأخبار للشيخ الصدوق مخطوط فى مكتبة السيد الحكيم، زين العابدين للقرشى، ص ۱۰۱.

[۱۶۴] زين العابدين للقرشى، ص۱۰۴.

[۱۶۵] المصدر نفسه.

[۱۶۶] زين العابدين للقرشى، ص۱۰۶.

[۱۶۷] سورة الأحزاب: الآية۷۰.

[۱۶۸] رواه مسلم.

[۱۶۹] سورة التوبة: الآية۱۱۱.

[۱۷۰] نهج البلاغة، ج۱، ص۸۸. والجُنَّة: الوقاية. اتخذوا الغدر كيساً: أى عدوه من باب التعقل وحسن الحيلة. الحوَّل القُلَّب: البصر بتحويل الأمور وتقليبها، أى أنه يصرف الحيلة ولكنه لا يفعلها خشية الله تعالى. والحريجة: التحرج أى تجنب الآثام خشية الله سبحانه وتعالى.

[۱۷۱] زين العابدين للقرشى، ص۱۰۷. والمعرة: العار والفضيحة.

[۱۷۲] سورة الإسراء: الآية ۳۶.

[۱۷۳] سورة الإسراء: الآية ۳۶.

[۱۷۴] راجع زين العابدين للقرشى، ص۱۱۱.

[۱۷۵] سورة إبراهيم، الآية ۲۴-۲۶.

[۱۷۶] زين العابدين للقرشى، ص۱۰۸.

[۱۷۷] سورة النساء: الآية۳۲.

[۱۷۸] سورة الملك: الآية ۱۵.

[۱۷۹] سورة الفلق.

[۱۸۰] رواه البخارى.

[۱۸۱] نهاية الأرب للنويرى.

[۱۸۲] العقد الفريد، ج۲.

[۱۸۳] عيون الأخبار للدينورى، ص۸.

[۱۸۴] تحف العقول، ص۶۷. وراجع الكافى فى باب الطاعة والتقوى.

[۱۸۵] سورة آل عمران: الآية ۲۶.

[۱۸۶] سورة آل عمران: الآية ۱۵۹.

[۱۸۷] أوسط: أعلى وأحسن الأمور أوساطها أى أعلاها.

[۱۸۸] نهاية الأرب للنويرى.

[۱۸۹] الاحتجاج، ص۱۷۲.

[۱۹۰] زين العابدين للقرشى، ص۶۹.

[۱۹۱] المتوكل الخليفة العباسى غدر به حراسه من الأتراك.

[۱۹۲] سورة الأعراف: الآية ۱۷۹.

[۱۹۳] الخصال، ص۱۰۹.

[۱۹۴] أصول الكافى.

[۱۹۵] الخصال، ص۲۰۳.

[۱۹۶] الخصال، ص۲۴۵.

[۱۹۷] أصول الكافى، ج۲، ص۸۹.

[۱۹۸] وسائل الشيعة، ج۱۱، ص۳۰۴. والفصول المهمة، ص۱۸۷.

[۱۹۹] الإمام زين العابدين لباقر شريف القرشى، ص۵.

[۲۰۰] البحار، ج۴۶، ص۱۰۷.

[۲۰۱] أصول الكافى، ج۲، ص۶۱۶.

[۲۰۲] المصدر نفسه، ص۶۰۲.

[۲۰۳] لا يحيف: لا يميل.

[۲۰۴] الجواسى: جمع جاسية وهى الغليظة والمراد غلاظ الألسنة.

[۲۰۵] أصول الكافى، ج۲ ص۶۰۲.

[۲۰۶] تفسير البرهان، ج۱، ص۱۲۹.

[۲۰۷] تفسير البرهان، ج۲، ص۹۵.

[۲۰۸] سورة التوحيد: الآية ۹.

[۲۰۹] سورة يوسف: الآية ۲۰.

[۲۱۰] مجمع البيان، ج۵، ص۲۲۱.

[۲۱۱] تفسير البرهان، ج۱، ص۲۸۰.

[۲۱۲] سورة الشورى: الآية۴۲.

[۲۱۳] أحكام القرآن للجصاص، ج۳، ص۴۷۵.

[۲۱۴] سورة البقرة: الآية۲۲.

[۲۱۵] الحمأ: شدة حرارة الشمس.

[۲۱۶] تعطبكم: أى تهلككم.

[۲۱۷] عيون أخبار الرضا، ج۱، ص۱۳۷.

[۲۱۸] سورة الحجر: الآية۲۱.

[۲۱۹] المعارج، الآية۲۴.

[۲۲۰] وسائل الشيعة، ج۶، ص۶۹.

[۲۲۱] الخصال، ص۵۳.

[۲۲۲] المصدر نفسه، ص۱۶۵. وتاریخ بغداد، ج۱، ص۲۵۵.

[۲۲۳] القلب یعنی العقل.

[۲۲۴] الخصال، ص۵.

[۲۲۵] المصدر نفسه، ص۲۳۱.

[۲۲۶] أصول الکافی، ج۲، ص۱۵۶.

[۲۲۷] المصدر نفسه، ج۲، ص۹۹.

[۲۲۸] الإمام زین العابدین لباقر شریف قرشی، ص۸.

[۲۲۹] الخصال، ص۳۹۶-۳۹۷.

[۲۳۰] أصول الکافی، ج۲، ص۴۶.

[۲۳۱] زین العابدین للقرشی، ص۱۲.

[۲۳۲] الخصال، ص۳۰۸.

[۲۳۳] زین العابدین للقرشی، ص۱۶.

[۲۳۴] سیرة الأئمة الإثنی عشر،ص۲۰۲.

[۲۳۵] الإمام زین العابدین، ص۲۰۲.

[۲۳۶] سورة الشوری: الآیة۴۲.

[۲۳۷] أحکام القرآن، ج۳، ص۴۷۵.

[۲۳۸] الفصول المهمة، ص۱۹۲.

[۲۳۹] غرر الآثار ودور الآثار للدیلمی، ص۸۰. راجع زین العابدین للقرشی، ص۹۹.

[۲۴۰] ینابیع المودة، الباب۴۱.

[۲۴۱] ثمار القلوب للثعالبی، ص۶۷.

[۲۴۲] أمه هند آکلة الأکباد وقد استعمل معاویة السم فی العسل مع کثیر من خصومه، وهو القائل: (إن لله جنوداً من عسل).

[۲۴۳] راجع طبقات ابن سعد.

[۲۴۴] بطلة کربلاء للدکتورة بنت الشاطئ.

[۲۴۵] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۱۳۲ عن المناقب، ج۳، ص۲۹۷.

[۲۴۶] المصدر السابق، ص۱۳۲.

[۲۴۷] الإرشاد للمفید، ج۲، ص۱۵۳.

[۲۴۸] الإرشاد للمفید، ج۲، ص۱۵۳.

[۲۴۹] أسلوب نعبر عنه (إیَّاک أعنی واسمعی یا جارة).

[۲۵۰] دراسات فی نهج البلاغة للشیخ محمد مهدی شمس الدین.

[۲۵۱] بحار الأنوار، ج۴۶، ص۷۳، عن إرشاد المفید، ص۲۷۱.

[۲۵۲] حلیة الأولیاء، ج۳، ص۱۳۷.

[۲۵۳] راجع زین العابدین للمقرم عن مناقب ابن شهر آشوب، ج۲، ص۲۵۵. وبحار الأنوار، ج۱۱، ص۲۶.

[۲۵۴] المناقب، ج۳، ص۲۶۸.

[۲۵۵] سورة المائدة: الآیة۶۷.

[۲۵۶] زین العابدین للمقرم، ص۲۵۸.

[۲۵۷] المناقب، ج۲، ص۲۵۲.

[۲۵۸] بحار الأنوار، ج۱۱، ص۴۲.

[۲۵۹] هذه الأبیات نسبها السید حسن النوری فی الصحیفة السجادیة الرابعة إلی الإمام (علیه السّلام).

[۲۶۰] مجلة البلاغ العدد السابع السنة الأولی، ص۵۹.

[۲۶۱] ثواب الأعمال، ص۸۱.

[۲۶۲] تفسیر البرهان، ج۱، ص۴۴. والقصور یعنی فی الجنة.

[۲۶۳] راجع سورة إبراهیم: الآیة۲۴-۲۶.

[۲۶۴] تفسیر البرهان، ج۱، ص۴۴.

[۲۶۵] زین العابدین للقرشی عن عقاب الأعمال، ص۳۰.

[۲۶۶] سورة البلد: الآیات ۱۲ - ۱۴. والسغبان: الجائع.

[۲۶۷] المؤمن، ص۱۹ للحسین بن سعید الأهوازی من مخطوطات السید الحکیم تسلسل ۱۹۶، وقد قامت بتحقیقه ونشره مدرسة الإمام المهدی فی قم (عج) سنة ۱۴۰۴هـ وقد ورد الحدیث تحت رقم ۱۵۹، ص۶۲. راجع زین العابدین للقرشی، ص۸۱.

[۲۶۸] البحار واللسان الذلق: اللسان الفصیح.

[۲۶۹] تاریخ الیعقوبی، ج۳، ص۴۶.

[۲۷۰] سورة آل عمران: الآیة ۱۱۰.

[۲۷۱] طبقات ابن سعد، ص۲۱۳۵.

[۲۷۲] عبقریة الإمام علی للعقّاد.

[۲۷۳] حیاة الإمام زین العابدین، ص۱۱۶. عن الذریعة فی تصانیف الشیعة، ج۱۵، ص۱۸.

[۲۷۴] الصحیفة الخامسة السجادیة، ص۱۳-۱۴.

[۲۷۵] مجلة البلاغ العدد السادس من السنة الأولی، ص ۵۶.

[۲۷۶] الاحتجاج، ج۲،ص۳۱۲.

[۲۷۷] المصدر السابق، ص۳۱۵.

[۲۷۸] الکشی- الخصال.

[۲۷۹] من لا یحضره الفقیه الخصال.

[۲۸۰] المصدر السابق.

[۲۸۱] راجع التمدن الإسلامی لجرجی زیدان، ج۱، ص۸۳.

[۲۸۲] نفسه، ص۸۴.

[۲۸۳] رسالة الحقوق لمحمد صادق الصدر،.ص۳۶.

[۲۸۴] سورة آل عمران: الآیة۲۶.

[۲۸۵] سورة النساء: الآیة ۴۸.

[۲۸۶] سورة إبراهيم: الآية ۲۴-۲۵.

[۲۸۷] سورة البقرة: الآية ۲۶۳.

[۲۸۸] سورة النساء: الآية ۱۴۰.

[۲۸۹] سورة آل عمران: الآية ۱۹۳.

[۲۹۰] سورة الإسراء: الآية ۳۶.

[۲۹۱] سورة النور: الآية ۳۰و۳۱.

[۲۹۲] الأصح أن يقال: حاملتاك وسالكتان بك.

[۲۹۳] سورة يس: الآية ۶۵.

[۲۹۴] اقتصد فى الأمر: اعتدل. والتخمة: ثقل تسببه كثرة الأكل. المكسلة:ما يدعو إلى الكسل. مثبطة: ما يعوق ويشغل.

[۲۹۵] سورة الحج: الآية ۲۳.

[۲۹۶] سورة الإسراء: الآية ۳۲.

[۲۹۷] سورة النور: الآية ۳.

[۲۹۸] سورة الأحزاب: الآية ۳۵.

[۲۹۹] جُنّة: أى وقاية من النار.

[۳۰۰] سورة البقرة: الآية ۲۶۲.

[۳۰۱] التدهقن: التكبر والتجبر.

[۳۰۲] سورة البقرة: الآية ۱۸۵.

[۳۰۳] أى لا تخاصمه.

[۳۰۴] لا تعازه: لا تعارضه.

[۳۰۵] عققت نفسك: آذيتها والعقوق: نكران الجميل.

[۳۰۶] سورة الأنعام: الآية ۵۷.

[۳۰۷] سورة آل عمران: الآية ۱۴۴.

[۳۰۸] زين العابدين لسيد الأهل، ص ۷.

[۳۰۹] الحياطة: الحماية والصيانة.

[۳۱۰] الأصح: مما أنعم عليه.

[۳۱۱] سورة المجادلة: الآية۱۱.

[۳۱۲] سورة النور: الآية۳۲.

[۳۱۳] سورة الروم: الآية۲۱.

[۳۱۴] موبلة: مواظبة ومستمرة.

[۳۱۵] الحواء: ما يحتوى الشىء ويحيط به.

[۳۱۶] سورة لقمان: الآية ۱۴.

[۳۱۷] سورة الإسراء: الآية۲۴.

[۳۱۸] ورد فى نسخة أخرى: (للظلم لخلق الله).

[۳۱۹] أثر عندك: أفضل وأولى.

[۳۲۰] الضمير فى عليها عائد إلى المكافأة.

[۳۲۱] سورة البقرة: الآية ۲۶۴.

[۳۲۲] سورة المجادلة: الآية ۱۱.

[۳۲۳] سورة النساء: الآية ۳۶.

[۳۲۴] سورة البقرة: الآية ۲۶۲.

[۳۲۵] سورة البقرة: الآية ۲۷۲.

[۳۲۶] راجع نهج البلاغة لأمير المؤمنين هناك بحث عن المال فى طرق كسبه وطرق إنفاقه.

[۳۲۷] سورة البقرة: الآية ۲۸۰.

[۳۲۸] سورة الفرقان: الآية ۲۷.

[۳۲۹] لم تأله: أى لم تقصر.

[۳۳۰] الأصح: بقلبك.

[۳۳۱] لا تؤمه فى طريق: أى لا تتقدمه.

[۳۳۲] الجريرة: الذنب أو الخطأ والمماحكة: المخاصمة بلا وجه.

[۳۳۳] توحدك بها: اختصك بها.

[۳۳۴] سورة الشورى: الآية ۴۱-۴۳.

[۳۳۵] سورة النحل: الآية ۱۲۶.

[۳۳۶] سورة الإسراء: الآية ۷۰.

[۳۳۷] سورة البقرة: الآية ۲۳۷.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و

عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى

بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم - إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان
للتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩